ريدران
و
ندبة البردن السفلية

ريان إدريس

* إهداء:

* إلى كل العقول الراقية التي تسبح بين خيال الأحرف..
* إلى جدتي {ذهبية} ملهمتي في عالمي ورحلتي، أنت دوما إلى جانبي لن أنسى تشجيعاتك لي ما حييت، اخترت أن أهدي هذا الكتاب لروحك الطاهرة، ستبقين غاليتي..
* تحياتي وسلامي إلى الذين لم يتوقعوا مكانتي..

جميع الأسماء المذكورة داخل الرواية من خيال الكاتبة..

تقديم

قلّب القدر بطاقته، وعرفت من أكون، ولكن لا أعرف إلى أين أنتمى؟ هل أنا بشرية أم جنية بنصف بشري؟

كيف علينا فعل هذا، وهم ليسوا من صنفنا كيف؟ هل ترضى أن يهزمك لوسيفر، وأنت بقوتك وقدرتك لا تستطيع هزيمته، سوف يأتي بأتباعه ويحطموننا نحن والبشرية معا، خذ اثنان منهما؛ واحدًا ذو بنية ضعيفة، يستطيع لي لوسيفر التحكم فيهه، وواحدا ذو قدرة على منع أي أحد من لمسنا، يستطيع رؤية أيّ شيء وسماع أي شيء، يستطيع المحاربة بالمشاعر والذّكاء مثل ما شاء ولو كان لوسيفر منهم..

لم تشيرين للبنت لم؟

- انظر لانتفاخ تلك البطون، انظر يابرقان، هل هو عادي؟ انظر داخل هذه الأرحم ما نستحقه، إنهم ملكنا وليسوا ملكهم..

- لا أستطيع فعل هذا لا أستطيع.

- بل ستستطيع رغما عنك.

بين تلك الجدران المشبّعة بلون بنفسجيّ، تتواجد طفلة ذات أربع سنوات، طفلة لا تعرف معنى الحياة بعد، ولكن ما تراه وتسمعه خارج عن سيطرتها، مهما حاولت أن تفعل وأن تشي لأهلها به، لم يصدقونها، بقيت هكذا وحيدة أو بالأحرى مع هؤلاء..

انظروا له..

أتركوها..

- ألم تروا كيف كان "الخيتعور" أمامها ولم تكترث له؟؟

- كيف تجهالت؟؟

- نعم تماما فهي تتجاهلنا دائما..

- ولكن أنا أتساءل لما أتى "الخيتعور" وظام في وقت واحد، ولم يحدث شيئا لها..

- اتركوها ربما لا تريد أن ترهق تفكيرها فيك، فأنتم تظهرون لها من حين إلى آخر، وهي ترانا وتسمعنا ،هي جنية بنصف بشري..

- إذا لم نحن مجبرون بالوقوف معها في كل شيء؟؟
هذه كانت وصاياه إن لم ننفذها سوف يأخذ بنا الأرض..
- لا تقلها، لا حسنا.. فهمنا هذا، ما إن تنطق بها أحس أن شيئا ما يقبض روحي.. لا تنطقها فقط.
- ألا يجب علينا التكلم معها؟؟
- ماذا تتوقع من فتاة ذات أربع سنوات، أن تتفوه أم تتقبل واقعها؟؟ سوف تخيفها..
- لم تخفني.. لا أريد فقط التحدث معكم لأنكم تكثرن من الكلام كثيرا وأنا لا أحب هذا .
- ماذا؟؟ لا قيس الفتاة تتكلم، إنها تتكلم معنا..
- ماذا؟
- لا تقتربي منها.. احذري من الندبة.
- اسكت.. روان تكلمي.. هيا تكلمي..
- ما اسمكم؟؟ ولم أنتم قاطنون معي في غرفتي؟ هنالك غرف أخرى في البيت..
- ابتعدى لقيس..

- بل أنت وزفران من يجب عليكما الابتعاد، أنا لن تستطيعا مسي بأي شيء من الندبة..

- خيبر، هل هذا صحيح؟؟

- لا أدرى يا داكام، إن كان هذا صحيحا، فأنا اتبع فقط ما قالوه، لا تقتربوا كثيرا، وهذا ما نفعله كل من رمان وأدوم وقهمان، لديهم مهمتهم، وأنت كذلك، ولقيس هي الوسيطة بين روان ونحن لا أدرى ماذا نفعل..

- حسنا، إذا أرينا ما تستطيعين فعله هيا..

-اخرس.

- روان، هل ترينا أشكالنا، لا تخافي يمكنك التكلم معنا، يمكننا أن نكون أصدقاء، انظري انظري، هذا صديقنا داكم، لا تخافي منه، فقط عيناه أصابهما برد خفيف، لذلك هما متحركتان بسرعة، ولا تستطيعان البقاء في مكانهما، وهذا صديقنا أدوم أنه صغير، انظري إنه قزم مثلك، إنه ترثار، ولكن فقط لا يستطيع الاقتراب منك، إن درجة حرارته مرتفعة جدّا، وهذا قهمان إنه من أعز أصدقائي، هو لا يتكلم كثيرا، صحيح أنه

ضخم، ولكنه حنون، سوف تحبينه كثيرا، هو لن يؤذيك وهذا رمان..

- لم لونه احمر؟

- هو أحمر لأنه عصبي، وكذلك زفران لونه أحمر، ولديه أربعة عيون من الأمام والخلف، هو يريد حمايتك من الأشرار.

- أنا لا أخاف من الأشرار.

- أدرى عزيزتي، فأنت قوية جدا.

- لا أنا قوية، لأنني أفعل ما تقوله أمي.

- أكيد عزيزتي.

- ومن أنت؟

- أنا لقيس رفيقتك، أنا التي كنت أنام معك في مرضك، وكنت أجلس بجانبك.

- أعرف أنك كنت تنامين معي، ولكن من الذي كان يزعجني بأنفاسه؟

- أنفاس؟؟ لا أحد عزيزتي.. هل تسمعين أنفاسا؟

- نعم، فهي تلامس عنقي الآن.

- خيبر، هل هذا معقول؟؟

- ربما هذه تخيلات لا غير.

- روان، هل أنت متاكدة؟

- نعم.

- حسنا، لا تخافي.

- أنا لست خائفة، تعودت على هذا.

- إذا عديني الآن بشئ.

- ماذا؟

- عديني ألا تخبري عائلتك بوجودنا هنا.

- ولكن لم لا أخبرهم؟ لما لا ترحلوا إلى منازلكم؟

- نحن نحبك، وليس لدينا منزل نأوى إليه، نخاف من الوحوش التي تظهر في الليل، نحن نخاف أن نكون وحدناولما رأيناك قوية يمكنك حمايتنا من الوحوش، قررنا البقاء معك، هل تسمحين لنا بالمكوث أكثر؟

- أستطيع حمايتكم، أنا قوية جدا.

- عدينا ألا تخبري أهلك مجددا بتواجدنا هنا.

- لا تخافوا، لن أخبرهم، وسوف أحميكم.

بعد ثلاثة سنوات..

- عيد ميلاد سعيد روان، ها أنت بنيتي تكبرين يوما بعد يوم، وها هو يومك الأول في المدرسة.

- ولكن اليوم عيد ميلادي، لم علي الذهاب إلى المدرسة؟ ألن تكون هناك حفلة لي؟

- نعم توجد مفاجأة لك، في المساء ستعرفينها، هيا انهضي، هيا سوف آتي بعد دقائق وأغير لك ملابسك.

- أمي لا داعي، أستطيع فعل أي شيء، لا داعي لمعاملتي هكذا، جهزي إخوتي فقط ،أنا أستطيع تدبر أمري.

- يالك من فتاة، أحسن ابنة لي، أحبك صغيرتي.

- أخ اسمعوا، هاهي تناديني بالصغيرة مرة أخرى، لا تضحكوا، لم أعد روان التي تعرفونها.

- روان عزيزتي، لم يحن الوقت لفعل شيء.

- أي وقت؟ لدي الآن سبع سنوات، يمكنني فتح ضوء الندبة، هيا انظروا.

- روان، لا تفعلي هذا، إنه خطر عليك، تأكدي فور حدوث شيء ما، لا تفعلي شيء الآن.

- آه نفس الكلام مرارا وتكرارا، ألم تملوا من هذا، أريد بعض الخصوصية، لم لا تتركوني لوحدي؟

- نحن خائفون من كل شيء الآن.

- وأنا خائفة من عدم قدرتي على حمايتكم.

- لا تخافي، انت ملجؤنا الوحيد.

- روان، هل أنت جاهزة؟

- لا، سوف أتيبا أمي.

- ابتعدوا، أريد تغيير ملابسي، إياكم أن تسرقوا النظر، إياكم اتركيني أساعدك.

- كلا لقيس فأنا أستطيع، انظري لدي يدان.

- حسنا، افعلي ما شئت.

- أراكم في المساء.

- ماذا في المساء؟

- نعم، إنني ذاهبة.

- ونحن ذاهبون معك لا نستطيع تركك.

- لا تستطيعون المجيء، هذه مدرسة، يجب علي الذهاب وحدي، لا نستطيع تركك ران لا نستطيع.

- لقيس أنا روان لا تناديني بهاذا الاسم كلما تغضبين، حسنا تعالو معي هيا.

- ها هو أول يوم لي، وأنتم معي في هذا اليوم.

- لن نتخلى عنك.

- لن تستطيعوا، أنا سأحميكم.

- ندرك ذلك.

- هل أنت مبسوطة؟

- ماذا يا أدوم، هل غرت مني؟ هاا الآن أصبحت أكبر طولا منك يا قزم.

- أنا لا أغار منك، فقط أريد أن أشعر بنفس شعورك.

- كفى يا أدوم اتركها.

- لا يا لقيس دعيه يتكلم.

- الحفلة.. الحفلة.

- ما بها يا أدوم.

- الحفلة؟ لن تكون حفلة، إنني أرى الدماء.

- أدوم، ماذا ترى؟ لم هذه الكلمات؟ هل تريد تخويفها أم ماذا؟

- قلت لكم إنني أرى الدماء، لا يجب علينا تركها هناك مع العائلة، لا نتركها.

- اهدأ سنكون معها مهما حدث.. اصمت.

- روان تعالي، لقد أتت خالتك تعالي.

- أتت خالتي، أنا ذاهبة، سوف أعود ولكن يجب عليك تفسير هذا الشيء.

- ماذا جرى لك؟ هل جننت؟ لم تحكي هذه الأشياء أمامها؟ لازالت صغيرة يا أدوم لا تعرف ماذا يجري؟

- لقيس سوف يكون حاظرا، الليلة ليلته سوف يأخذها، إن لم نفعل لها شيء.

- لن ياخذها.. لن ياخذها.

- مرحبا.

- روان عزيزتي، عيد ميلاد سعيد، كيف حالك؟

- بخير، وأنت كيف حالك؟

- بخير انظري، أعرف أنك لم تري ابني فاردمار بعد، سأعرفك عليه، إنه من نفس عمرك.

- لديك ابن؟؟

- نعم تعالي، إنه في الحديقة.

- فاردمار تعال إلى هنا، تعال انظر صغيري، هذه ابنة خالتك روان، صاحبة عيد الميلاد.

- مرحبا.

- آخ كم أكره الصبيان، لا أريد أن أكون في هذا المأزق، لا أريد التعرف على أحد.

- روان مابك؟

- لا شيء، مرحبا فاردمار.

- هيا اذهبوا، انبسطوا، ولكن لا تبتعدوا من الحديقة.

- حسنا.

- أنت روان.

- نعم.

- حفلتك اليوم، لم لم ترتدي أزياء البنات المعتادة.

- من قال لك أنني فتاة؟

- آسف.

- لا تتكلم معي كثيرا، إن أردت اللعب العب، أنا هنا أنتظرك.

- لم انت شريرة هكذا؟

- قلت لك العب واتركني.

- كم أكره هذه الاشكال اللعينة الصبيانية، لا أريد كل هذه الأشياء، هل يعتقدون أنني ازددت عاما سعيدا، ربما هذا عام تعيس بهذه الحفلة اللعينة، وصبي مثله محاط معي في نفس الحديقة بلباس رسمي وربطة عنق، لي طفل ذو سبع سنوات بوجه طفولي، ها أنا أراقب كل تحركاته، خشيت من وقوعه بهذه الحركات الغريبة، يلوح بيديه وكأن شيئا ما يمنعه من

الكلام، ماذا تريد لم تلوح باستمرار؟ هل تريد شيء لقيس، ما به؟ اتركيني أذهب إليه اتركيني..

- روان لا تذهبي، إنه هنا، أتوا حتى يأخدونك.

- من هؤلاء لم يأخذونني؟ أين هم؟ لا أرى أحدا.

-لا تستطيعين رؤتهم، لا تستطيعين.

- ماذا يجرى روان، الندبة الندبة

- ابتعدوا، عنها جميعا ابتعدوا.

- لقيس لقيس، أرجوك تعالي، ماهذه الصرخة؟ اسمع صرخة في أذني الصرخة مؤلمة لقيس، لا تقتربو إنني أراهم لا تقتربوا.

- أرجوكم سوف ياخدكم مني، لا..

- روان لا نستطيع تركهم يأخدونك.

- لقيس الندبة إنها مشتعلة، أنا حاميتكم، أرجوكم لا تتركوني هنا هكذا وحيدة.

- روان ساعد الولد دعينا نتولى أمرهم، لا تنسي أنت صديقتي لن ولن أسمح لأحد بأذيتك طالما أنت منا وفينا، أحببناك ولن

ننساك أبدا، روان أنت حاميتنا، أعدك سوف تنسي كل هذا، لن تتذكري شيئا عنا وعن هذا.

- لا أريد نسيانكم، لا أريد القدوم معكم ، لقيس لقيس انتبهوا انتبهوا.

-اطفئي أيتها اللعينة، اخرجي من جبهتي، لم اشتعلتي، طالما ليست بيدك حيلة لم؟

- فاردمار.. فاردمار.. ابني ابني، استيقظ لما فعلت هذا؟ لم فعلت هذا؟ أنت قاتلة.. قاتلة.

- ماذا جرى؟ من هذا؟ لم أفعل شيئا، لم أقتله.

- ابتعدي عنا، ابتعدي أيتها المجنونة.

- ملاردى أختي، تعالي ساعدني، ابني صغيري يموت بين يدي ساعدوني.

- ماذا جرى له؟ وكيف هو ابنك؟ صدقيني لا أعرفه.

- ابتعدي ابتعدي، سيبلام انظري ما فعلت المجنونة بابني، انظري انظري لدمائه.

- أمي صدقيني، لم أفعل شيئا، لا ادري ماذا حدث له.

- لم تفعل له شيء، كينام أسرع فاردمار غارق في دمائه.

أصبحت متهمة بين قضبان القتل.

النهاية..

البداية..

ها أنا اليوم أتنكر بالمرض فرارا من الكلام، لم أعد أستطيع الجلوس معهم كثيرا، لا أعرف لم لدي إحساس قاتل بداخلي؟ ربما الغيرة من أخواتي، أشعر وكأنني لست حقيقية بينهم، وكأني واحدة تافهة. كأنني زيف بينهم هم يضحكون، يطلقون النكات، ولكن أنا بتلك الضحكات يطلق قلبي العنان، لااستطيع تحمل ذلك، إني من الخيال ولم أصبح في الواقع بعد، لكي أعيش تفاهات الحياة.

أنا وحيدة ولا أستطيع البقاء أكثر، بين عائلة مزيفة بزي السعادة وداخلهم أنهار من الأحزان والتعاسة. بعد كل اجتماع في طاولة ينفرد كل منا إلى غرفته،وأنا أعود إلى جدران غرفتي، إلى ظلمتها القاحلة، استنشق نسيم أحزانها وكأنها هي أيضا تفتقد شيئا ما.

أفتح النافذة، أرى القمر، فيعانقني ويعود بي إلى ذكريات بيضاء، لا أعرف ملامحها من أين، أو أين كانت أحداثها، فقط صرخة واحدة أتذكرها، وها أنا أعيد تذكرها الآن بعد كل شيء، لم أعرف من أين أتت، ومن أين انطلقت صرختها، وما تكون تلك الصرخة في الماضي، هل هي صرخة شؤم أم صرخة نجاح؟ هل فقدت الذاكرة أم أن عقلي يرفض استرجاع تلك اللقطات الأخيرة قبل تلف ذاكرتي؟ آهه كفى ياعقلي كفى لنغلق النافذة، وداعا ياقمر، لنلتقي غدا في نفس الممر، ها أنا أعود أدراجي مستلقية على سرير أحزاني، وبداخلي غصة دمعة تنتحر من جفون عيني، انتحرت بحرقة قاتلة، أحرقت خديّ وتركت طعما مرا على شفتيّ، لم أستطع التحكم بهما، أفلتو مني بلمحة مأذية لمشاعري، أبقى أتجول في خلايا عقلي حتى تجف عيني من تلك الدموع المنتحرة، وتجف خديّ من تلك الوديان حتى يأخذني النوم إلى عالم الأحلام المنتهية.

صباح ومدرسة، اتجهت إلى قاعتي وكل الأعين متجهة نحوي، ضحكات تمتمات كل من حولي تفقدني أعصابي، وجوه كلما رسمت ابتسامة تزيدني كآبة إلا شخصا آخر يزيدني

تفاؤلا، اختلطت أفكاري داخل عقلي فأضحيت أرى صورة لأستاذ كملامح مشوشة لاتستقيم بين الأحلام والواقع، أسافر وأرجع بلمحة من الأستاذ، لا أسمع الأصوات، لا أرى سوى تحركات الشفاه، انزلق القلم من يدي، فرجعت إلى واقعي أسمع تلك الدروس التي يرددها الأستاذ كل يوم ، ولايمل ولا يكتفي، أنا لا أعرف لم البشر أضافوا مدرسة إلى مدرسة بل مدرسة الحياة تكفينا، أستاذها القدر وامتحاناتها البشر، رنين الجرس يغزو الإرجاء منهيا كل هذه التوقعات، اتجهت إلى بيت الخلاء، اختبئت في إحدى الزوايا، ألملم مرايا الضائعة في تلك الدروس الهائمة، لم أنتبه إلا لصوت فتى آنسة، أنت في مرحاض الرجال، ألم تنتبهي إلى هذه الإشارة، إلى اللوحة المكتوبة، تكتمت لم أستطع البوح بكلمة قائلا: لا تخافي، لايوجد أحد هنا، يمكنك الخروج، ولكن بالمناسبة انا ريد يا روان.

وأنا روان لم أستطيع رؤية ملامحه لعجلة أمري بالفرار، أسرعت بالخروج وإذ بكلمة توقفني عند الباب، تشرفت بمعرفتك روان، نطق اسمي من فتى للأول مرة، وبإتقان حركتني تلك الشرايين الموجودة بقلبي، لملمت نفسي متجهة إلى

المنزل، ها أنا أرسم خطواتي إلى غرفتي، وإذ بسؤال من أمي المتكرر يفاجئني: كيف كان يومك؟؟ آه كم أكره هذا السؤال.. وكيف سيكون يومي بشع مثل الأيام التي قبله، قلت: بخير الحمد الله يا أماه، لم أتركها تكمل كلامها كله فتحت باب غرفتي، اتجهت إلى سريري بعد يوم عصيب، استلقيت مرتبة تلك الأحداث، كيف لي النسيان، كان أمر من عقلي يدفعني لحمل هاتفي، حتى أرى تفاهات الناس المستنكرة بين صورة وتغريدة، أتجول وأتجول بين التفاهات حتى حان وقت العشاء، كيف حلق بي الزمان بتلك السرعة، لقد فلت مني، ولم أفعل واجبي، كم الساعة؟ آه موعدي مع القمر يجب علي الإسراع في إنهاء تلك الأطباق اللعينة، والعودة إلى غرفتي الحزينة.

ها أنا بينهم مجددا، بين محيطهم، مبدع بالتفاهات وأحاديث تملؤها أحداث كاذبة بحروفها تلك، أكملت طبقي وأكملت جلستي معهم بكلمة طاب يومكم، آخ أعني طابت ليلتكم، اتجهت إلى النافذة، فتحتها بسرعة برق، مرحبا يا قمر آسفة لتأخري على الموعد الدائم..

- ماذا جرى لك لم هذا التأخر.

- آخ لو تعلم لقد زادت هما على هم.

- كيف ذلك؟ احك لي ماحدث بالتفصيل.

- آخ ها أنا أعود بسرد تلك الأحداث، لمؤنسي الوحيد والأبدي، ضحكنا على ماجرى وشاركتنا النجوم أيضا، حدث المرحاض أبرق كل السماء، كم أنا غبية بفعلتي وكل يردد بضحكات، أاه كم انت مختلفة عن هؤلاء، الوقت ضيق تراكمت السحب يا روان، يجب علي الذهاب، لقد بدأت السماء بغلق الستائر، الوادع الوادع ياومؤنستي، أراك لاحقا، عدت إلى حقيقتي، توجهت إلى المكتب للقاء مع مذكرتي، كتبت ما كتبت غلقت تلك الصفحات وكانت حروفي تتناسق مع قطرات المطر التي احسستها تعكس نبضات قلبي، استنزفت كل حبر القلم الذي بداخيلي، امتزج بياض صفحاتي بسواد كلماتي، نهضت وألقيت بنفسي فوق السرير، لأرتاح في عتمة الأحلام..

مذكرة 10/03

اليوم 10/03..

بعد تلك الأيام التي مضت، لم أعد أستطيع التمسك بشيء، ها أنا أكتب آخر الحروف، لقد وثقت كل شيء بالحرف البسيط وبداخلي نار لم تنطفئ، رغم كل شيء كمحاولاتي لم أستسلم وأعرف أن الشيطان لازال يوسوس في الخلاء، وها أنا اليوم استسلمت لأمري أرى شراييني بكل بساطه، والسكين الحادة في يدي تريد العبور بكل شراسه، هذه المرة هي ملت، وأنا كرهت معها، أعرف أني سوف أترك عائلتي بسوء حالة، ولكن سئمت من حياتي، وأنا عاجزة عن فعل شيء، لم أستطع ترك نفسي في هذه الحياه عابسة مكتظة بالاكتئاب، مكاني ليس هنا بل في تلك الحفرة المقابلة لأهلي، لم أستطيع فعل أي جميل ولو بسيط لعائلتي، إلا المعاتبة كفى ها قد حان الوقت للوداع مع نفسي والحياة، لكن لدي بعض الكلمات في الصميم.. نبضات قلبي لكما يا أبي وأمي..

سامحاني رغم كل شيء، أعرف أنني سببت لكما كل المتاعب، ولكن لم تتخليا معني، أحببتماني أكثر من أخي وأختي، كنت كل شيء لكما، ولكن ها أنا ابتعد وسوف يزيد ذلك الشيء بعدكما، أحببتكما ولن أستطيع نسيانكما.

بعد هذه الكلمات التي زرتها في مذكرتي التي غزاها الغبار من كل ناحية، كانت تلك الأحرف تتجول في أرجاء عقلي، تسلل ضوء الشمس عبر النافذه بأشعته الدافئة، محضنا إياي ومشاعري التي كادت أن تذوب من حرارة أشعته، أول مره أحسست بالأمان النابع منها، كنت أعتبرها كالضوء الذي في الغرفه، هاهي أتت معانقة إياي مواسية أحزاني، ماسحة عني تلك الهموم، لم أستطيع التمسك بحبل الاكتئاب ذاك، فبمعانقتها لي أحرقت تلك الخيوط التي كانت تتحكم بي، مثل العبيد أحس بحرية الذات العامره في قلبي وذاتي.

ها أنا أحمل حقيبتي بعد هجرتي لها، ومن انتمائي لحزب الاكتئاب، وحزن الذات، ها أنا من جديد أعود وأعيد تلك الخطوات، ذاهبة بي إلى قاعه المحاضرات، ولكن بأحاسيس

مختلفة، البسمة ارتسمت على وجهي، لأول مرة مخلفة وراءها قوانين الاكتئاب.

المارة اندهشوا من دخلتي تلك، وبسمتي على وجهي، مرت تلك الساعات غير الساعات التي كانت تعبر علي، مثل السهم على قلبي، تابعت الدروس بإتقان، دخلت المعلومات إلى خلايا عقلي كرنين الجرس، أخذت بمحفظتي وذهبت إلى الساحه، جلست وحيدة ليس لدي صديقة، جلست أشاهد المارة وإذا بصوت يقاطع شرودي، أراك اليوم تبتسمين ليس كالعادة المعتادة، قلبي ماذا جرى لم تسارع تلك النبضات، إنه فقط صوت وليس بالغريب، التفتت قائلة:

- مرحبا ريد.

- مرحبا روان كيف الحال؟ آسف على السؤال، لقد استغربت وقتلني الفضول، لمعرفه ما سبب تلك الابتسامة؟؟

- امممم وهل تريد رؤيتي عابسة من جديد أم ماذا؟؟

- كلا لم اقصد هذا.

- حسنا أنا فقط أوزع الابتسامات للمارة، لقد أشفقت عليهم اليوم، لم أرد أن أحرمهم من بسمتي لساعات فقط، فلا تدري ربما سأعود لعبوسي.

- كلا، لا تعودي ابق هكذا لقد ظهرت ملامح وجهك الحقيقية، هذه المرة، ابق الابتسامه البارزة، التي تظهر تلك الغمازات التي أدت بالعقل والقلب إلى الهلاك.

- هل أعتبر هذا تحرش أم ماذا؟

- آخ روان، كوني مختلفه في هذه الاشياء.

- أنا مختلفة الذات، كوني فتاة أستطيع التفكير مثلما أشاء.

- ربما أنت صعبة المنال.

- انا صعبة الرضا بالآخرين.

- وانا.

- وما بك أنت؟

- أنا لست كالأخرين، ألا ترين بدأ بالالتفاف أمامي مثل المجنون.

- انظري لم أجب على ذلك السؤال، أنت هنا تتكلم معي وكأنك تعرفني لسنين عدة.

- آخ، لقد تخلفت تلك العدة، لقد تعرفت عليك منذ أسبوعين في المرحاض.

- كلمة مرحاض تجعلني أفقد الصواب، حسنا كفى.

- لم احمر خداك؟؟هل خجلتي؟؟ ها خجلت.

- ابتعد.. هيا ابتعد.

- أين أنت ذاهبة؟

- أذهب حيث أشاء لا دخل لك بذلك.

- آخ لقد فقدت الصواب، صحيح مشيت ببعض الخطوات وإذا به ينطق باسمي: روان، آخ لم لم نطق اسمي منه مختلف تماما، ربما أذناي بهما خطب ما، ماذا تريد؟؟

- لا أريد احباطك، مادمت تبتسمين.

- ماذا تكلم ؟؟

- أنت غائبة منذ أسبوع.

- أعلم.

- الامتحانات بعد يومين.

- ماذا؟؟

- نعم عزيزتي.

- أين أنت ذاهب؟؟

- انت ذهبت أولا ـوها انا أفر منك.

- أبله.

- مجنونة.

رأيته يبتعد مني، و تلك النبضات التافهه تلعب بمشاعري، لا أريد التفكير بهذا الأمر، الامتحانات تكفيني، اخ امتحان لم؟؟ ماذا علي أن افعل؟؟

رنين الهاتف أيقضني تاركا إياي بين الحلم والحقيقة، كانت الثانية صباحا، يا ترى من المتصل هذا الوقت..

- مرحبا

- مرحبا من معي ؟

- لم تعرفني بعد؟

- كلا ربما أنت مخطئ.

- ربما أنا المخطئ، لأنني اتصلت في هذا الوقت.

- ولكن من أنت؟

- أنا الأبله، ألم تتذكري؟

- من ؟ من أين أتيت برقمي؟

- من عند اختك، ألم تقل لك؟

- ولم أخذته، هذه وقاحه.

- حسنا، إذا هذه وقاحة، وأنا أتيت بحسن نية، لكي أرسل لك الدروس السابقة.

- أنت لست من صفي.

- ولكن أساتذتك يدرسونني.

- حسنا شكرا.

- على ماذا؟؟

- على المساعدة.

- كلا أنا ذاهب الآن هذه وقاحة.

- لا يا أبله انتظر.

- ماذا؟

- أرسل لي الدروس.

ضحك مثل المجنون وقال: -ها الأن تعرفين التحدث.

- أرسل لي الدروس وإلا..

- وإلا ماذا؟

- ارسل.

- لطفا.

- لن أقلها أبدا.

- حسنا مع السلامة وتذكري أنا صديقك الوحيد يامجنونة، نوما هنيئا.

- ريد أرسلي الآ.ن

- ماذا لم أسمع.

- حسنا لطفا أرسل لي الدروس.

- اخ يالك من مهذبه، غدا يجب علينا الالتقاء وخذي مني الدروس.

- يالك من معتوه أحمق.

- ويالك من مجنونة

أغلق الهاتف ايقظ دقات قلبي مجددا، لم أنم،اختلط مع دقات قلبي الممتزجة الأحاسيس، ليس لدي الآن سوى أنيسي الوحيد لأبوح له بهذا الشيء، مرحبا يا قمر هل سمعت ما حدث؟

- لم عليك الاكتراث له طالما هو من البشر، وأنت تعرفين البشر مختلطوا الأحاسيس بالغرائز، لا تكترثي للمشاعر ولكن..

- ولكن ماذا؟ ألم تقولي إن استيقظت مشاعري فلن أعيرها لبشري؟

- صحيح معك حق في هذا، لا يجب علي الوثوق بواحد من المارة.

- هكذا هي المشاعر تظهر لنا بزي لم نكن نريد التنكر به، ونحن نعرف الحقيقته في نهاية المطاف يا صغيرتي.

- حسنا سوف أذهب لأستلقي الوداع، أغلقت النافذه استلقيت ولكن لم أكن مقتنعه من كلام الونيس الأول، أمرغريب ماذا يحدث؟ لم لم أقتنع، شيئا ما بداخلي يكذب تلك الأقاويل.

ها أنا لاول مره أرسم خطواتي لشخص، معقول موعد؟

- أين كنت؟

- كنت في البيت؟

- نصف ساعة، وأنا بانتظارك ضيعت حصتي.

- حسنا لم انتظرت إذا؟

- انتظرتك أنت.

- شكرا أين الدروس؟

- لم مستعجلة؟

- كلا ولكن فقط اعطني الدروس.

- ليس الآن هيا معي.

- إلى أين؟

- مسك يدي.. مسك يدي، هل هذا هو الواقع تركته يمسك يدي، ولم أتلفظ بشيء مثل البكماء.

- أين تأخذني.

- اركبي.

- ولم علي ركوب السيارة معك.

- آخ روان، كم أنت قديمة، لن آكلك فقط، هيا سوف ترين، ركبت والصمت عم المكان، ظلت شاردة في الطريق، لم نتلفظ بكلمة، ابتعدنا على المدينة بساعتين، ولم أسأل أي سؤال، كانت لدي ثقة عمياء فيه، رغم أن لدي بعض الشكوك، ولكن استسلمت للمشاعر، جلست كل تلك الساعات صافنة في

الطريق، ومرة على مرة أسرق نظرة لأرى ملامحه، ربما حركة لا إرادية لا أكثر، وصلنا أين هذا المكان؟

- انظري.

- نعم ولكن أين؟

- لم كل هذه الاسئلة؟ ألم تري جمال البحر وصفاء السماء؟ ألم يكفيك هذا؟ انظري استرخى اصرخي افعلي ما شئتي، لا أحد سوف يسمعك، هيا عيشي حياتك ولو لثانية، اصرخي بكل قوتك، انزعي ولو بالقليل من الألم الذي بداخلك، لا تترك الألم، البشاعة تتنكر في ملامح قلبك، يكسوه بضلمته هيا ابدئي بالصراخ.

- كرهت، أنا أكره كل شيء كل شيء في حياتي، أشعر بغصة داخل قلبي، ولا أدري منبعها، من أين الصرخة تلاحقني في كل أحلامي؟ وفي كل ثانية تتردد، أريد معرفه من أنا، ومن أكون؟ ومن أين منبع تلك الصرخة؟ صرخت وصرخت كأنني فقدت أعز شخص، صرخت ولم أكترث عن صرختي، وقعت على الأرض والدموع تنزف بغزارة من جفوني، أتى إلي وحملني إلى السيارة، انطلقنا ولم يتحدث بشيء، وبدأ الليل بخيط حلته

بعد طريق طويل يملؤه سواد طريق و صمت الأرجاء، أوصلني إلي باب منزلي..

- أراك بعد أسبوع.. حظ موفق في الامتحانات

- شكرا.

- على ماذا؟

- لا شيء.

-اهه يا ليل، ماذا سوف يقولون عني هؤلاء بتفاهتهم، فتحت الباب دخلت، وإذا بأمي تعانقني، وتقول: أين كنت؟ لقد قلقنا عليك، فرديت لا تشغلي بالك يا أماه فقط كنت في منزل صديقتي نراجع، وقد مر علي أسبوع لم أذهب للدراسة، والامتحانات غدا.

قالت: حمدا لله تعالي، فقد أعددت لك طبقك المفضل، غيري ملابسك وتعالي تجدينه ساخنا لا تتأخري.

دخلت غرفتي عانقتني عتمتها، وكأنها اشتاقت لي، أخرجت تلك الدروس لكي أراجع في مابعد، غيرت ملابسي، فتحت النافذة، السماء ضبابية لا اثر لونيسي، آهه إذا هيا اغلقي النافذة غدا إن شاء الله، نزلت للمطبخ أكلت وعقلي ضائع، ماذا يحصل؟

الاكتئاب والامتحانات وشخص يحاول دخول حياتي، أنا لا أتحمل كل هذا لم؟

اتركوني برمادي في صقيع أفكاري، دموع غزت جفوني، نهضت بطبقي غسلته، وذهبت مسرعة لجدراني لكي لا يراني أحد بهاته العيون الحمراء، حملت تلك الأوراق مرددة: هل سوف أصاحبك لطيلة أسبوع كامل ؟ فأنا لا أرحب بتفاهات هذا عالم في جدراني.

مرّ أسبوع..

أه أين أبدأ ياله من أسبوع أرهق كل خلايا عقلي، وأحرق كل مشاعري المتبقية، لا فرحة دائمة أعادني إلى اكتئابي لكن كان شعلة، لم كنت أعاني؟ لقد عرفت المنبع، كانت الامتحانات بعد يومها الرابع كسائر أيامها السابقة بنفس المزاج، أعود من امتحان إلى غرفتي أراجع وأعيد الكرة، آهه لكن إلى ذلك اليوم الخامس خرجت من امتحان مبكرا، كانت العاشرة صباحا قررت أن أذهب بالحافلة لمنطقة بها كتب، فقد أردت أن أقرأ أحد الكتب التي قد تعكس حالتي، جلست مقابلة المرآة أعرف ملامحها لكن كنت أتظاهر كأنني لم أرها، وضعت رأسي على النافذة أسمع الموسيقى، ولم ألاحظ أن تلك الأعين مغروسة في وجهي طيلة الوقت، وإذ بها تحرك يديها نحوي، نزعت السماعات قائلة:

- نعم سيدتي، سامحني كنت شاردة، لم أنتبه لك، هل لي أن أساعدك بشيء؟

قالت روان:

- قلت ماذا؟ أنا روان..

قالت: تعالي اجلسي بجانبي وبكلمات متقاطعة هل تذكرتني أثناء شجاري مع أمك؟

- عندما سمعت تلك الكلمات تذكرت كليا ذلك المشهد.

- هل تريد أن تعرفي سبب شجاري مع أمك ؟

- قلت: لا لا دخل لي في شوون العائلة وما يحدث فيها.

- قالت: لهذا أود أن أقول لك لو كنت من ذلك العرق لاكترثت.

- سوف أسألك وأنت أجيبي بكل حرف.

- كم عمرك؟

- قلت: اثنان وعشرين سنة.

- قالت أنت من مواليد جول صحيح.

- قلت آهه نعم كيف عرفت؟

- قالت: أنت من عائلة براشكا.

- عائلة براشكا كلا ولكن لقد سمعت بهذا اللقب من قبل، من هاته العائلة؟

- ألم يحدثوك عنها؟

- لقد سمعت هذا اللقب يدور في حديثهم، لكن لما رأوني أغلقوا الموضوع، التفتت للمرآة وسرحت لثواني، استدرت فجأة، أمعنت جدا في ملامحي، أنت ران برشكا؟؟

- كلا انا روان برفاتي.

- كلا أنا أقصد اسمك الحقيقي، ولقب عائلتك الحقيقة.

- أحسست بصقيع داخل جسمي، لم استوعب كيف تتحدثين معي عن شيء مثل هذا؟ هل أنت مجنونة؟ أنا روان برفاتي ليس لدي علاقة بما تهترفين.

- ليست عائلتك أنا عائلتك، أنا عمتك عمتك أتيت لآخدك، ولكن لم يسمحو لي، أتيت لكي أقول الحقيقة لك، قاموا بطردي.

- أنت مجنونة.. أنت مجنونة.

- إن كنت مجنونة لم عائلتك عند نطقهم لذلك اللقب قامو بتغير الموضوع؟ ولم رأيت امك تشاجرني؟ ولكن عند دخولك غيرت الشجار سوء تفاهم ؟

- كفى عبثا بي، كيف علي أن أصدقك؟

سكت وبدأت بالتكلم وحيدة كالمجنونة، بل أنا لست حزينة، كنت أدرك أنني لست واحدة منهم، ولكن أردت
اظهاراستغرابي. ردت فعلي لهذه المرأة هل لديك دليل.

- نعم أكيد.

- هيا ماهو الدليل قولي؟

- ليس معي الآن دليل ولكن فقط انتظري سوف اكتب عنواني، وتعالي عندي لمعرفة الدليل والحقيقة عن كل شيء.

- إنها جادة تبدو جادة في كلامها، التفت إليها قائلة كيف عرفت مكاني؟

- تتبعتك من بيتك، أردت أن أوصل لك ما كان يجب علي القول والآن هذه محطتي يا عزيزتي أراك لاحقا.

ذهبت المرأة وهي قائلة روان لا تحزني ابتسمة لها حقيقة أم كذبة ؟

- حقيقة وذهبت.

- لم أستطع النزول واقتني ما جئت لي سببه أكملت وجهتي إلى بيتي أحسست شرايين قلبي فاضت من دمائها أحسست بأدوار من كل جهة، دخلت المنزل في وقت متأخر لم ينتبه أحد لذلك

أحسست بالظلام يتناثر، في أرجاء البيت لم أر شيء اتجهت إلى الغرفة أغلقت الباب، وأنا مرتمية على الأرض، أحدق في الظلام الذي أبقاني لمدة اثنين وعشرين سنة تحت أوهامه الكاذبة، التي كانت تجري في زوايا غرفتي، أعرف ذلك الإحساس الذي كان يزورني، ليست عائلتي عائلتي ربتني وليست بيعائلتي، لم أحس بشئ بعد هذا الكلام، إلا و بيد شخص ما على وجهي تتحرك بخفة، مواسية لأوجاعي لم أكن أريد أن أفتح عينيّ والنظر لي من حولي، أحسست بشخص ما التوى بجسدي كله، معانقا كل أرجائي أحسست بالراحة تغمر قلبي، لم أشعر بها من قبل ولم أرد أن أفتح عيني لكي لا يختفي هذا الشخص والإحساس معا، إلا بإحساسي بتمتمات بعض الكلمات في أذني بخفة مع رياح دافئة، قائلا بك أسد وقلي لك أطرب.

نمت ولم أستيقظ، نمت بتلك الراحة العارمة بأرجائي استيقظت والراحة بي مخلفة أثر للبسمة على وجهي، نظرة من حولي لأتفقد من كان معي، لم أر شيئا وكأنه كان حلم وتلك الكلمات ظللت تدور بأذني، توجهت إلى المرأة وكأنني أرى شخصا آخر بتلك الملامح التي علي، غيرت ملابسي أخذت حقيبتي وانطلقت، لم أسلم على أي أحد كان، فقط شيىء بداخلي يردد الكلمات لم أذهب للاختبار أردت الذهاب مباشرة إلى بيت

المرأة، أردت سماع ورأيت ماذا يحدث، أريد تكذيب تلك الأشياء ولكن لدي حدس بي واثق من تلك المرأة ووثق من صحة كلامها، لا يريد تكذبها توجهت إلى المحطة والأمل والفرحة في قلبي لعلها تكون الحقيقة المنتظرة، حضوري لسنين ربما لدي عائلة أخرى، يمكنيني أن أحس باكتمال ذاتي معها، ركبت وأحداث حياتي كلها في مخيلتي تدور وتعيد نفس الشيء، وصلت إلى المحطة هنا نزلت تلك المرأة، أخذت الورقة، بدأت أبحث عن مكانها، كنت مستعجلة من أمري ولم أكن أستطيع سؤال المارة عن موقع هذا العنوان، كانت لدي صعوبة من التحدث مع الأشخاص، ضعت في تلك المدينة، ليست بكبيرة ولكن تعمها كثرة الحدائق والبيوت الصغيرة، ومن كل جهة يقابلك جبل ببيوت بيضاء مختلطة باللون الأزرق، والطرقات الصغيرة المأدية لكل الاتجهات، لا تعمها السيارات كثيرا فقط الدرجات وخطوت ببعض الخطوات إلى وبمقابلتي لنهر بقوارب صغيرة مصطفة واحدة تلو الأخرى، راسمة أجمل لوحة فنية رأيتها، أشارت الساعة الثانية عشر وبدأت بفقد الأمل من وجود ذلك العنوان، كان يقابلني مطعم صغير قرب النهر، دخلت لكي استريح وآخذ وجبة لكي تعوض تعبي طلبت الناذل لكن لم يأتي بسرعة انتظرت وانتظرت مللت كان الزحام يعم المكان، أخذت هاتفي وبدأت أبحث في تلك الصفحات، حتى أتي صوت نحوي.

عفوا سيدتي، كما ترين الزحام يملأ المكان، ماهو طلبك

ذلك الصوت، مجددا مجددا و مكررا باتقان، هل أنا أحلم؟ لم أرد أن أرفع راسي ولم أجب على سؤال، إلا بتكراره لي، وبنفس النبرة رفعت رأسي كفى عن ملحقتي ريد.

- روان أهذه انتي كيف حالك؟
- بخير ابتسمت، لم أصدق هذه الصدفة، في كل مأزق أراه حاضرا.
- ماذا تفعل هنا؟
- كما ترين أعمل هنا نادلا.
- جيد.
- وأنت ماذا تفعلين هنا؟ لم أرك أبدا في هذه المنطقة.
- هل تعرف هذه المنطقة جيدا؟
- نعم أعرف كل بقعة فيها، أنا أقطن هنا، وأعمل في نفس الوقت.
- ماذا تريدين؟ أنا حاضر في كل الأوقات.
- اخ ذهبت معانقة إياه، لولاك لأضعت وقطعت الأمل، عانقني بكل قوته وكأنه خائف من إتلافى أبعدت يديه مني هل تستطيع الجلوس معي؟
- لايمكني، فالمدير هنا ولكن انتظرني سوف آخذ إذن بالاستراحة وآتي إليك.
- حسنا.. جلست انتظرته أتى بسرعة..
- هيا تعالي.

خرجنا من المطعم، توجهنا إلى الحديقة الأمامية له، جلسنا مقابلين النهر بصفائه، قال ماذا بك هيا احكي؟
- أنا هنا لكي أزور أحد صديقاتي، أعطتني العنوان و لم أستطيع معرفة موقعة، كانت محطتها في هذه المدينة ولم تشرح لي بالضبط .
- صديقة ألم يكن لديك أحد؟

- إنها صديقة قديمة لذلك أردت زيارتها، وكما تعرف لم أستطع التكلم معها كثيرا بسبب بعدنا هذا.
- أين العنوان اعطني الورقة.
- حسنا.
- متأكدة من العنوان.
- نعم لم؟
- لأنه بعيد بعض الشيء من هنا.
- كم يبعد من هنا؟
- ساعة تقريبا.
- ماذا؟
- ساعة مشيا على الأقدام، ولكن إن استقليت سيارة أجرة سوف تصلين بسرعة.
- وكيف ليس لدي نقود تكفي لاستقل سيارة أجرة.. وإذا به يبدأ بالضحك قائلا:
- ألم ترينى روان؟ انظري أنا هنا.
- لكن وعملك ؟
- لا تهتمي هيا.
- اخ لولاك ياريد لولاك لكنت..
- كفى ثرثرة هيا بنا.

انطلقنا وطوال الطريق، ولم يستطيع تحريك عينيه مني، انتبه إلى الطريق أحسن من أن أشوه وجهك.

- يا إلهي لقد خفت.
- تافه.
- بلهاء.

ظللنا طيلة الطريق نتكلم عن الأيام التي مضت، وكيف هو هنا، لم نحس بالوقت حتى وصلنا إلى العنوان..
- هذا هو العنوان بالضبط.
- اخ شكرا ريد.
- العفو روان أي شيء تحتاجيه فقط أرسيلي لي إشارة.
- إشارة.
- أقصد اخ لا شيء، فقط إن احتجتي شيئا سوف تجدينني أمامك مع السلامة.
التفتت وها أنا ارسم خطواتي، أتجه إلى ذلك البيت الكبير، ربما فقط هو ذو ثلاث طوابق، فكل المنازل التي هناك كانت ذات طابقين، ومتشابهة إلا هذا البيت يختلف، لون بياضه المائل إلى الاصفرار، وتلك الأشرطة الزرقاء التي تحوم حوله، باهتة اللون والازهار المحاطة أمام الباب ذابلة، وكأن لا أحد يسكن هذا البيت، إنه مختلف كليا عن البيوت المقابلة له، ببهجتها تلك كلما اقترب له تزداد نبضات قلبي كنت كلما اقتربت أحس أن داخل قلبي مغناطيس يجذبه إليه، كنت على وشك دق باب حتى بتذكري، إنني نسيت رقمه، ريد أين هو؟ أين السيارة؟ كيف اختفى فجاة هكذا؟ اخ فقدت عقلي حتما.. وإذا بالباب ينفتح وكأن صوته يقول: أحسست بقدومك ياروان، التفت قائلة: اهه سامحني على التأخر، فقد ضعت في هاته المدينة الواسعة طيلة الصباح أبحث عن عنوانك لكن باءت كل محاولاتي بالفشل وبدأت بقطع الأمل على إيجادك إلا وبصديق أعرفه يقطن هنا أوصلني إليك.
- كفى ران لا داعي لكل هذا قلت لك تعالي وقت ماشئت، ادخلي مرحبا بك في منزلك مجددا، آهه دخلت وإذا بذلك

النسيم الذي ملأ رئتي بريح انتماء له، وبتلك الجدران التي عانقتني بترحيب حار لم أكن أتوقعه، البيت يرحب بي وكأنه كان ينتظر قدومي بلهفة عميقة، الممر الذي أمشي فيه وكأنه يعانقني، ألقيت بصعوبة على تجاوزه كان ممرا طويلا ذو لون رمادي، لا يوجد عليه سوى إطارات فارغة من دون صور، أخذتني للطابق الثاني، يوجد به غرفة المعيشة وغرفتين جلسنا بدأنا بتبادل كلمات وأحاديث ثم قالت سوف أعود أعلم أنك فقدت الصبر بانتظار ضحكات متبادلة بشرودي بين تلك الجدران الميتة وتلك الصورة التي على الجدار، دون إطار تبدو أنها صورة لعائلة شاحبة بمنظرها ذاك، ولونها الخالي من الحياة حتى وبها تأتي حاملة لصندوق يعلوه الغبار بلونه ذلك الذي اعكس صدق الموضوع، وضعته على الطاولة، وقلت:

- هيا ماهو الدليل؟

- هذا الذي حدثتك عنه، سوف أريك ما بداخله. فتحت ذلك الصندوق وتلك الأقفال الموصدة على صندوق تراكمت الحان حزن معها، و في حين اخراجها لتلك الظروف شاحبة اللون، أحسست بانفجار داخل شراييني، أيقظ فضولي بدأت بعرض تلك الصور بين يدي، أتحسسها بين أصابعي وكأنها تتمسك بي، لا تريد السقوط من يدي تعود بمجرد رؤيتي لتلك الصور، أدركت معنى ذلك الفارغ الذي ظل يلاحقني، صورتي مع فتاة نفس الندبة، وأعين اخ أقشعر كل جزء في جسدي، علي

بتصديق هذا الشيء، أريد تهدئتهم كفى لقد عرفت الحقيقة لم أرد أن الفت انتبه، السيدة تظاهرت بأني لا أكترث لكي أتحقق أكثر من هذا، وتزيد طبول انتصار علوا بداخلي، إلا وبقولي هاته إلا صور فقط، قد تكون بأشخاص لا يشاركوني ولو بدمعة إلا وبقولها:

- ليس عندي سوى دليل واحد، ندبتك أنت وأمك.

بمجرد سماع تلك الحروف بدأت بكسب ثقتي بها أكثر فأكثر.

قائلة: عن أي ندبة حدثيني.

- ندبتك على وجهك مثل أمك.

أردت أن أعلم أكثر عن هذا الشيء فقد شغل بالي طيلة حياتي، قلت كيف أنها سوى ندبة لا أقل كلنا نتعرض لجروح عميقة.

انظري انظري أرتني صورة أخرى لي مع أمي وندبة ظاهرة على كلينا وكأنها نجمة مشعة وسط جبهتنا، من هي هذه وكيف؟

- ربما صدفة فقط.

- كلا ليست صدفة.

- لا أصدق ماترى عيني صورة لي تجمعني مع نصف أمي تشبهني بندبة التفت لتلك السيدة قائلة:

- أريد وصفا تاما لهذه الندبة التي تجمعنا.

- حسنا كما تريدين، لكن لا تنصدمي بما سوف احكيه لك، ولا تعتبيري كلامي تخريفا، ما هذه سوى الحقيقة، ولدي دليل عنها، أحسست أن بين كلامها وأسرار كثيرة لم أستطع قول شيء، سوى تحريك رأسي بالاستجابة لأمرها.

- سوف أريك شيئا، لا تتلفظي بكلمة، فقط اتبعي كل حرف أنطقه حتى آخر حرف.

جريدة يوم 25/04/1997..

حادثة مروعة هزت أرجاء مدينة بوقعها، والغريب في الأمر أنها وقعت في بيتين من نفس البلدة، لم يدركوا ما حدث ولم يشرحوا عن ذلك الضوء النابع من تلك البيوت..

حركت تلك الحروف عيني، وحلقت بي لمنبع تلك الصرخة، تلاعبت مشاهد غير مفهومة في أرجاء عقلي، وكأن بدأت ران الحقيقة باستيقاظ، بين ذلك الحطام الذي أبقاها تحت أوهام لطلية حياتها، أحسست بولادتها من جديد بين أحشائي، بين هاته الكلمات التي أعطتها أول أنفاس، دور روان بدأ بانتهاء وبرسم سطوره الأخيرة في حياتي، قلت وماعلاقة هذا حادث بي قد يكون إلا ماضي ليس له علاقة بي، و لم تربطين كل هذه الأحداث بي؟

لم أنت سلبية بعد كل هذا؟ أعرف أنك فقط تريدن المعرفة أكثر، إذن اتبعني بين عمق قصتك، ولا تقاطعني، اتركني أسرد عليك كل ماجرى بين محيطها، وأموجها التي قد أغرقتنا لسنين في عمقها.

- أنا مستعدة للإبحار معك في محيط هذه الرواية..

اسمعني جيدا، إذن لنعد لسنة ألف وأربعة مئة و تسعين، شهر جول، لحق خبر ولادتك بعد انتظار طويل حرك كل أرجاء العائلة؛ لأن الأطباء قالو قد يموت أحد الطرفين عند الولادة قبل أشهر، فقد مرت علينا كأعوام نموت بداخلنا كل يوم لكن كنا نتظاهر بشجاعة أمام أمك لكي لا نزيدها يأسا، نواسيها بكل الكلمات لكن حتى ذلك اليوم في الساعة الواحدة صباحا بعد ثلاث ساعات من دخول أمك لقاعة جراحة، فقد كان يجب على الأطباء إخراجك بتلك الطريقة، ملأ الصمت الأرجاء لطلية تلك الساعات، فقط كنا ننتظر خروج الأطباء بخبر أن طرفا أفدى روحه لعيش الأخر، حتى ملأ صراخ أرجاء المستشفى وحرك أعمدتها بخبر حلق بنا بين سحب صافية بعدما كانت سوداء بحزنها، فتحت ستائر السماء بسعادة، تركت وشمها في قلبنا إلى غاية اليوم، أطباء يهتفون وكل لقد بكت الطفلة وفتحت المرأة عينيها، الكل يهتف حمدا للرب، خبر لن ننساه لكن ماكان غريب ولم نتنبه له حتى أتت إلينا طبيبة قائلة لي، بعيدا عن الكل مايشغل بالي ليس من عادة أي مخدر للعملية أن يستيقظ في حين فقد كنت مسؤولة عن تخديرها، اختفيت عن الأنظارلتحقق من الكمية التي وضعتها فقد ظننت أنني قد أخطئت و بدأت أعاتب نفسي لأن ذلك قد يخلف أعراضا و خيبة، لكن تحققت ووجدت أنني لم أقصر في دوري لكن مالفت نظري في حين تفقدي، ولم أكترث أن السيدة كانت أعينها طيلة الوقت مغروسة في السقف، كلمتها لم ترد ظننت أنها قد فارقت الحياة لكن حين رؤيتي لجهاز القلب كان معتدل النبض، قلنا لعل أنها لم تستوعب الوضع أيضا ولكن في الحقيقة بقت أمك لطيلة أربعة أيام في المستشفى لإكمال كل

متطلباتها حتى تخرج بالراحة، وكانت طيلة تلك الأيام لا تتحدث وكأنها في عالم آخر، قد أفزعنا الأمر، وظننا أنها قد فقدت حس الوجود، فقد كانت تأكل وتنام، فقط بعد رجوعها للمنزل وأخذها تلك الأدوية بدأت بالتحسن يوما بعد يوم وشاركتنا الفرحة، لكن أنا فقط من حكت لي لم كانت بتلك الحالة فقد كانت واعية بكل ماجرى حولها حتى أنها قالت لي أنها رأت نفسها مستلقية على سرير الجراحة والأطباء يخرجونك فمن رحمها، وبعد أسبوع أخدتني إلى غرفتها قالت أود أن أخبرك بشيء فلا أحد يعلم به إلا الله، وأنا وها أنت لأني أود ان أخبرك بما جرى تحسبا لما قد يحدث بعد..

إنه كلام حرك مجرى كياني، أظن لم أسمع مثله يوما ما، حطم قلبي تركني تحت حطام، قالت أنها سرعان ما خرجتي خنقها شيء بعدما أيقضها، فعاد بي الزمان إلى كلام تلك الطبيبة التي اشغل بالها.. حكيت لها، فقالت دعيني أكمل بعدما فتحت عيني سمعت همسا في أذني مصحوبا بصوت خشن يملؤه حزن وتأسف قائلا: هذه ليست ابنتك أيتها البشرية بل إنها منا ... ابنة قبيلتي ... قبيلتي أنا.. خاصة بنا بنا مرددا لساعات ليست لك التي لا بد أن تختلط بدمائكم البشرية المقززة.. لاستمرار توغلنا في عالمكم لكي نستمر بغزونا، وتستمر تلك الباب بين عالمينا فهدفنا التخلص من الندوب، ووضع أعمدتنا هنا بين عظامكم، وثم وضع يديه على عنقي ممسكا بي بكل قوته، جارا روحي إلى أعلى قائلا: انظري كيف ينتزعوها من احشائك، هكذا سوف ننتزعها إن واجهتنا بالرفض، بعد تلك الكلمات أفلت روحي، سقطت ذاتي و كياني بالكامل، أحسست بثقل وصعوبة في التنفس، فأنا لا أعلم متى سيأتون لأخذها

كانت أمك تحرص عليك، لم تتركك من بين أحضانها تغتنم كل ثانية بوجودك، فكانت لا تعرف متى سوف يتم استرجاعك، مر عام كل شيء طبيعي لم يحدث أي شيء مخالفا للواقع حتى أتى يوم ولادتك، عيد ميلادك الأول بين أحضان العائلة، فكنا غير متوقعين أن يحل وأنت معنا، إذن كنا كلنا مجتمعين في المنزل، كانت أجواء حماسية وبسمة على كل واحد منا وأنت بتلك الخدود الحمراء والملابس الوردية التى أتذكرها إلى غاية اليوم، لكن كانت ابتسامتك غير مرسومة، كأنك بعقل أكبر من جسمك ذاك وذلك اليوم لم يكن أباك حاظرا، كان في عمل فقد كنا نقول أنا وأمك انظرو إليها غاضبة من غياب أبيها في عيد ميلادها، نغطي كل شيء بضحكات وبداخلنا شعلة من الأحزان تحرقنا، بما يجري حولنا لما القدر توقف عن كشف عما سوف يحدث، هل هو أيضا متردد من خطواته التي قد تترك ألما في قلبنا لطيلة حياتنا.

بعد تقسيمنا للكعكة بدأت العائلة بالعودة إلى منزلها، لما بدأت الشمس بالغروب والظلام برسم نجومه في السماء، إلا أنا أردت أن أبقى مع أمك لمساعدتها والبقاء معها، لأن أباك لن يعود في تلك الليلة وكانت الساعة تشير إلى الثامنة، أخذتك أمك إلى غرفة منفصلة عنا، كي تنامي، كنا نتبادل الحديث بكل صفاته نعود بزمن لذكريات حتى برق المنزل بذلك الضوء الشديد، الذي انبعث من الغرفة التي كنت تنامين فيها، جعلنا نهرول إليك بفزع ونبضات قلبنا تزداد سرعة، كنا على وشك الموت، فتحنا باب غرفتك لنتفقد ماذا يحدث وإذ بنا نجد شخصا يريد حملك، ولما رآنا اختفى، شخص غير بشري بقامته تلك ولون عينيه الذي يميل إلى لون السماء في غروبها، ببياض تلك

البشرة وسوادها لن تفهمي ما أتكلم عنه، حتى أن تريه شخص من عالم بقوانين وصفات غير قوانيننا، بدأت أمك بالصراخ مما وإذا بذلك البرق مجددا لشدته أغلقت أعيننا رأيت ضوء كأنه وهميا لذلك فر خارجا من الغرفة بسرعة من صراخ أمك، حين خروجه خلف وراءه ندبة، لم تستطع أمك الوقوف على قدميها سقطت فلم أكترث لها، ركضت إليك حملتك لأتفقد أمرك و إذا بي أرى نفس الندبة بموقعها وصفاتها المشتركة ثم أدركت أن تلك الندبة ماهي إلا علامة، وأدركت أنه أتى لوشمها فيك فقط لكن بخطأ طبعها على أمك أيضا، ثم قلت في نفسي هاهو القدر تغلب على خوفه وصمته وضع بطاقته التي قد تنتهي بكل هذا، أعرف أنه بعد الآن سوف تغلق جلستنا مع القدر ويغدو بخطواته و ينهي كل شيء تركا إيانا وراءه تحت حطام الأحزان، آخذا بنا إلى أدغال التعاسة.

مرت تلك الأيام و لم نستطع نسيان ما جرى بكل ثوانيه المغروسة في الذكراة، من ذلك اليوم فقد قررت أن أبقى مع أمك لسوء الأحوال، لم أعد إلى منزلي وبعد عام من الحادثة زاد تعلق أمك بك، تحملك من شروق الشمس لغروبها بدموع تحرقني، كلما أرها تسقط من عينيها يسقط قلبي معها، حتى ذلك اليوم الذي كنا في طاولة عشاء، أبوك كان صامتا، كنا نتبادل الحديث وهو شارد في ملامحك ثم انحنى إلى الخلف واضعا ما بيده متوقفا عن الأكل ثم تنفس بذلك الثقل الذي أتذكر آخر حروف أخي بشدتها وسكونها قائلا: قررت أن أرمي بالقدر هذه المرة إلى المقدمة، قررت أن أحمل كل ذكرياتي وعائلتي وأغراضي إلى المجهول بعيدا عن هذا الفصل في رواية حياتي لعله يكتب في صفحات جديدة مايفرحنا بين سطوره،

فبعد أسبوع سوف ننطلق، سوف نودع كل العائلة قد تكون آخر خطواتنا هنا، ثم بعد تلك الأيام ظللنا نجمع الأغراض والدموع تذرف من أعيننا، نحتضن أنفسنا في لحظة نغتمن أخرأيام بيننا، فسوف يخلق القدر فاصلا بينا حتى نلتقي في الجنة بين يدي الرب، كانت طيلة الوقت تقول لي فقط اذكري اسمي سوف تصل حروفك لعقلي، اهه تلك الكلمات التي لن أنساها، أمك التى كانت العروس الوحيدة في المنزل التى أحسها وأنيستي وسندي الذي كان معي في كل الأحوال، تلك المرأة بصمتها حملت كل من في العائلة على ظهرها، حبها الصادق لأبيك مشع مثل القمر كم أدمع لتذكرها، ابقى أحيانا هنا أحدق في الجدران أعيد الذكريات التى جمعتنا في الفرح والحزن، تلك المرأة التي يملأ الحب قلبها تحيا بغموض قوتها وصرامة شخصيتها مثلك تماما، لا تظهر فضولها صامتة من الخارج أما في دخلها براكين و أعاصير قد تنهي بكل من حولها جميعا، اهه بعد أسبوع ها تلك العائلة الصغيرة بحجمها وأعمارها تودع الكل وترسم عجلات عربتهم بين الظلام على الطريق يبتعدون وقلبي يموت، أخي الكبير وونيسي وتلك الصغيرة يتركون وراءهم ذكريات هبت علي بإعصارها لتحرك عربة لم أستطع التحمل، غرقت في الدموع، أسرعت إلى داخل سقطت على سريري أغلقت الباب لم استيقظ حتى بعد ثلاث ساعات بسبب رنين الهاتف منتصف الليل، من المتصل الآن، كان خبرا يحمل كلمات أثقل من تحملي قد تغلق صفحة حياتي طلبت من عمك أن يرد تلك الكلمات التي لازالت مغروسة في وجداني.

لقوله تلك الكلمات عكس الخير، غرقت في دموع مرددة لا لا لا أخي سيبلام سيبلام روان، وإذا بعمك يحرك يديه

نحوي، وقال: نعم عائلة يرشكا من المتصل.
- لدي خبر مؤسف لكم، ثم أخبرنا بكل شيء، رددت هل مات أخي سنيام سامحيني ياسيدتي كل من في السيارة جميعا سوف أترك لكم عنوان المستشفى لتتاكدو من الجثث.
سرنا بالسيارة متجهين نحو الطريق السريع، وصلنا للمستشفى بعد أربع ساعات تفاجأنا بموت سنيام وسيبلام، لم أتحمل، صمتهما بعدما كانت الحياة تدق فيهما ولكن ماكان يشغلنا لا أثر لك هناك بالمستشفى، ذهبنا راكضين إلى قاعة الاستقبال نردد لقد كانت معهم طفلة وهي ابنتهم، بقولهم تلك كلمات التى أراد قلبي أن يخرج من مكانه، بقولهم بلا، لا يوجد أي شخص غيرهم، كانت سيارة مفحمة، بدأنا بالصراخ، ودعونا اليوم لسفرهم ليس وقت النقاش والتفاهات نريد الذهاب لموقع الحادث بدقائق أتت الشرطة، أخذتنا لموقع الحادث بعدما وصلنا بعد ساعة ثم ذهبوا للاستفسار عما بلغنا عليه، بدؤوا التفتيش في كل ناحية، بقى معنا اثنين من أعوانهم لكي يأخذو منا كل المعلومات المطلوبة ولتحقق من صدق الموضوع في حين تكلمنا ووصفنا، كل شيء إلا وبسماعنا صرخات طفل من بعيد كلنا نركض نحوه نتتبع مصدره بين ظلمة الفجر،إلا وبرؤيتنا لك في وسط الأحجار لم نستطع أن نخرجك بسهولة من ضيقها إلا بتعاون من رجال الحماية وبتلك الندبة المشعة في جبهتك كأنها تود ان تضيء جحرك الضيق .....
أخذو بك من بين أحضاننا بفكرة أن الحكم من سوف يعتني بك لطيلة العام، ثم ترجعي لنا لكي يتحققوا من صدقنا في حمايتك، صدمنا ذلك الخبر، فيجب أن يعيدوا النظر في عدة أمور، عدنا أدراجنا محبطين من الوضع، عدنا ممتلئين

بالأحزان إلى المنزل.
لكن بعد شهور وردنا اتصال وأخبرنا بخبر قائل: عائلة برشكا الفتاة التي تدعون أنها ابنتكم في الحقيقة اسمها روان وأنها ليست فتاتكم روان تعود لعائلة برفاتي، والتي كانت مفقودة منذ مدة لسفرهم لتلك المنطقة بيومين و شكرا.
أما هاته الطفلة فلا يوجد أثرها و قد تم غلق ملفها لدى مكتب التحقيق و شكرا.
- ماذا؟
أحسسنا بصفعة من ذلك الخبر، تركنا في صقيع وبتعامله راودتنا شكوك عدة في ذلك الخبر الذي ألقاه علينا، فقد بقينا أنا وعمك نذهب كل يومين لتلك المنطقة لمكتب التحقيق ذاك سعيا لإيصال الحقيقة ومعرفة ماذا يحدث حتى قررنا أن نحاول البحث على عنوانهم، لأنهم لم يريدوا ان يسلموه لنا، فقد أردانا أن نزورهم بالخطة، أننا نتفقد صحة المنازل، لأن إعصار سوف يصيب منطقة لكي أتفقدك والندبة، فسرعان ماقمنا بتلك الخطة دخلنا منزلهم طلبنا بعرض علينا كل أفراد العائلة لكتابة أسمائهم، فإن حدث شيئا تكون لدينا كل أسماء الأشخاص في البلدة حتى رأيتك بتلك الندبة، ففهمت كل شيء ضعت في التفكير والدموع كادت تغرقني، فهنا كل هذا لأن أمك تركت وصية لي حين كانت تكلمني عما حدث لها أثناء الجراحة، أوصتني أن أتكفل بكل شيء إن حدث لها أي مكروه، وأنا أولى بران إن حدث مكروها لها .

آخ انصدمت كليا بتلك الكلمات التي ألقتها علي عمتي، وتلك الأحداث التي أسقطت دموعي كلما ألقت علي بها، لم أفهم ما أقول بترديدها:

- سامحيتي روان هاته ران الحقيقة التي فيك التى دفنت في زمان يملؤه الوهم، فقد حاربت من أجلك، لكنهم يحطموني دائما بكلمة ارينا دليل الوصية لكن أمك لم تكتبها في ورقة لي، لكن مهما حدث فكلماتها عند الرب مغروسة في عقلي والله سوف ينصر الحق.

رميت رأسي بين أحضانها بكيت كثيرا، وثقل تنفسي، تتبعه كلمات أردد نعم نعم كنت أعرف منذ صغري لكن بدون مشاهد في عقلي، اهه عمتي أخيرا، آه كنت أتظاهر ببرودة المشاعر لكي أعرف وأطمئن أكثر، هي تبكي وتعانقني وتقول:
- مثل أمك سيبلام و كأنها هنا بجانبي.
- قلت عمتي قررت أن أرمي مساء اليوم القدر إلى مقدمة دربي، مثل ما فعل أبي حتى ولو تسبب ذلك في موتي، هيا غيري ملابسك لنذهب لنلقن درسا لتلك العائلة.
- قالت اهه ران لنكتب صفحات جديدة، ونغير هذا الوضع ونمحي الأوهام.
- فقالت لنذهب أولا إلى آخر دليل سوف يزيد وثوقك بي إلى

قبر والديك، مشينا وبكل خطوة كنت أحس بنبضي يزداد، وشيء مايجذبني إلى الإسراع و الدموع على خدينا، كلاينا وصلنا إلى المقبرة، أرتني مكانهما ركضت رامية جسمي على ترابهم، دخل إلى فمي تلك أسماء سنيام برشكا وسيبلام مبرمان وسنة الوفاة تلك، اهه بكيت و بكيت وأنا أردد لقد قررت وأنا سوف أفعلها لتخلص من هذا الألم وأدفنه هنا أمامكم أنا آتية يا أمي وأبي، تركتموني بين عالم تملؤه أكاذيب وأوهام واذا بعمتي تحملني وأنا أردد: اتركوني هنا..
وهي تقول: لايزال مايجب أن تسعي لأجله.

رسمنا خطواتنا اتجاه ذلك المنزل، دخلنا دون ترحيب الى غرفة المعيشة مثل المستعمرين، وإذ بهم يروني مع عمتي، اتسعت اعينهم مثل المفترسين فقد كانوا يتبادلون الحديث لغيابي وإذا بتلك المدعوة أماه من قبل روان أخذت بيدي وهي تردد: هل غسلت مخك؟؟ هذه مجنونة بتفاهاتها، قلت: نعم غسلت تفاهاتكم أنتم، وأكدت لي الحقيقة، فأنا أعلم منذ صغري هنا بين جدرانكم التي وضعتموني فيها تحت قوانينكم وزيفكم، دفنتم شخصيتي الحقيقة بالشخصية التي اطلقتموها علي، لكي أمثل دورها بينكم لفقدانكم لها، لكن ذكريني بابتسامتي لكم متى وانت تعرفين باني فطنت لكذبتكم و اني لست ابنتك لهذا كنت طوال الوقت بملامحك تلك خائفة من مواجهتي مثل ما تواجهين أولادك فأنت دائما ترسمين ملامح الشفقة علي التي تبوح بكل تاريخيك انا ران برشكا.

التى كانت في المستشفى وأخذتموها دون شفقة، أطلقتم بفعلتكم تلك أسهم حول عائلتي التي وجدت نفسها عاجزة أمام، عالم تحكمه أوراق فقط، آه بذكريات ترسم دموعا كل ثانية

نهض ذلك الوالد متجها نحو عمتي دافعا وطاردا إياه خارج منزل بأقبح كلمات، وتلك الأم أخذت بي ودفعتني إلى تلك الغرفة التي كبرت في أوهامها، وأردد بصراخ عمتي لأني تأكدت أكثر، ولقد بدأ القدر بقلب البطاقة لا تقلقي، أراك فإنما من يكتم سر لسنين لو كشف أمره لكانت ردت فعله بتدمير وتخريب، فقد كشف أمرهم أكثر وها أنا داخل الغرفة، اشتعلت النار في قلبي، واستيقظت ران من سباتها، كنت أصرخ بكل بهجة و ازدادت الطبول في شراييني طبول الحرب بدأت بكسر كل ما في تلك الغرفة لساعات، وأودع روان أقفز مثل النحلة، أحسست وكأنني ولدت من جديد حطمت كل مافيها وإذا بي مستلقية على سرير بين حطام غرفة، أتجول في عقلي بين ذكريات وأحداث أغوص في قرارات، وإذا بالنوم يأخذني، حتى أحسست برياح برد جسمي، وكان أحدهم فتح النافذة وكانت الساعة حوالي الثانية صباحا، صوت الرياح الذي كان متناسقا بفراغ باطني، وإذ بحرارة غزت أعماقي كأن شخصا يعانقني أو كان ورائي.

غلقت عييني، تذكرت الشخص الذي عانقني من قبل، وإذ بصوت أعرفه ريد فتحت عيني اتسعت حدقة عيني، التفتت ونهظت بسرعة ريد ريد، كيف دخلت ماذا تفعل هنا، ماهذا أسئلة احتلت عقلي، كيف لهذا الشخص أن يكون بجانبي في أحلك الظروف دائما؟ قال وهو يضحك: اجلسي اجلسي واهدئي، سوف أحدثك بكل شيء ثم سوف نغادر هاته الغرفة معا، حان وقت التخلص منها وبدء رحلتنا.

- ماذا تعني برحلتنا؟

- اصمت دعني أبدأ حديثي بشيء.

- نزع قميصه وإذ بضوء يغزو عيني، ماهذا؟

- انظري نفس الندبة نتشارك فيها، صحيح.

تجمدت لوهلة، عاد بي الزمان لتلك الجريدة التي أرتني عمتي، قلت:

- ريد هل مات والديك ايضا في حادث.
- نعم وما حكت لك عمتك منطبق علي ، مكتوب بين أقدار فقط، طال الزمن أن يجمعنا في حين رأيتك لأول مرة في الجامعة، رأيت تلك الندبة، لكن لم أرد أن أحدثك عنها خائفا أن اخرب كل شيء، فتركت الرب أن يروي احادث بسطورها حتى ذلك اليوم الذي التقينا فيه.

- كيف تقول هذا الكلام، أتحسبني مجنونة؟ كيف لي تصديقك؟

- روان أقصد ران، نحن لا ننتمي لهذا العالم، انضري الندبة لم تكتشفي قدرتها، فأنا قد فعلت، لهذا اختفي بين الأنظار وإذا حدث لك مكروه تجدني بجانبك وقد سفرت لعالمى السفلي وعدت من أجلك، لم أرد أن أبقيك في حزنك، والتقيت بملكنا برقان.

- عما تتحدث ماكل هاذه الخرفات، ريد لقد زدت كمية الليلة، لقد سكرت بخيالك هذا.

روان اعطني يدك، وقال لنغادر هذه الغرفة وأريك بمشاهد وليس بالحروف، أعطيته يدي أحسست بكهارب غزت عروقي، وبندبة تشتعل، احسست بخلايا في جسمي، أحيت وزاد نظري وأحسست بخفة ارتفاعنا على الأرض، لم أصدق ماترى عيني، و بقيت أردد: اتركني ريد صدقتك صدقتك وإلا به يظمني إلى احضانه محلقين خارج السقف، ولحظة اختفاء أجسادنا وإذا ببرق ملأ غرفتي، وأرى أضواء لمنزل تشتعل وأرى وراء سقف العائلة، تفتح غرفتي حلقنا بعيدا قائلا سوف نذهب إلى منزلك القديم، سوف أريك شيئا لم أستطع تحمل تلك الرياح لسرعته بين أعيني أحرقتني، وإذ بنا بعد ثواني دخلنا لتلك الغرفة، وإذ ببرق من جديد اشتعل في تلك الغرفة لقدومنا، التي حدثتني عنها عمتي، قال: ريد ، وإذ بي أرى عمتي بدأت أسرد عليها كل ماجرى لي، وبتعرفي لريد وأنه هو من عائلة أخرى التي حدث لها نفس الحادث، وإذ بريد قائلا: ودعي عمتك فلا نعلم متى سوف نعود أو حتى إن كنا سنعود، لم تفهم عمتي كلامنا، عانقته بدموع قائلة: ولا حتى أنا أعرف أين أنا ذاهبة، فقد سئمت، ليروي القدر عجائبه وغرائبه، الوادع ياعمتي.

دخلنا تلك الغرفة، قال: اغمضي عينيك وشدي بيدي

ورددي معي ماقول وإلا ببرق مختلف عن ذاك، وإذ بي أفتح

عيني، فأرى طفلة صغيرة مستلقية في وسط الغرفة، وكلام يملأ

أرجاء المنزل حتى ظهر نفس الضوء و ريد يقول مرحبا بك.

في الماضي هذه أنت تراقبي الأحداث، وإذ بنا نرى ذلك الشخص يحاول أن يأخذني لم أفهم من حتى هز ذلك المنظر عيني، أسقطني على الأرض لأول مرة لطيلة حياتي أرى أمي بذلك الجمال، عندما فتحت الباب و هي ترتعش لخوفها علي بتلك العيون التي رسمت مشاعرها وذلك الصوت النابغ من أحشائها أسرعت إليها لأعنقاها لكن كانت وهم بين يدي، وقال ريد متارياه سوى حاضر عابر ليس إلا فقط، راقبي ليس لدينا الحق في التلاعب بما حدث أو حتى إحساسه، انظري كيف طبع على أمك نفس الندبة، مما كان سببا وراء حادث السيارة، لنذهب إلى موقع الحادث أو اعطني يدك لنذهب الى بداية لحظات والدك، وهو يقرر تغيير القدر.

غيرنا الموقع برمشة وجدنا انفسانا في المطبخ، أبي دمعت عيوني لرؤيته وأمي على الطاولة وأنا بين أحضان أمي

تطعمني، وحينما رأيت ملامح المرأة أدركت أنها عمتي، وتأكدت كليا أن ورائي تاريخ تم طمسه بين الجدران،

اه وإذا بريد يقول اصمتي لأنه سيتحدث والدك، ذلك الصوت الذي ملأ عقلي؛ صوت أبي لم أتحمل ما أرى كله يزديني ألم بداخلي، وهو يتمتم آخر كلامته وآخر قرار في حياته من أجلي، وأردد لا أبي لا تفعلها إنها خطوة ألقت بنا في أوهام هؤلاء، وكأنني أود تغيير ماجرى، ولكن انقضى ذلك العهد.

فالرب من يغير إن شاء، أما نحن فمجرد أجسام متناثرة بين حطام الزمان الذي يتركنا فيه وراءه، مجرد ذكرى عابرة، سمعت نداء ريد و كأنه من بعيد:

- هيا اسرعي فقد فاتتك أحادث، و إذ بي أرى نفسي داخل عربة، تشق طريقها نحو المجهول، أبي وأمي يودعون الكل

بوداع أخير، وسوف تصبح أجسامهم صامتة في بضع ساعات، بعدما كانت الحياة تجري في عروقهم، حلقنا وأسرع بنا زمن وإذ بريد يستهدف أحد السيارات التى كانت تمشي وحدها في وسط الطريق السريع في الظلام، لم أدري مايجري حتى رأيت ريد يجرني داخل سيارة وها نحن على وشك أن نرى آخر الأحادث التي كتبت بين العجلات، كانت ليلة هادئة وعم صمت داخل السيارة، أرى نفسي نائمة وأبي يشق دربه إلى المجهول وأمي تحدق في النافذة تراقب النجوم وعيناها تدمعان كان قلبها قد احترق بكامله، بمرارة التي احلق بها منذ ولادتي، اهه أدمعت و قلت سامحيني يامي لم يكن كل هذا بيدي فقد كتب في الجبين، حدقت في ملامحها وإذ بضوء أبرق من ندبتها أصبح المكان و كأنه صباح لشدته لم نرى ماحصل حتى انقلبت السيارة خارج الطريق نحو منحدر، سمعت بصراخ أبي وهو

يتمم اخلر حروفه لله ثم اصطدمت السيارة بصخرة مما أدى إلى انفجارها، كنت طيلة ذلك الحادث أحدق في أمي وأبي حتى نطق ريد، لم تنتبهي إلى ما حدث: قلت لا، قال: انطري وراءك لا أثر لك فقد أخذك ذلك الضوء بعيدا عن الحادث قلت إلى ذلك الجحر صحيح .

نعم بالضبط وأود أن أقول لك أن من فرق الحياة شخص واحد فقط أباك.

- قلت: كيف؟ وأمي هل تود أن تفقدني عقلي بعد كل هذا.
- قال: أمك لم تمت إنها في عالم آخر، لا أستطيع أن أذكر اسمه سوف ترينه بأم عينيك.

فرقنا المكان بتجمع الشرطة والاسعاف، بكيت وحلقنا عائدين لتلك الغرفة، وصلنا وقال ريد من هنا تكن بدايتنا من هنا سوف يكون نزولنا، من هنا سوف ترى عجائب ذلك مكان فقط بعد ايام قرري كيف لي القرار وانا بهذه الحال عرفت من أكون ولكن لا أعرف من أين أنتمي، هل أنا بشرية أم جنية بنصف بشري، وكيف علي النزول لي هناك ظلت هذه الأسئلة تحوم وتحوم في خلايا عقلي، قرارسوف يأدي بحياتي للعدم أو

للحياة من جديد أم أنني الليلة سوف أتخذ قراري، كيف هذه الليلة سوف تقررين ولكن ياران هذا القرار سوف ينهي بك في عالم السفلي ولا مفر في هذا إن اتخذت قرارك الليلة، إذن خمني وما أدراك قد يكون قراري بالعدم، أراك ران ودعا.

وها أنا في بيتي عائلتي من جديد في غرفتي التي كنت أتأمل سقفها، وأنا في عمر الزهور، ولم يتكمل ذلك إلا بكارثة عظيمة، أدت بحياتي للركض وراء حقيقتي، ها أنا أتواجه مع جدران من جديد بنفس العيون، ولكن بعقل جديد غير ذلك العقل صباني، كيف علي اتخاذ هذا القرار وأنا لم أتخذ قرارا مهما في حياتي، وإذا برنين هاتف لعين مجداد ران تذكري بين يديك أربع ساعات، خمني واحتسبي لكل شيء قد يحصل، بسبب القرار الذي سوف تتخذينه، أراك لا حقا، أقفل الخط وتركني مبعثرة بين القرارت والفرضيات، أخطو من زاوية إلى زاوية في وسط تلك الجدران، أريد كمية كي أهدأ فأنا اعتدت عليها لاتخاذ قراراتي لكن الوقت لا يتسع، استلقيت على السرير لكي تهدأ خلايا عقلي ويعتدل تدفق الدم في قلبي فأنا أحس أنه على وشك الانفجار، وإذ بالهاتف مجددا يرن، ران أنا آتي إلى منزلك لننزل ماذا لم أقرر بعد، لا دخل لي لم أنته من الكلام، وإذ به أمامي، شدني من يدي إلى تلك الغرفة، أسمع الصراخ ينبعث منها، صراخ رضيعة وإذ به يفتح الباب والنيران تعم المكان، وبصوت خشن لقد تم التلاعب بك، فنحن كلانا من جن حتى وعمتك تلك خلقنا كل هذه الذكريات في خلايا عقلك، لكي نلقيك في الحفرة فملكنا يريدك، فتحت الأرض ودفعني نحوها أسقط وأصرخ. وإذا بي أنهض أصرخ وعمتي اسرعت إلي قائلة:

- ما بك عزيزتي.

- حلم لعين ياعمتي، أبكي وأردد وهي تعانقني لابأس يابنيتي فكل شيء في هذه الحياة، ايجابي لنا يرودنا حلم سلبي عليه في منام قال، لا تقلقي فالرب فوقنا مهما حدث خذ كوب ماء واسترخي، ساد صمت وبدأت أحدق بعيني أرجاء الجدران، وكأنني أحس أني لا أفهم ماذا يحدث حولي، ماذا أرى الآن حقيقي، أما أنا في أوهام وفي وسط الشارع وكل هذا من عالم آخر.

- هل هذا الكاس الذي بين يدي حقيقي؟

- اخخ كفاك ران إنه فقط حلم لا أكثر، هيا قرري، فلدينا ساعة فقط .

- إذا كان هذا منعطف في حياتي وفصلا جديدا لروايتي، يزدها أنفاسا بأحداثها فأنا أقرر أن أنزل هناك لعلي أن أجد في نهاية هذا الفصل، ما كنت أود أن ألقاه في حياتي، حملت الهاتف وترددت، لكن انتهت تلك الافكار التي أرادت أن توقفني بضغطة زر.

- أهلا ريد.

- هل قررت؟؟

- نعم قررت أن أراك بعد ساعتين في تلك الغرفة، نهضت من موضعي تاركة تلك الأفكار التي قيدتني، وأحسست أنني اخترت الصواب، فها قد كتبت الحروف الأولى من هذا الفصل، ناديت عمتي من غرفتها سوف أنزل إلى هناك لعه يكون خير لي ما دمنا على قيد الحياة، يجب علينا النزول أيضا ليس صعودا فقط، فقد نجد ما في أسفل ما يفاجئنا أكثر مافوقنا، فأحيانا يجب أن نكتشف ما يوجد في العمق لكي نحلق.

بكلامك هذا ليس بمقدوري أن أقول لك، لقد وصلت إلى مبتغاك، عانقتني والدموع تنزل من خديها وتتمتم ملاردا بشكل والافكار، لم أستطع البقاء معها في هذا الوضع، أردت الفرار، قلت لعمتي أود الخروج لملء رئتي سوف أعود بعد دقائق، نهضت بعقلي وأفكاره و قلبي ومشاعره خارجا.

أردت استنشاق هذا الهواء، ربما لا يمكنني استنشاقه بعد هذه الليلة، بعدما جفت عروقي من هذه الأسئلة، ومازالت الأسئلة تحوم من حولي وكأنها طيف تريد جوابي، كيف لي أن أجيب على هذه الأسئلة وأنا لست بدارية عن هذا الشئ الذي جرى ربما فقدت عقلي من يدري، ربما هذه أوهام ران ران ران كفى من هذا كفى، أمك فكري بهاته الكلمة يا ران أمي تتواجد بينهم يجب علي الالتقاء بها، أريد رؤيتها ولو أدفع ثمن هذا غاليا هناك، أريد معانقتها، أريد إخبارها بكل ما جرى لي، ونلم شملنا، كم أريد هذا وحتما سيحدث.

آخ لا أدري أين أنا؟ أين أوصلتني قدماي، مشيت و لم أنتبه، آخ لا أعرف مكان القرية إن كان قريبا من هنا، ها أنا أجول وأتجول في المجهول، الساعة الثانية عشر ليلا، وأنا وحيدة في هذه البقعة الخالية من أنفاس البشر.

آنسة.. آنسة.

ها هو صوت بشري، لم أكمل كلامي بعد عنهم، التفت فرأيتلي رجلا و أصدقائه مفتلو العضلات بسيارة فاخرة قلت:
- نعم أخي؟ ماذا تريد؟

- كيف لهذا الجمال أن يجول وحده وسط الظلام في هذا الوقت؟

- وما شأنك أنت؟

- بدأ أصدقاءه بالضحك عليه من كلامي ذاك.

- اصبروا هي لا تعرف مع من تتكلم.

- هاااااي انظري من أنا انظري.

- يالك من تافه وما شأني بمن تكون، هل أنت شبح أم ماذا؟

- كلا أنا أبشع من الشبح.

- أرى ذلك من تصرفك هذا، تريد التباهي بالا شيء.

- تعالي هيا لا تكابري هيا.

فتح لي الباب فقلت:

- أحمق أذهب من هنا.

- ألن تغيري رأيك ؟ كما تعرفين فالذئاب تتجول ليلا.

- كلا لا أعرف فقط، أرى أن الحمير من تتباها ليلا، بدأ الاغبياء بإطلاق صرخات الصخرية منه، لم يتحمل خرج من السيارة وإذا به يلحق بي، ركضت بعيدا عنهم، لم أدرك ما جرى إلا بصاعقة أتتية من خلف، استيقظت أحسست بصداع يمر بخلايا عقلي كلها، لم أستطع تحمل هذا، عيناي و كأنهما منفصلتان عني، لم أستطع فتحهما، ناديت عدة مرات عمتي عمتي أين أنت، ولم أسمع أي جواب، حاولت فتح عيني ببطء فتحت واحدة ولكن لم يحدث شيء، ذلك الظلام لم ينتهي ولكن ها كلتا العينين مفتوحتان ولا زال الظلام يلاحقني، أين أنا؟ صرخت بكل قوتي، بكل ما أملك ذرفت مني تلك الدموع بمجرد لمسة مني تذكرت ما جرى، لم أستوعب الأمر، كيف لمتوحشي البشرية، فعلى هذا أنا واحدة منهم من سكانهم، لم

فعلو هذا لم؟ لم أدري ماذا أفعل، كيف علي التصرف، وأنا هنا في هذا المكان، لا أعرف موقعه أين؟

أعصابي تالفة في هذا الليل الموحش والظلمة تفرش حلتها بحلكتها على كل شيء، صوت رهيب يحيط بي إلا أنفاسي التي تكاد أن تهرب مني وأنيسي ليس معي. تمتماته

آخ يا ونيس لا يوجد صوت أنيس، ولا ونيس كيف علي الإكمال في هذا الضلام، وأنا هكذا وحيدة ضائعة في مكان به التربة و الصخور، غرقت رجلي في هذا الوحل، لست بدارية ما هذا قلبي يريد أن ينفجر من خوفه، تسارعت دقاته، وجعلتني أرتجف هذا السكون الذي أنا بينه كالجحيم لا أطقه، كيف لي بعدما كنت أعشق السكون، ها أنا أخافه وأكرهه، أسمع صوت أنفاس أمامي، لا أريد تبعثر أفكاري، ربما أنا في أوهام، يجب علي إكمال المسار، ها هو الصوت يقترب إلى عنقي أكثر فأكثر إنه يريد انتزاعه بتلك الأنفاس يريد انتشال رائحتي، إنه ينتشلها بشهيقه ذاك إنه يريد لمسي.

- من أنت ماذا تريد؟ أجب بدأت بالصراخ والعرق في جسمي مثل الوديان، لم يتكلم وظل ملتصقا بي، اتركني.

أسرعت في المشي، أريد الفرار لا أريد خسارة نفسي في هذا المكان، أسرعت بكل قوة أمتلكتها للابتعاد عن هذا البركان الذي ورائي، ركضت ولكنني استوعبت أنني لا زلت في مكاني واقفة، وذلك الشيء ملتصق بي، أنفاسه غزت كل ما في بتلك

الحرارة الملتصقة بجسمي، أردت الالتفاف والمواجهة، كفى عناء من هذا الخوف، والمقاومة كلما التفتة ببطء، أحسست بقيود تتقطع من أحشائي، التفت رفعت رأسي وإذ بي أرى عينان وسط الظلام، عينان أم مجرد نقاط حمراء في الظلام التفت بسرعة تامة، وإذ بي أسمع تمتمة كلمات في أذني:

- بك أسعد وقلبي بك أطرب.

إنني هنا وراءك بل أمامك، رفعت عيني، رأيت تلك النقاط أمامي، بدأ قلبي بفقد صوابه، ضميت وجهي بين يدي، لا أريد رؤية ذلك، كلى لا أريد بدأت التحدث، لا أريد لا أريد، وهو مازال متمتما بكلمات لا أعرفها ولم أفهمها.

- لم يفعلوا لك شيئا، أنا فعلتها لم يفعلوا فعلتها.

- بدأت بالبكاء، ماذا جرى من أنت؟

- أنا منك وأنت مني، ظل يردد و يردد برقان سارق برقان سارق..

ومن يكون صرخت مقابلة تلك العيون وجها لوجه ماذا تقول؟ ومن يكون؟ بصرختي تلك جعلت تلك الأعين تزول ماذا هربت؟ ماذاااا؟

عم الصمت الانفاس اختفت و ضوء الأعين زال، فقدت أثرهما، سقطت وحيدة، لا أعرف إن كنت في حلم أم أن الحقيقة انقلبت إلى أوهام في خلايا عقلي، لم أر شيئا فالظلام سيطر علي وعلى المكان، تجمدت في مكاني، عرفت كم أن الظلمة التي كنت أعشقها والسكون الذي كان ونيسي كم هما موحشان، في الحقيقة لم يرتاحا لجودي بينهما، فأنا لست منهما، لا زلت وحيدة كما اعتقدت، أردت أن أتحاور مع عقلي، ولكن لم يستجوب معي، أما قلبي لم يرد الاكترات بحياتي إنه خائف من توقف حياته في هذا المكان، وأنا والدموع هذه التي تنتحر مني بكل حرارة ماذا يجب علي أن أفعل؟

- لا تفعلي شيئا لأنه لم يحن الوقت.

التفت قائلة:

- وما شأنك، توقفت عند هذه الكلمة لثانية عرفت أنني أكلم شخصا.

- لا تخافي لم أتركك، فقط تنكرت بالصمت لا غير، راقبتك طيلة السنين يا ران، ألم تستوعبي هذا؟ ألم تتذكري عيوني من تكون؟

- وكيف علي تذكرك وأنا لم أر وجهك؟

- لا تستطيعين رؤيته، ولكن عيني هما الاساسيان فيه.

- وما شأن عينيك.

- أنا يا ران كنت معك طيلة الحياة، منذ نشأتك ولم تتذكريني.

- أنت تتلاعب بي صحيح، هل أنت بشري مثلنا أم ماذا؟

- إن كنت بشريا لم كنت هنا أمامك أو أكون حارسك لسنين أنا.

– قرينك.

- قريني.

- نعم قرينك.

- إذا أنت عفريت.

- وما شأن العفاريت بي؟ أنا قرينك موكلك.

- وكيف أنا أتكلم معك وأفهمك؟

- هنالك فقط شخصان في الأرض يستطيعان التكلم معنا مع الجن والقرين مثلك أنت.

- أنت تريد التلاعب بي لا غير.

- حسنا ألم تتذكري ليلة الميلاد.

- وماذا عن ليلة الميلاد ليس هنالك ليلة وحيدة للميلاد.

- كلا بل تذكري التاريخ، فقط ستة ثمانية عشر ثمانية عشر تبعثر كلماتك أمام والديك، أمرتك بأن تتلفظي بأشياء غريبة وتركتك في مأزقك ذاك لم يصدقك رغم قولك الحقيقة بأنك لن تلتفظي بشيء أنا من أمرتك به.

- لا أريد تصديق تفاهاتك لا أريد كفى.

- والليلة الأسطورية التي مرت في حياتنا حين تعرفت على عمتك الحقيقية، دخلت إلى غرفتك وأنت لست بدارية بما جرى لك و لحياتك، أتيت مسرعا لك، ضميتك بين ذراعي، لم أكن أريد خسارة تلك الدموع التي ذرفت منك، أردت أن أكون ونيسك وقت ضياعك، ضميتك، حرستك طول الليل لم أدع شيئا يوقضك من راحتك، كنت كالملاك نائمة في حضني.

- أنت، لا لست أنت، أنت كاذب.

- كيف لست أنا؟ من إذا؟ هل كان أحدا أمامك؟

- كلا، أعتقد أنني في حلم كيف لهذا أن يحدث؟

- لو تتذكرين ليلة أخرى سوف تعرفين حقيقتي.

- حقيقتك؟ وعن أي ليلة؟

- سوف أتلاعب قليلا عينيك، سوف أرسم لك المشهد بالتفصيل.

- لا تفعل.

- ها أنت تتجولين وحدك في مزرعة جدك، انظري لإخوتك يتشاجرون هناك، اهه مللت صحيح ها أنت ترسمين خطواتك وحدك، أردت الهروب من تلك الأعين المصوبة أمامك، دخلت بين الأشجار، مبتعدة عنهم، توقفي انظري وراءك أمك، صحيح اتبعي مسارك إلى هناك، إلي آخر شجرة رأتها عيناك، لا تخافي من ذلك الصوت الذي وراءك، إنه انا أتتبعك، انظري إلى البحيرة كم هي كبيرة ومهجورة، بدأت أتمتم لك، لكي تواصيلي سيرك إلى ذلك القارب المحطمة أجزائه، وبفضولك ذاك، ها أنت داخله، لم يجذبك شي إلا صوت الرياح التي أدت بتسارع نبضات قلبك، خرجت راكضة من القارب، أسرعت للوصول إلى البيت، ولكن فات الأوان، فالليل فك أ،نيابه هناك بدأت بالالتفاف عدة مرات من حولك مثل المجنونة، تبعثرت خطواتك، انتبهي توقفت فجأة ،هل أدركت الآن كيف أتحكم بك مثلما أشاء، ها أنت تتجولين في الضلام وحدك، وإذ بك تسمعين

تلك الأنفاس الخافتة أمام فتحة أذنيك، آه يران تلك الأنفاس التي سبقت وأرعبتك ذلك اليوم، ولكن لليوم ذاك مخزون تم توزيعه بين جرعات الخوف والشجاعة التي تحلى بها قلبك، ها أنت تلتفتي دون أي رعشة بداخلك، في الحقيقة أرعبتني ولكن لم أستسلم لك، ها أنت تقابلين عيوني للمرة الأولى أو ربما الثالثة وجها لوجه، نطقت بكل شجاعة وعفيوية، أنت صديقي ذو الأنفاس ألا تريد مقابلتي هذه المرة وجها لوجه، أنا أعرف بوجودك معي في كل ليلة، لقد تعودت على وجودك ولكن في الحقيقة تعبت من سماع أنفاسك ونيستي، أريد رؤية ملامحك، لم أستطع تمالك نفسي، عانقتك ربما لم تشعري إلا بحرارة غزت جسمك الصغير، صحيح ها أنا أكلمك هل تسمعيني؟ نعم أسمعك هنا كانت صدمتي تسمعيني عرفت انك وبندبتك تلك فريدة من نوعك، اليوم تكلمت معك ولكن لا أريد إبراز ملامحي لك، أنت لن تتقبلي بشاعة منظري.

- كلا أنا بشعة كذلك، أصدقائي في المدرسة يتنمرون علي لا تخف فأنت صديقي، فأنا تقبلت أنفاسك التي كانت في بعض

الأحيان تشتتني لكن لا بأس أنا أقبلك ببشاعتك، أنا أريد معرفتك ياصديقي.

- ولكن يا صغيرتي أنا لست كما باقي البشر ربما لا تستطعين فهم هذا الآن ولكني لست مثلكم.

- كيف هذا؟ أنا أعرف أن لكل واحد منا شخصيته، أنا أتقبلك، أنا محبة لاختلافك ومحبة لكونك لست منا، أنا أحببتك، أنت صديقي الوحيد هنا.

- ها أنا أختفي من جديد، في الحقيقة خفت من شجاعتك ومن كلامك ذاك، انظري لقد جاءت عائلتك انتشلتك من الأرض، وأنت مغما عليك، سامحيني لقد تلاعبت بي خلايا عقلك قليلا لكي لا تشي بي، انظري ها أنت تكبرين، ها أنا أمامك لم أتخل عنك، انظري لنفسك كما أنا اراك.

- حسنا عودي لوعيك الآن.

- كيف لهذا؟ رأيت كل شيء وماالذي يمكنك فعله بعد؟

- أي شيء لا يخطر على بالك أفعله.

- ولكنك لست قريني صحيح.

- بلى، أنا قرينك.

- أنا أعرف معنى قرين والقرين لا يستطيع الاغتصاب، بدأت بالصراخ لا يستطيع فعل هذا لا يستطيع، أنت لست منا ولكن تقربت لي.

- أنا لوسفير العاشق بجنوني عشقتك.

- لدي أحاسيس اتجاهك عرفتك لست منا ولكن لم يخطر ببالي أن تفعل شيئا بي.

- أنا أحببتك عشقتك بجنوني ياران.

- لم مسحت ذاكرتي؟ ها اعتقدت أنني نسيتك يالك من مغفل.

- أنت قلتها بالحرف، فبقوتي هذه لم تستطع محو ذاكرتي، بل مسحت القليل من المشاعر اتجاهك.

- كيف؟ كيف لهذا أن يحدث؟ لقد فعلت الأمر الصائب، لقد تلاعبت بخلايا عقلك وفقدت الوعي.

- بل أنا من تلاعب بك ومثلت عليك، لأنني رأيت عائلتي متجهة نحوي.

- أنت ران، أنت تعرفينني، ولم تتفوهي بكلمة.

- لا أعرفك ولكن أنا أعرف أحاسيسي اتجاهك فالأنفاس التي تكاد أن توقفني من مئة سنة من اليوم فقط لسماعها لتحسسها

امام عنقي، تفقدني كل قوتي، فأنت تملكتني ولكن أنا من تحكمت بك وبنفسي.

- ران.

- الآن دعني أريد العودة، لا أريد سماعك ولا أريد تحسس أنفاسك، أنت لعبت لعبتك، أخذت ما أردت لطالما فضلتك عن البشر و لكنك ظهرت واحدا من أجناسهم.

- توقفي.

- ثبر..اتركها لتلمسها لا تخدش وجهها، إياك أن تفعل حركة بها هل أمرتك لتكون هنا اذهب.

- لم تصرخ لم من ثبر؟ ولم يريد إيذائي؟

- لا شأن لك في هذا، بعد نزولك سوف تعرفين وتتغيرين.

- لم أتغير ما شأن هذا في هذا؟

- ران..

- ماذا؟

- لا زالت لديك أحاسيس اتجاهي، صحيح؟

- لم علي أن أجيب؟ فأنت تستطيع معرفة وفعل ما شئت.

- سوف تتغير وأنت أدرى بذلك.

- فل تتغير لا أعرفتك بعدما فعلت بي.

- ران !

- نعممم..

- سأريك ملامحي لثانية.

- لا أريد رؤيتك

- كيف أنا عاشقك رأيتك وأنت عشيقتي لن تريني انظري..

- ماهذا الضوء؟

- لوسيفر عزيزتي..

- لوسيفر لوسيفر، ها هو بملامحه أمام عيني، ها أنا أراه ذو قامة طويلة وذو بنية قوية، تكسيها عضلات مفتولة، كما أن شعره طويل، ياله من لقاء ومن ملامح، اقترب مني ولأول مره أراه، وهو يقترب يخفي عيناه الحمراوتان عني بلون آخر، اقترب بيده واضعا إياها، متحسسا ملامحي بكل رفق، اقترب من وجهي، أنفاسه تلاطمت مع أنفاسي محاولا تقبيلي..

- بك أسد وقلبي لك أطرب.. تذكريها.

اختفى اختفى يالني من حمقاء، لقد اختفى ما علي فعله الآن، فجأة رأيت ضوء ساطعا، وكأنه يريني الطريق، لم أفلت

الفرصة أسرعت اتبعت مسار الضوء، وكأنه نفق بدأ يضيق مرة على مرة، أحسستني بالاختناق رغم معرفتي أنني لست في نفق، ولكنه بدأ يضيق حتى أحسست بشيء دفعني لا طريق من ذلك النفق، صرخت بأعلى صوتي لما رأيته

أشعت الشمس غزت عيني، فتحتهما ببطء، لم أر سوى البياض، لون ساطع في كل مكان، أغلقتهما وإذ بي أسمع لأشخاص يتحدثون من حولي..

- سيدتي تحسنت حالتها بكثير عن ذي قبل، سوف تسترجع عيها في أي لحظة..

- ماذا؟ من التي تحسنت؟ فتحت عيني.. أنت أمي، إنها أنت أمي..

- آه صغيرتي، كم قلقت عليك، لقد مرت علينا الأشهر بصعوبة، كدنا نموت من قلقنا عليك.

- كيف لي اشهر ماذا حدث؟

- لقد خرجت من بيت عمتك منذ شهرين، خفنا عليك، جن جنونا، ظننا أن أحدا ما خطفك، أخبرنا الشرطة، ولم يأتنا أي خبر كدنا نفقد الأمل من ذلك، وإذ باتصال من صديقك ريد، ليلة

البارحة وجدك ملقاة أمام سيارته، جاء إلى هنا وها أنت بخير وعافية.

- توقفي، كيف لأشهر؟ كيف؟

- ماذا تقصدين بهاذ روان؟ ألم تتذكري خروجك؟

- بلا أتذكر، ولكن ليلة البارحة خرجت من المنزل و لوسيفر..

- ماذا روان؟ ماذا جرى مع لوسيفر؟

نظر الي ريد بكل استغراب وقال:

- ران هل التقيت به؟ أرجوك قولي الحقيقة، ماذا جرى لك؟

تغير وجه ريد، وكأنه يريد قتلي..

- لم ألتق بأحد..

- ريد قالت أمي اخرج دعها وشأنها، ربما هي تتحدث هكذا من الصّدمة..

- ولكن ألم تسمعي؟؟

- بلى، ولكن دعها وشأنها.

كانت آخر ساعات لي هنا، كانت ليلة مليئة بالسحب، سوداء على وشك أن تهطل بدموعها، وترسم خطوطها بين ذلك الظلام الدامس، وتترك قطرتها فوق أرصفة الطريق، كانت

الساعة تشير إلى الثانية صباحا، وحيدة في غرفة المشفى شاردة في عقلي، أعود بذكريات منذ لحظة ولادتي، ضائعة في خلايا عقلي، ترمني من ذكرى إلى ذكرى، حتى إذا بي أجد نفسي في أحد الأماكان التي لم أعرف كيف أوصلتني الذكريات إليها، أختي كم اشتقت لها، أريد معانقتها، افتقدتها وكدت أنسى رائحتها، الذكريات تفيدنا في استرجاع ما فات، ولكنها تقتلنا بارجاعها لتلك الأحاسيس التي دفناها.

آخ لم كل هذا؟ لم أستوعب شيئا من هذا، كيف أنا لشهرين خارج البيت، وأنا أتذكر بالتمام خروجي ليلة البارحة، ولوسيفر لم لما نطقت اسمه انفعل ريد بتلك الطريقة هل يعرفه؟

اوجه نظري نحو النافذة، وتلك القطرات التي عليها، ولكن لوهلة تراكمت تلك القطرات بشكل وجه متكامل، ربما أصابني مكروه ما، استدرت ليس علي فعل شيء لهذه الأوهام، ولكن لتلك الأوهام حدود والآن فاقت تلك الحدود، أسمع طرقات على النافذة، لا أريد الالتفات.

ولكن زاد صوت الطرقات..

خفق قلبي بشدة وبدأ العرق يتصبب في أرجاء جسمي، استدرت بخفة، وذلك الوجه مجدادا هنا..

لوسيفر نهضت مسرعة من سريري، لم أنتبه لتلك الخيوط الملتسقة بيدي، أسرعت إلى النافذة..

- ماذا تفعل هنا؟ هل جننت؟

- بدأ يشير إلي بيديه..

- ماذا؟ آخ النافذة، فتحت النافذة..

- هاه ماذا جاء بك إلى هنا؟

- انظري لي ابتسامتك، سوف تعرفين سبب مجيئي.

- استدرت مسرعة يالني من حمقاء؟ لم هذه التصرفات لم ران؟؟

- نعم لم؟ هل تراني أوزع الابتسمات الآن.

- ران..

- نعم.

- هل تريدين تركي هنا سوف أرمي بنفسي للأسفل، وتندمين انظري..

- لاااا مستك يده بكل قوة..

- لا تخافي إن سقطت سوف أرجع..

- أحمق، ادخل هيا..

- أمم مكانك جميل، بدأ يحوم في الغرفة كلها، والابتسامة لم تفارقه توجه إلى السرير..

- اخ مرييييح ران..

- كيف عجبك المكان؟ أنا لم أرتح فيه أبدا.

- معك حق، كنت أريد مجاملتك، لتنسي ولو القليل من هذا، إن ظللت ساكتا، كان أن يكون مريحا في بالك..

- تتحطمين صحيح؟؟

- وقح، لم أنت هكذا؟

- لم تري شيئا، ماذا تريدين أن نفعل الآن..

- ماذا؟

- أنا اسألك، ماذا تريدين أن نفعل..

- نحن في المشفى، ماذا سنفعل، حسنا يجب عليك الرحيل قبل مجيئ أحدهم هيا..

- لن يروني، لا تكثرتي لهاذا..

- نسيت إذا..

- آخ ما رأيك إن هربنا من هنا، فقط لساعات قليلة ونعود.
- ماذا؟ توجهت إلى الباب لأغلقه، ماذا هل جننت؟ لا أستطيع الهروب سوف يرونا.
- تعالي ران، من أنا من؟
- لوسيفر.
- حسنا لوسيفر يستطيع فعل أي شيء، تعالي ثقي بي.
- ولكن كيف علينا الهروب من هنا؟
- أريد ان أريك شيئا ولكن إياك أن تخافي..
- كيف لي أن أخاف، وأنا أرى أمامي أبشع شخص في المشاعر..
- ران قلبي..
- ما بك؟
- ليس لدي قلب.. أمزح..
- تافه.. تافه.
- حسنا اجلسي وشاهدي عرضي لك.
- أخذني إلى السرير، وابتعد عني ببضعة خطوات، بدأ بااتمايل نظر إلي بتلك الأعين الحمراء، وبدأت اجنحة بيضاء بالتحرر،

وراء ظهره وكأنه طير لم أستوعب، وقفت مندهشة من المظهر الذي أمامي.

- لوسيفر هل أنت بخير، ماهذا هل تحولت بدأ بالضحك وصوته يعلو.

- ران لا مزيد من الأسئلة، الآن وقت الهروب من هنا.

- ولكن ليس معي أجنحة.

- طالما أنني بجانبك، فأنت تملكين كل شيء، عانقني بين تلك العضلات، ثم توجه إلى النافذة وهو يقول، ثقي بي لن يحصل مكروه لك.

قفزنا وبدأ يعلو بي..

لم يمتلكني ذاك الخوف المعتاد عن المرتفعات، بل كان لدي خوف من الفقدان، أتاني ذلك الشعور الممتزج من كل شيء، كيف لهذا أن يحدث؟ وأنا الآن بين أحضان لوسيفر، لم أعرفه من سنين فقط من أنفاسه، وأعرف أنه جني، ولكن لا أعرف إن كان ما أفعله صحيحا أم خطأ، كل التسؤلات في عقلي تحوم، لم انتبه، ظللت أحتضنه وهو كذلك، وإذ به يقول:

- انظري لقد وصلنا.

فتحت عيني وإذ بي أرى ناطحة سحاب، هل أنا في حلم أم ماذا؟ غزى الخوف في كل جزء من جسمي، وإذ به يقترب نتي ويقول: لا تخافي أنت تريدين رؤية القمر، ها هو من هناك تكلمي معه.

- لا أريد انزلني في الحال..

- لم؟ لم كل هذا الخوف، يجب عليك ألا تخافي، أنت معي. لطالما أنت معي فوق ناطحة السحاب التي كنت تتمنين رؤيتها فقط، ها أنا احقق حلمك الآن، انسي كل ما ترين، لا تنظري إلى الأسفل، فقط انظري إلى الفوق، ارفعي رأسك ولا تنزليه، ابدا أنت تعريفين إن انزلته، فسوف يقع كل شيء فوق رأسك فقط اتبعي الكلام..

ها أنت هنا بين حلمك، وفي الحقيقة، لذا لا يجب عليك التفكير في كل شيء مار، فقط فكري في الحاضر، وانسي الماضي اللعين، هيا ابتسمي هيا..

أريد رؤية ابتسامتك تلك اللطيفة، لطالما كنت تريدين، التكلم مع القمر، إنه قريب منك، صحيح ليس بذلك القرب، لكن ها انظري ترين أجزاءه التي لم تتمكني من رؤيتها في الأسفل، لذا

لكن كيف لي أن لا أفكر بماجرى، كيف لي أن أفكر في الحاضر لطالما الماضي لازال يلاحقني..

- صحيح معك حق.

- لم عليك فقط التفكير في الماضي، لطالما أنت مع لوسيفر حبيبك المجنون، لذا لا داعي للتفكير في هذا.

- هيا تكلمي، تكلمي ما بداخلك، اصرخي بأعلى ما عندك، انزعي ثقل الضيق في رأتيك، فقط قابلي الحقيقة لأنك أنت ولوسيفر إلى الأبد.

- هاي لا تكن مغرورا هكذا.

- لم للأبد لطالما أنت هنا، فقط لثوان معدودة، وسوف ترحل ايي لا تنطقي بهذه الكلمات، لم علي أن أرحل؟ لم علي أن أرحل بك؟ أسد وقلبي لك أطرب ياران هيا اتبعي مسراك ورؤيتك للقمر..

رفعت رأسي مقابلة القمر، وللأول مرة مقابلة إياه وجها لوجه، بدأت بتلكم معه وبصمت داخل نفسي، لا أريد أن يسمعني، كنت أتحدث معه، لأنني وفي الحقيقة، كنت أتحدث عنه، لوسيفر الذي كان جانبي طوال تلك اللحضات، ممسكا بي،

تكلمت مع صديقي القمر رأيته ورائني، لم أكن أصدق تلك اللحظات، صحيح مع الأول كنت أريد النزول من هناك من الخوف المفاجئ، ولكن الآن لا أريد النزول، بل أريد أن أعيش هنا فوق هذه الناطحة التي لا تزول، التي تحوم وتحوم في الأجواء، حرة طليقة، أريد أن أكون مثلها..

تكلم لوسيفر إن كنت تريدن العيش هنا، فوق هذه الناطحة، ماعليك سوى مرافقتي إلى أرض ليست مثل أرضك، لأرض لم ترها مخيلتك أبدا، أرض فيها كل شيء، تستطعين فعل كل شيء، ولك الحرية في كل شيء، فقط في شيء واحد العملة غير قلبك هناك، وبشرط لا أريد أن يعرف ملك برقان نزولك لها، فهناك تاريخ مدفون في عقول الكبار، البلدة فقط سوف أروي عليك كل شيء بنزولنا..

- هل تقصد الأرض السفلية، قد حدثني عنها ريد.

- ريد؟ من يكون؟

- صديقي ذو الندبة.

- الندبة؟

- أنت، هل سمعت كل شيء عند حديثي مع القمر؟

- لا سوى عند حديثك عن السحب.

- وقح لا يجب عليك التصنت على كل شيء، مرة أخرى إذا رؤيتي من جديد صحيح؟

- كلا لا أريد بالطبع.

- إذا هيا يجب علينا الذهاب الآن.

- لم؟؟ أريد البقاء قليلا.

- كلا حان الوقت هيا.

- أحسست وكأنه غضب من كلامي، تقدم إلي ممسكا بقبضته تلك، وأخذ يعلو بسرعته تلك، عيناي لم تتحملا تلك الرياح العاتية، بدأت الدموع بالهطول رويدا رويدا، هبطنا فوق سطح أعلى البناية قائلا:

- انظري ران كم هي جميلة الأضواء من هنا، هذا هو مكاني الوحيد الذي ينسيني من أكون، تحتلني هذه الأضواء، تمسح كل العتمة التي بداخلي.

- إذا أنت غاضب مني صحيح؟؟

- ران لا تنظري إلي هكذا، لا أستطيع تمالك نفسي، فأنت بالكاد تعرفيني لا تعرفين حقيقتي.

- حقيقتك؟ ماهي؟؟ إنك جني لا دخل لي بهذا، فأنا تقبلتك على ما أنت عليه، فأنا أحب الاختلاف تقدمت له ممسكة وجهه قائلة:

- انظر لوسيفر انظر لعيني..

- لا أستطيع.

- قلت لك انظر.

- رفع رأسه مقابلا عيني بعينيه الحمراوين.

- لوسيفر إن أغضبتك، فأنا متأسفة إن لم أغضبك كذالك، أنا متأسفة لكن فقط عدني ألا تتركني عدني..

- لا أستطيع أن أعدك ران..

ابتعدت عنه صارخة، لم لم لا تستطيع ولم أنت معي الآن لم؟

- لأنني واقع في حبك ران.

- الحب الحب، ما هذه الخرفات، هل تدري معن الحب أساسا لكي تلتفظ به.

- أنا أحبك، أحب بشرية هذا يخالف قوانيني، لا أريد أن أسبب الأدى لك، لا أريد خسارتك.

- خسارتي أذيتي، هذه كلها خرافات، إن لم تكن تريد هذا، إذا لم أنت الآن معي، ومعترفا بحبك لي؟ لم تفعل هذا لوسيفر؟

- أنت من ناديتني، أنت التي لديك القوة لمناداتي، هل فهمت؟

أصبحت عيناه مثل الدم، جسمه تغير كليا، لم يصبح لوسيفر الذي كنت أتحدث معه من قبل ثوان، تحول لوحش لم أستطع تصديق ما أرى، رفعت صوتي صارخة: من أنت؟ أسرعت بخطواتي تلك، وإذ بي أقع من ذلك الارتفاع، لم أدري ماذا يحدث وإذ بي أسمع كلمات:

- ران، استيقظي ران.

- لم أستطع فتح عيني، أحسست بضغط قوي على جفوني، بدأت بتحريك رأسي سائلة: ماذا جرى؟ هل مت؟ حاولت فتحهما، لم أستطع تركيز نظري، كان مشوشا وكأن كتلة من الضباب احتلتهما، حاولت وحاولت وإذ بلوسيفر هو المتكلم، ممسكا برأسي..

- استرجعتي وعيك.

لم أنطق بشيء، فجأة تذكري كل ما رأيت، أومأت له برأسي، حملني، أخذ بي إلى غرفة المستشفى، لم أنطق بكلمة، خوفا مما رأيت.

- ران أنا الآن ذاهب، ولكن تذكري أنني أمامك في كل وقت، لا تخافي.

توجه نحو النافذة وكلماته تتلاعب بذهني، وقفت مسرعة:

- لوسيفر انتظر انتظر..

- خرج من النافذة.

- نعم ران، هل بك شيء؟

- هل أنت مغادر للأبد؟

- بدأ بالضحك..

- كيف علي الذهاب للأبد وأترك حبيبتي؟

- آه الآن، أنا حبيبتك، وأنت ذاهب صحيح؟

- بدأ يشير مرة أخرى بيديه، لم أفهم قصده.

- لم تشير؟ ماذا يوجد؟

- اصمتي، إنهم وراءك انظري..

- من؟

- قلت لك اسكت واغلقي النافذة بصمت، وتوجهي نحو سريرك.

- لم علي فعل ذلك؟

سمعت صوت امراءة من خلفي..

- مع من تتكلمين؟

بدأ قلبي باطلاق سمفونيات غريبة، ارتبكت لم أستطع نطق بشيء، استدرت لها.

- مع القمر فقط، فهذه عادتي.

- عادتك حسنا، هيا إلى السرير، ولم نزعت الأسلاك منك هذا خطر عليك.

امسكت بيدي واضعة الأسلاك عليها، استلقيت في مكاني والخوف مسيطر علي، توجهت نحو الباب وهي تلتفت، وكأنها لم تصدق ما جرى، أغلقت الباب وهي تتكلم مع صديقتها، ربما جنت يجب الاتصال باهلها.

جنّت؟ كيف لي أن أجن؟ يالهم من أغبياء، لم أهتم من هذه الكلمة، رفعت الغطاء توجهت إلى النافذة، ولم أجد لوسيفر غادر.

عدت بخطواتي، وغطت في نوم عميق، حتى أتت إلي تلك الأشعة وأيقضتني من نومي، استيقظت هاهم عائلتي بجانبي يعمهم الصمت والسكون الحائل في الغرفة، أتت أختي واحتضنتني، بكل قوة ران كيف حالك؟ هل أنت بخير؟ ماذا حدث لك الليلة؟

نظرت أمي إليها بنظرة، كأنها تود أن تقول اخرسي وسرعان ماغيرت الكلام أختي من كلمة الليلة إلى أعني اشتقنا لك، سوف نأخذك اليوم معنا، نعم أود الرحيل وبشدة أكملو تلك الاجراءات القانونية لخروجي من المستشفى، أخذو بي إلى المنزل فرحين، أعدو لي العشاء مجتمعين أمامي بدأو بالتكلم عن عدة مواضيع حتى أخذني النعاس ونمت على كلماتهم تلك، الليلة لم أحس بأي شيء بتاتا، نمت ولكن نمت بين الحلم والحقيقة، سمعت دقات على النافذة وكأنني في حلم، لم أستطع الاستيقاظ فقط أسمع تلك الكلمات.

- ران ران، أنت لست في حلم، فقط افتحي تلك العينين، وانظري إلى هنا، لقد أتت ران، لم أصدق ماذا أسمع؟ فتحت ببطء عيني.

فتحتهما وإذ بي أرى لوسيفر مجددا، لم أستطع النهوض والمشي إلى تلك النافذة، أحسست بثقل في جسدي، لم أستطع التكلم ولو بحرف، فقط أنظر إليه وهو ينظر إلي.

- ماذا بك هيا تعالي أسرعي، هيا تحركي من مكانك، لم أستطع التافظ بكلمة، ولو بحرف، فقط مندهشة لرويته، هل الحلم أصبح حقيقة أم أنني في حلم؟

بدأ بطلق تلك الكلمات، سوف أدخل.. سوف أدخل، لم أطلق شيء، أتى إلي ماذا بك؟ بلمسة منه جعلني أنسى كل شيء، استيقضت مسرعة، ماذا تفعل هنا؟ كيف دخلت إلى هنا، قائلا لوسيفر الذي بجانبك ياران، كفى أنا لا أستطيع الدخول، وإنما دخلت بيتكم هذا عدة مرات، وأنت لم ترينني وها أنا الآن بجانبك.

- كيف حالك؟ وماذا تفعلين هنا؟

- ألم تسمعي ماذا قالت الطبيبة عنك؟

- نظرت له وقلت ماذا قالت؟

- قالت عنك مجنونة، ألا تعرفين عن ماذا يخططون أهلك وتلك الطبيبة؟

- ماذا هل أنت مجنون؟ كفى كيف أن يخططوا مع تلك الطبيبة؟ لقد قلت لها أنني كنت أتحدث مع القمر فهذا من عادتي..

- هل ستتخيلين أنها صدقتك بتلك الكلمات التافهة يا تافهة؟ ماذا ولم تتكلم معي هكذا؟

- فقط لا تتكلمي، شاهدني سوف تنظرين إلى أمك وراء الباب، فقط تنتظر تلك اللحظة التي آتي إليك، وأنت تتكلمين من النافذة، لذلك لقد أطلقت عليك بعض الكلمات، ولن تستطيعي النهوض من السرير، تلك الكلمات ياران، سامحني أرجوك لا تتكلمي حسنا، سوف أريك عرضا رائعا ومميزا.

- وماهو هذا العرض، حسنا أنا لا أصدق ماذا تقول عن أمي فهي لن تفعل هذا بي، وتلك الممرضة لا دخل لها بي.

- حسنا لك ماشئت، ولكن فقط انظري إلى الباب.

- انظري إلى الباب، إلى التحت، انظري إلى ذلك الخيال خيال من ذاك ياران ها؟

لا أصدق مارأيت، ولا أصدق ماذا يقول لوسيفر لي.

اتجهت عيني نحو الباب وإذ برؤيتي ذلك الظل المتحرك، من هنا وهناك، لا أعرف إن كان خيال أمي أو خيال أختي و كل

عائلتي هنا كيف لهم أن يصدقو تلك الممرضة، ولم يصدقوني بل لم يفتحوا ذلك الموضوع بتاتا معي، كيف لهم أن يفعلو هذا بي لقد مرت على قلبي صاعقة، فجأة لم أستطع الوثوق بلوسيفر، ماذا يقول ربما كانت أمي هنا، فقط لتفقدي إن كنت على خير.

لا شيء نظرت إلى لوسيفر، مشيرة إلى النافذة، اتمتم له اخرج من هنا، الآن لا أريد تكلم معك فكت دقات قلبي وسوف يتوقف في لحظة ما.

فتح باب غرفتي، فتحت أمي الباب، وإذا بلوسيفر جالس بجانبي، و ينظر إلي بابتسامته الخبيثة تلك، لم أستطع التحرك أرى لوسيفر وأرى أمي أمامي و لوسيفر بجانبي كذلك.

لم أستطع تصديق ما جرى ،لا أستطيع فعل شيء ولا أستطيع التكلم مع لوسيفر، ولا أمي فقط بدأت بالنظر إليها، وهي تنظر إلي، أتت إلى جانبي ماسحة على رأسي، كيف حالك بنيتي؟ هل انخفظت تلك الحمى عليك؟

- ماذا؟ حمى ! و لم أنت هنا أماه، أريد أن أسألك سؤالا، لقد رأيت خيالك وراء الباب، لدقائق تتحركين بخطواتك لم كنت

وراءه و لم تدخل إلي؟ ارتبكت، تغير لون وجهها، لم تعرف كيف تجاوبني فقط ظلت صامة.

ولوسيفر الذي كان بجانبي يحدق بي، ويحدق إلى تصرفاتي وإلى تصرف أمي وهو مشيرا لي، لم تصدقني آه،ألم تصدقني تبعثرت علي الكلمات وتبعترث أفكاري ولم أستطع تحدث مع أمي كالمعتاد؟ وهي لم تجاوبني على سؤالي ذاك بتغير تلك ألوان أرجوك أمي فقط، اخرجي من الغرفة، أريد الاستراحة قليلا..

إذا بي مستريحة على السرير، ملتقية ولوسيفر بجانبي لم أستطع تلكم على ماشهدت، وعلى ماقالت أمي لي غمضت عيني وإذا تفكير يغزوني من جديد، كيف لهذا كيف للوسيفر أن يكون على حق وأمي التي كذبت علي؟ إنها تراقبني بالصمت وهي لا تدري معرفتي عن ذلك، آخخ لم أستطع فتحهما ظللت مغلقة عيني، ولوسيفر يجانبي.

ران لا تفكري في هذا، سوف نجد حلا قريبا، لم أنطق بكلمة، فقط لم أستوعب ماجرى لذلك.

ذهب لوسيفر ولم أتكلم معه أو أودعه.

ذهب أو ربما هو بجانبي وأنا لا راه؟
لا أدري لذلك ظللت طيلة الليل مغمضة العينين، ولم يأتني نوم لزيارتي وكان التفكير واقفا كحاجزا له، لم يأتني ولو لحظة ظللت هكذا طيلت ساعات حتى دخلت أشعة الشمس إلى غرفتي، محركة بجسمي ليستيقظ نهظت ومسحت كل التعب الذي كان على عيني، متنكرة بزي اللباس بزي الذي لم يجر شيء البارحة، خرجت من الغرفة مقابلاة أمي وعائلتي على نفس الطاولة، مرحبا كيف حالك؟
لم أجاوب فقط وأومأت برأسي أنني بخير، وبابتسامة مزيفة جلست تنوالت فطوري، وتركتهم في وسط حديثهم، وعدت إلى غرفتي مجددا، لكي أراقب تحركات أمي وتصرفتها.

لم يحدث شيء في الصباح ولا في المساء، إلا بعد الثانية عشر منتصف الليل، أتى هاتف إلى أمي، أسرعت إلى الباب مقفلة إياه لكي أتصنت ولا تدخل علي فجأة، خطوت نحو الباب بين الصمت وغلقته ووضعت أذني عليه، وإذا بسماعي أمي تقول:
- نعم هل خرجت التقارير؟

- كيف هي حالة روان؟ هل هي مستقرة أم بها شيء؟

سمعت تلك الكلمات، فعرفت معنى كلمات لوسيفر تلك..

يحتسبونني في الحقيقة مجنونة، أصاب دوار رأسي، أصابه من كل ناحية، ربما اتصال بشيء أو ربما تريد اطمئنان علي لا غير..

استلقيت على الأرض مثل عادتي، عند حزني ليس لدي ونيس، إلا أنا وسط الجدران والقمر محدقا لي من النافذة وأنا تائهة، بينما من أكون وبين عائلتي وبين التصرف المجنون الذي تتصرف به أمي..

أصابني شلل الأفكار، تلك نصف أفكار، ونصف أوهام يتعاركان، دخل عقلي بينهما في خلايا عقلي، حل صباح وذهب القمر، وأنا لا زلت مستلقية على الأرض ليومين متتالين، أتت أمي في صباح الباكر، دقت الباب فتحت لها وقلت نعم ماذا يوجد هناك؟

روان يجب علينا الذهاب إلى المستشفى، فهم يريدون تفحصك اليوم هل نسيتي؟

- ولم علي الذهاب معك، فأنا بخير لا يجب علي الذهاب إلى المستشفى.

- كلا فهناك بعض الإجراءات عليهم التأكد منها.

- ولكن أنا بخير، هل تعتقدين أنني مجنونة كما قالت لك الطبيبة تلك؟

- كلا من أين أتيت بهذا الكلام؟ فلم تقل لي أنك مجنونة أبدا، كيف يابنيتي ماهذه التفهات التي تنطقين بها؟

- كلا يا أمي سمعت تلك الممرضة تتكلم عن جنوني ذاك فأنا فقط قلت لها أنا أتكلم مع القمر.

- لا روان ماهذه الأقوال التي تتفوهين بها؟ أتت واحتضنتني متنكرة بزي الكذب ذاك، احتظنتني بدون مشاعر مغزوة من طرفي، لم أستطع قول أي شيء، فقط غيرت ملابسي واتجهنا إلى ذلك المستشفى الملعون، مقابلة تلك الممرضة التي اتلفت بتلك الكلمات المتكررة مجنونة..

هل أنا مجنونة حقا ؟ذهبت معها أخذتني إلى تلك الطبيبة النفسانية..

بدات بالتحدث معي عن تلك الليلة، ولم أشأ أن أتحدث معها بلطف، كدت أن أغرس السكاكين في وجهها.

لم أستطيع تحمل تلك الكلمات التي كانت تتلفظ بها، من حين إلى آخر مكررة تلك الأسئلة.
وأنا لم أجاوبها مهما حدث، باتت تبتسم في وجهها، وهي كادت ان تتلف أعصابها علي نادت بأمي وأنا خرجت من ذلك المستشفى اللعين، لم أستطيع الانتظار كثيرا خرجت وحيدة من هناك، بدأت بالمشي وذهبت إلى مكان بعيد لا يستطيع أحد أن يجده أو أن يصل إليه، بت بالخطو وحيدة وأتذكر كل كلمة قالها لي لوسيفر وبت بنداء عليه، ولكنه ليس بجانبي لوسيفر لم يكن، كادت الدموع تنتحر من جفوني تلك، الآن أصبحت وحيدة وأدركت الشعور الوحدة حقا، هذه هي لا أحد يصدقك ولا أحد يأتي لمواساتك فقط أنت وأنت وحيد، آخ لم انظر إلى الساعة كم وصلت بدأت بالمشي وحيدة، وأدكرت أني تاخرت عن البيت، آخ ذهبت متجهة نحو تلك الشوارع المتقطعة، ذهبت إلى بيتنا دخلت عبر النافذة، ولم أستطع العبور عبر الباب لأنني أعرف

تلك الكلمات التي سوف يتفوهون بها، لذلك دخلت عبر نافذتي وأغلقت الباب بشدة وإحكام نمت ولم الفظ بأية كلمة لساعات طويلة لتعبي، استقيظت فجرا بعدما أحسيت ببعض الخطوات في غرفتي، أدركت الأمر حالا:

- لم أتيت الآن ماذا تريد؟

- عزيزتي.

- من؟

- ران اتركي هذا النكد، عليك انظري بإيجابية للحياة، هيا قيفي تعالي ارقصي معي انسي هذا..

تقدم إلي ورفعني من على السرير، بدأ بتمتمة بعض الأغاني ويرقص معي، بدأت بالضحك والرقص كالمجنونة معه، أنساني ما أنا عليه.

- لوسيفر هذه الأغاني لم أسمعها من قبل، كيف تعرفها؟

- آخ ران بدأنا بالأسئلة؟

- هيا قل من أين أتيت بها؟

- آخ حسنا تعالي اجلسي هنا.

لما علي الجلوس امام المرات؟

- تريدين أن تعرفي مصدر الأغاني؟

- نعم.

- إذا اجلسي.

- آخ حسنا حسنا.

جلست أمام المرآة المقابلة لسريري، أتى ورائي ولكن المرآة، لم تعكس وجهه، ياللغرابة التفت له، كيف أنا أراك و المرآة لم ترك.

- إنها غبية، ما شأنك بها، فهي فقط تريد رؤية الجمال لا غير حبيبتي.

- لا تغير الموضوع.

- حسنا اهدئي، الأغاني يا ران، الأغاني هي من بلدتي موطني، عرشي إنها أغاني جد متطورة .

- اقترب إلى أذني بكل حذر، قائلا:

- متطورة من عصركم.

- عصرنا لم؟ هل أنا فقدت الذاكرة أم أنني مجنونة حقا عن أي عصر تتحدث بدأ بالضحك؟

- لا لم تفهمي أنتم ونحن لسنا من نفس العصر ولا الوقت، نحن غيركم.

غيرنا ؟

- نعم في كل شيء، وكذلك نحن لسنا مثلكم نكديون.

- هل بهذا الكلام تقصد أنني نكدية أم ماذا؟

- أنت تعرفين جيدا.

- لوسيفر.

- نعم.

- أين تقع بلدتك.

- بسيطة في الأرض السفلية، الآن تعالي لا مزيد من الأسئلة، ولكن أين أريد أن أنزل إلى هناك.

- لا تستطعين فهي ليست بهذه البساطة.

- ولكن ريد عرض علي النزول إلى هناك.

- من هذا ريد؟ عن ماذا تتكلمين؟ هل تتخيلين النزول إلى هناك سهلا؟

- كلا ربما يوجد البعض من الطقوس للنزول إلى هناك.

- بل يوجد بعض من الأشياء عليك ايجادها، للنزول إلى هناك.

- أشياء؟ ما هذه الأشياء؟

- ران كفى اليوم ليس متاح للحديث على موطني.

- ولكن لما تريد تغيير الموضوع، قل لي أي أغراض هذه، أنا مستعدة لشرائها أو لإحضارها، فقط قل لي لما تضحك على كلامي الآن.

- ران أنا ذاهب.

- لوسيفر توقف توقف.

- السلام حبيبتي..

تركني مجدادا وبنفس الطريقة التي لا أحبها هاربا، لا يريد مصارحتي ذهب تاركا إياي تائهة في ظلمة كلماته، نهظت لإطفاء نور الغرفة وإذا بأمي تفتح الباب، مقابلة إياي وجها لوجه موجهة إياي ببعض من الكلمات، ما بك روان مع من كنت تتحدثين؟ من هنا بدأت بالنظر كالمجنونة في أرجاء الغرفة

- من قولي لي؟

- لم أكن أتكلم كنت أغني.

- لا تكذبي مع من كنت تتكلمين.

- مع صديقتي

- صديقتك لوسيفر؟ من هي هل لديك صديقة اساسا
- نعم لا تعرفيها.
احتضنتني بين درعاها بقوة قائلة قولي الصدق بنيتي لا تخافي، أنا أمك مهم حدث يجب عليك مصارحتي، ماذا يجري ما بك؟
- أمي.
- نعم تكلمي صارحني.
- أمي دعيني أنام لو سمحت.
- لن تنامي روان أنا جد قلقة على حالتك، سوف تجنين هكذا.
- ماذا ماذا تقولين كيف أجن ما هذه الخرفات ما هذه؟
- نعم سوف تجنين التكلم ليلا، وحيدتا مع لا شيء الهروب من المستشفى، والتكلم مع النافذة هل تظنين أن هذا التصرف سليم.
- ماذا يجري لك؟
- أميبي هل تصدقين تلك الممرضة؟
- نعم أصدق كلامها بعد ما سمعتك أذناي روان، لا تخافي تكلم معي صارحيني.
- ولكن عديني أن تصديقي كل شيء.
- أعدك ولكن، أنت تزدين توتري بهذه الكلمات ماذا حدث؟

ـ حسنا اجلسي اجلسي، هيا ماذا تريدين؟

ـ أريد معرفة سر مكلماتك ليلا.. و كيف هربتي من المشفى من دون أن يصيبك شيء؟

- هربت مع لوسيفر .

- صديقتك من هذه انا اعرفك روان ليس لديك صديقات.

- بل لوسيفر صديقي مند الطفولة .

- من هو..هل رأيته..و هل أعرفه ؟

- كلا، لن تستطيعي رؤيته ، أو معرفته بل حتى سماعه .

- كيف لا أستطيع؟ هل هو جني كي لا أستطيع رؤيته ؟أو معرفته؟

- نعم .

نظرت إلى بنظرات الرعب، أول مرة أرى أمى مرعوبة، نهضت مبتعدة مني.

- جنى هل أنت في وعيك روان؟ كيف هل هذا صحيح أم أنك تهلوسين؟

- أمي أنت وعدتني صدقيني، أنا لا أهلوس إنها الحقيقة لوسيفر صديقي منذ الصغر، صحيح ليس مثلنا، ولكنه صديقي صدقيني أنا أقول الحقيقة.

خطت بخطوتها إلى الوراء، مبتعدة عني محركة برأسها مفزعة وعينها متسعة باندهاش يملأ ملامحها.

التفتت وفتحت الباب خرجتا دون لفظ أي احرف وإذا بسماعي دقات المفتاح تخطو في الباب مغلقة إياه بإحكام.

وتبعتها رنات أرقام على الهاتف، أدركت أنها تتصل بالممرضة، معك حق روان حالتها حرجة تلتفظ بكلمة لوسيفر جني يجب علينا احضارها للمصحة العقلية في أقرب وقت، نهضت من مكاني كالمجونة لسماعي بتلك الكلمات، لم أستوعب سرعة أمي للتخلص مني وكذبها بتصديقي لم أصدق هذا بدأت بالصراخ..

- ألم تصدق كلامي؟ هل تعتقدون حقا أنني مجنونة، بل أنا بكل قوايا العقلية هل تسمعون؟ أنا بكل قواية العقلية بدأت بالضحك بهستيرية.

- أنتم عائلتي، ولم تصدقوني كيف لغريبة أن تصديقي، يالني من حمقاء التفت لأعبر عن غضبي لم أر نفسي سوى محطمة كل شيء أمامي، صارخة لطالما عرفت حقيقة كونكم تبنيتموني، ولكن تقبلتكم هل هذا جزائي منكم؟

- روان اهدئي كل هذا لي مصلحتك اهدئي.

لمصلحتي اللعنة عليكم صرخت عاليا، لم أدري ما جرى سوى ببرد صاعقا في جسمي، التفت لفعل شيء منادية لأمي:

- أمي.. أمي.

- لم تأتي، بل لم تلتفظ بشيء يزيد حالتي سوءا، حتى فقدت الوعي.

- روان روان ما بك؟

- اللعنة، المفتاح عالق.

افعل شيئا اكسر الباب هيا.

- أين هي؟ أين هي؟

- قلت لك لا تقفلي الباب عليها، قلت لك.

اسكت ربما لوسيفر الملعون أخذها.

- من هو لوسيفر؟ ألم تري الضوء؟ ألم تريه كل هذا بسببك؟ لم أصدق ابنتي يالك من امرأة.

- أين هو هاتفك؟

- إنه هنا في أي مكان، لقد أوقعته ولكن، ماذا تريد أن تفعل، سوف أتصل بريد لعله يعلم مكانها أين.

- ريد هل تسمعني؟

- إذا كنت تسمعني تعال أسرع إلى المنزل.

- نعم أسمعكم، ماذا جرى ها أنت على الخط، هل تسمعني مابها؟

- ران انقطع الاتصال اللعنة آمل أن لم يحدث شيئا لران..

ذهبت مسرعا نحو البيت، دخلت قائلا ماذا حدث؟

غرقت في دموع قائلة لا اثر لران لا اثر أنا سبب هذا.

- اهدأ ماذا حدث، عمي اشرحلي توجهت نحو غرفتها رأيتها محطمة، بالكامل قلت الضوء مجددا صحيح.

- ردت نعم أبرق المنزل كله.

اللعنة لم فعلتم هذا بها؟ لم يجب علي الرحيل الآن؟

- هل عرفت مكانها؟

- وداعا ليس الوقت للشرح، لقد اخطأتم بفعلتكم فغطبها من القنا في هذا الوضع، خرجت من المنزل مسرعا، ومشاعري مختلطة وأفكاري ليست منتسبة، لم أدري ماجرى ولا أدري أين اختفت مجددا، وإذ بصاعقة تصعق خلايا عقلي، ران نزلت إلى الاسفل نزلت إلى الأسفل الندبة هي من ألقت بها يجب علي لاحقا بها، أسرعت بتمتمة بعض الكلمات، والندبة لم ترد الاشتعال بسرعة خفت أن لا يمكنني النزول وحيدا مجددا، لم أكمل الكلمات وإذ بالندبة تبرق المكان كله، واختفيت عن الأنظار تركت الضلام ورائي والصمت، وها أنا أتوجه نحو البردن لأبحث عنها.

فتحت عيني بعد فقداني للوعي، أحسست بالألم في كل أنحاء جسمي، لم أستطع التوازن بخطواتي، لا أرى حولي سوى الأشجار والبعض من الخضراوات المزروعة، حقل بكل خيراته ومن يميني إسطبل فيه كل أنواع الأحصنة وأصوات الحيوانات المنبعثة من كل ناحية، زرعت في داخلي الرهبة من المكان، لم أعرف أين أنا وأين يوجد هذا الإسطبل، توجهت بخوطواتي خارج الحقل مبتعدة عنه، رويدا ربما أجد أحدا أو سيارة مارة، تأخذني إلى مبتغاي، وإذا برؤيتي عجوزا فوق الحصان، وهو يتقدم، لم ينتبه إلي، أشرت له بيدي أتى إلي ونزل قائلا: ماذا تفعلين هنا في حقلي؟ كيف وصلتي إلى حقلي؟ إنه بعيد عن القرية، كيف قطعت هذه المسافة؟ من أنت؟

- حينما أعرف من أنا سوف أجيبك، ولا حتى أعرف ماذا أفعل هنا، نهضت وجدت نفسي ملقية في حقلك هل تستطيع أن تدلني كيف أعود إلي المدينة.

- ماذا تقصدين بالمدينة؟

- أود أن أعود إلى وسط فيردينيا.

- يابنيتي عما تتحدثين؟ لم أسمع في حياتي بهذا الاسم أبدا.

- آه لا عليك، هل تستطيع أن تقول لي أين أنا بالضبط؟

- أنت في ريفلاد.

- ريلافد، ماذا أين هذه؟ وكيف وصلت إلى هنا، الندبة صحيح ألقت بي إلى مكان مجهول.

- قال العجوز إذن أنت لست من هنا وليس لديك مأوى.

- أنا في الحقيقة لا أعرف هذا المكان أبدا.

- إذا ما رايك بمرافقتي إلى المنزل أولا ثم نتحدث عما حدث.

- لا آسفة لا يمكنني القدوم معك.

- لم؟

- أنا لا أعرفك كيف علي القدوم معك وإلى منزلك؟

- لا تخافي يابنيتي أنا بعمر جدك.

- أدري ذلك ولكن آسفة، سوف أستقل سيارة أجرة وأعود أدراجي إلى فيردينيا.

- ماذا سيارة أجرة !

- نعم سيارة أجرة.

- وما هي؟

- إنها سيارة تستقلني الى بيتي في فيردينيا.

- أنا لم اسمع أبدا بهذه الكلمات أو بالأحرى سيارة أجرة.

- ماذا جرى ما هذا المكان؟

- قلت لك إنها ريفلاد.

- لا أعرفها لا أعرفها ماذا علي أن أفعل.

- قلت لك تعالي إلى منزلي لا تخافي، وأنا لا استطيع تركك هنا وحيدة.

- كيف علي الوثق بك؟

- صعد فوق الحصان مشيرا إلي قائلا اصعدي ألا تسمعي هذه الأصوات ألن تغيري رأيك؟

نظرت إليه وتلك الأصوات تغزو أذني، حسنا انا قادمة محاولة ركوب الحصان، وإذ بي أقع، نزل العجوز منه وساعدني على

امتطائه، فتوجه بي إلى قرية بسيطة بمنزلها تلك، والأحصنة المربوطة أمام كل منزل، وتلك النساء ذو لباس غريب منهن من يحلبن البقر ومنهن من يتكلمن و يستعرضن مفاتنهن ابتعدنا قليلا عنهم متجهين، صادفنا رجال جالسين في طاولتا من خشب يلعبون بأحجار لا أعرف منبع تلك الألعاب، وأصواتهم تتعالى كل من رمى بحجرته يقف صارخا.

نزل العجوز قائلا بنيتي سوف آتي على الحال، بقيت على ظهر الحصان وأصوات القرية تغزوني، أحسست بالاطمئنان بينهم وجوههم تلك حتى أتى العجوز. يتوجه بي ببضعة خطوات عن ذلك الحشد قائلا هذا هو منزلي، منزل مثل باقي المنازل التي هنا منزل خشبي بسيط تكسوه بعض من النوافذ، وأمام الباب مختلف أنواع الازهار، زاده بهجة ربط الحصان أمام المدخل دخلنا وقال مرحبا بك في البيت، تعالي اجلسي ملامح التعب مرسومة على وجهك، جلست بخجل لتعامله معي بتلك الطريقة التي لم أحضها في حياتي، مراقبة كل جزء من المنزل، إنه جد متواضع توجد البعض من السرائر المألوفة بطرازها، ذاك وفي الوسط طاولة دائرية فوقها باقة من الورود وسلة من الخبز

وحولها ثلاثة كراسي مختلفة الشكل، وأربعة بيبان من ناحيتين بابين والأخرى كذلك، جلس العجوز قائلا:

- اذن احك لي بتفصيل من أنت، وكيف وصلت إلى هنا وما هاته فيردينيا وسيارة الأجرة.

- إذن أنا ران أعيش في فيردنيا و هي أرض متطورة غير ما أرى هنا.

- نحن لدينا السيارات والطائرات وتلفاز وكل أنواع التقدم العلمي هناك.

- ضحك العجوز قائلا، وتضنين أنني فهمت كلماتك؟

- ابتسمت وقلت لدي دليل وحد معي سوف أريك اياه لتصدقني،

- ادخلت يدي، أخرجت الهاتف ووضعته بين يديه بدأ بالنظر إليه باندهاش ويقول ماهذا؟

- بت بشرح أن هذا الشكل يدعى الهاتف تستطيع الاتصال بشخص بعيد عنك أو بعائلتك، أيما أردت.

- قال إذن اتصلي بعائلتك الآن.

- قلت لا استطيع فهو يشتغل هناك فقط.

نظر إلي قائلا:

- لا عليك لقد صدقتك ومن نظرة أولى من ملابسك فهمت أنك لا تنتمين إلى هنا.

- قلت كيف لشخص غريب أن يصدقك؟

- ومن ربتك تكذبك.

- رد قائلا ماذا تعنين يابنيتي؟

- اه لاشيء أنا فقط اتذكركيف أصبحت حالتي الآن تائهة وسط قرية ليست معروفة بالنسبة لي.

- لا تخافي يا بنيتي طالما عثرت عليك، ولم أتركك مهما يحدث لم أصدق أنني عثرث على حفيدة أخرى تنسيني وحدتي.

- حفيدة أخرى هل لديك حفيدة وأبناء؟

- نعم بالطبع لدي حفيدة وحيدة فقط و ابن واحد.

- انبسطت بمعرفة هذا إذا سوف أكون صدقة مع حفيدتك.

- بالطبع بنيتي انظري هناك غرفتك اذهبي استلقي ونامي، سوف أنادي حفدتي إنها تقريبا بعمرك سوف تحبينها، لآتي بها لتعد لنا طعاما.

- نعم سوف أذهب، أنا جد منهكة شكرا على ترحبيك ياجد.

نهض العجوز قائلا لا شكرا على مايجب أن نفعله، إن استطعنا و خرج لكي ينادي حفيدته، أخذت بخطواتي متجهة نحو تلك الغرفة فتحتها ملأت رائحتها الطيبة أنفي، غلقت الباب ووقفت في وسطها أحدق لمدى بساطة المكان سرير في زاوية وسجادة شملت كل زوايا الغرفة أحستني بالراحة، ألقيت بجسمي فوق ذلك السرير غزت الراحة عظامي التي كانت تدق من شدة الألم و نزلت الطمأنينة على قلبي ورسمت ابتسامة على وجهي، وأخيرا بعيدا عن ما يرهق النفوس وأقول لقد غير القدر كل شيء عني رأى أنني تعبت و ظلمت، فأخذ بي إلى أرض مجهولة أرحم بقلوب عبادها.

غلقت عيني ونمت ولا شيء يعيق نومي إلا بلحظات سمعت الكلام يعم ارجاء المنزل بعد الصمت الذي كان يتجول بداخله بين العجوز وحفيدته تقول قلت لك ياجدي إني أعدتت لك الفطور قبل ،ن تذهب خارجا بحصانك، وأكلت اه يا جدي بدأت تنسى .

- لقد فرغت بطني، اهدرت كل قواي خارجا.

نهضت من مكاني كدت أن اخطى بخطواتي خارجا، ثم سمعت خطوات تخطو ألى معيشة وتبعتها كلمات العجوز لما طبقا واحد:

- جدي لديك معدة واحدة، وانت دائما ما تترك في الطبق، أظن أن حرارة الشمس اليوم أثرت عليك .

- ثم قال ران اخرجي أعد لنا أنت الفطور.

- قالت جدي من ران، عم تتحدث حالتك تقلقني؟

خطوت بي خطواتي وفتتحت باب الغرفة التي وراءها، واتجهت نحوها وأخذت قائلة بضحكات له حق، أين طبقي؟ لم اعدت وحدا، لم تصدق ماترى اتسعت عينها ووقفت كااصنم لا تتحرك وكادت أن تلقي بطبق بين يديها، وتقول بكلمات بصوت خافت من هاته ياجدي؟

- قال لي خذي عليها الطبق ياران قبل أن تسقط به أرضا.

- أخذت الطبق منها مسلمة عليها، وهي تقل بكلمات متقطعة، سررت بلقائك ياران أنا ريلان وجلست على طاولة ملأ ذلك الاسم عقلي، لم اسمع مثله من قبل في فيردينيا بدأت بالأكل وقال العجوز، اجلسي ريلان لاخبرك وانا محدقا نحوهم وهو

يحكي لها عني وكيف وجدني، وعن الكلمات التي سمعها الأول مرة وعن الهاتف الذي قدمته له.

ويقول اعطتني هافت ضحكت وكدت أن اختنق ريثما بلعت الأكل.

- وقلت انه هاتف ياجد هاتف.

ضحكوا جميعا وقال لها وهل تعرفين معنى سيارة أجرة تلفزيون.

- ماهذه الأسماء الغريبة ياجدي.

بدأت بشرح لهم أن سيارة عندنا مثل عرباتكم بعجلات لكن بمحرك وليس بالأحصنة كما وجد عندكم، وتلفاز يشبه الصندوق لكن به شاشة تبث بصوت والصورة،

قال لم نفهم:

- قلت هل لديكم هنا تجمع لمسرحيات.

- قالوا نعم كل ستة أشهر.

مثلها لكن عبر الشاشة كما ترونها بأعينكم أمامكم، سوف ترونها داخل الشاشة ويملكها كل منزل وتستطيع مشاهدة في أي وقت أردت، ليس عليك أن تتنتظر ملأ الفضول قلبهما يودن

روئيتها، نهض العجوز قائلا في مساء سوف نتحدث علي أن أذهب الآن لدي عمل ثم قال ريلان لا تنسي أن تغسلي الطبق ثم خذي بران لتتعرف على ابني و زوجته.

-قالت نعم ياجدي اعتني بنفسك.

- خرج قائلا الوادع ياران.

الوادع ياجدي نهضت بطبقي نحو المطبخ وتبعتني ريلان ماذا تفعلين، أنا من سوف يغسله قلت مدمت هنا سوف نتقاسم الأعمال ابتسمت وقالت لعل لديكم هناك شيء يغسل أطباق لا تظنين أننا لدينا، فهنا نغسل بالأيدي ضحكنا ثم غسلنا الأطباق اتجهنا إلى الغرفة نتبادل الحديث فتاة ولا أروع لم أقابل مثلها من قبل بشعر يميل إلى الاصفر وعينين كبيرتا الحجم بلون أزرق وجسمها ذلك.

- أخذت بيدي قائلة هيا نذهب إ لى منزلنا سوف تكون أمي مسرورة لرؤيتك.

خرجنا من الباب متجهينا يمين إلى أحد المنازل أقرب لبيت الجد وصلنا ببضع خطوات قائلة:

- اتبعني بصمت ورائي ولا تصدري صوت أمي الآن في الغرفة مستلقية سوف نفاجئها فتحت الباب، دخلنا ثم سمعت كلمات تقول ريلان هل عدتي مابه جدك؟

- قالت ادخلي أنت عليها وقلي لا شيء يا أمي وهي وضعت يديها على فمها ضاحكة دخلت لتك غرفة وقلت لا شيء يا أمي أرهق نفسه فقط قالت الحمد الله الى بادركها أن غير صوت ابنتها فتحت عينها بفزع نهضت صارخة، من أنت؟ ماذا تفعلين داخل منزلي؟ ناديت ريلان اسرعي قبل أن تقتلني أمك هاته؟

دخلت قائة: أمي لا تقلقي هاته ران وجدها جدي في الحقل تائهة فهي من غير أرضنا.

-أتت نحوي معانقة قائلة: مرحبا بك بيننا.

هيا حدثيني لى نذهب إلى غرفة المعيشة جلسنا نتكلم، ونتحدث ونلقي ضحكات من حين إلى الآخر حتى سمعنا دقات على باب توجهت ريلان نحوها، وفتحتها قائلة إنه أبي لقد عاد دخل رأيت من نافذة وجدت أن الشمس بدأت بالمغيب.

نهضت سلمت عليه قائلة: هل نتم جدد هنا في القرية مرحبا بكم ثم نطقت الأم بلا قصة طويلة، اجلس سوف أخبرك أحضرت له ريلان الماء وحملت مابين يديه وقالت تعالي معي إلى المطبخ لنجلس هناك لنتركها تروي له الأحداث، فنحن نعرفها اتجهت مع ريلان إلى المطبخ نتبادل الحديث ثم سألتني هل تعريفين الطبخ؟

- نعم بالطبع أعرف.

هل أعدتي لنا اكلة من أكلاتكم الليلة؟

ابتسمت وقلت لتعدها أنت لكي تتذكريها دائما حينما أغادر من هنا.

- قالت أريد ان تبقي هنا معي لم تتكلمين عن الرحيل؟

- سكتّ وقلت سوف تعرفين فيما بعد.

- هيا انهضي لنعد طعام فالليل قد حل وكل العائلة بمعدة فارغة، بدأنا نتحدث عن أنواع الاطعمة واختلاف في طريقة الطهي بين العالمين.

- قالت هيا الآن ماذا نعد بضحكات إلا اريد كل تلك المأكولات يجب ان تعلميننني طبخها كلها فيما بعد.

- قلت بالطبع.
- هيا الآن قلي لي ماذا يوجد كموصفات.
- بدات بإخباري.
- فقلت سوف نعد الطبق سوف يرهقك بلذته.
- أعدناه بعدما أتت الأم لسماع الضجيج الذي أصدرناه وساعدتنا. وأعدنا الطاولة بكل مافيها، ذهب الأب ليانادي بالجد وهاهي كل العائلة حول الطاولة يتذوقون طعاما من أرض مختلفة بالزمان والمكان ببمجرد ما تذوقه ملأت كلمة لم أتذوق مثله أبدا في أفواههم بعيون مندهشة.
- قال الأب الآن صدقت حديثك يا ميلدا.
- قال الجد لابنه أنا صدقتها بعيني ليس ببطني.
- ملأت الضحكات الطوالة وأنا تائهة في عقلي كيف ألقى بالقدر حول طوالة تملؤها قلوبا نقية، هل أنا في حلم أم وهم من الندبة؟ نظرت عبر النافذة، القمر ملئها وكأنه يتشارك معنا المائدة، والنجوم محدقة بلمعان، وكأنها تنبض ضحكا ياله من عالم احتضنني بين سمائه وأرضه، بينما كدت أن آخذ بين جدران المصحة العقلية، بحجة أنني مجنونة يالكم من مجانين بعقولكم،

تلك لو رأيتم أين أنا الآن لأخذتم أنفسكم إليها، تهت بأفكاري ويدي على جبهتي حتى سمعت نداء كأنه بعيد.

- ران ران هل أنت بخير ما بك؟

- رفعت راسي وقلت نعم ريلان بخير.

- ردت الأم قائلة لعلها متعبة اكملوا أكلكم واذهبوا إلى منزل جدكم واخلدوا الى النوم، سوف أغسل الأطباق أنا.

- قلت لا يا عمتي سوف أغسلهم أنا وريلان.

- ليس اللية لتستريحي.

- قلت كما شئت ردت ريلان هيا هيا ران، قبل أن تغير رأيها مبتسمة.

خرجنا من المنزل أنا وهي والجد نحو بيته دخلنا مباشرة إلى الغرفة، فتحنا نافذتها رأيت الظلام كانه يتجول خارجا كأنه حارسا لليل غز نسيم القرية رئتي انعشني قلت ليلتي الأولى هنا، التفتنا وجلسنا نلقي على بعضنا كل الكلمات التي نعرفها وإذ ريلان تسألني عن أرض فيردينا.

- ران أريد أن تحكي لي المزيد عن أرض فيردينيا.

بدأت أسرد عليها شكل فيردينا بتفاصيل المملة، من جمال بحرها إلى صفاء منزلها المتعددة الألوان ووسائلها المتعددة التي سهلة علينا يوميات الحياة وحدتتها على تفاصيل حياتي، والدقائق الأخيرة التي ألقت بي بين أحضان حقل غري عني، بدأ النوم بغلق أعيننا نهضنا نحو سرير لنكمل الحديث غدا نمنا وفي الصباح نهضت وجدت نفسي وحيدة، لا أثر لريلان خرجت من الغرفة وجدت الفطور جاهزا في غرفة المعيشة بدأت بالأكل حتى سمعت الباب، فتحت أتت ريلان بخطوات مسرعة حاملة للملابس حركت أعيني بألونها تلك وهي قائلة: - - صباح الخير ياران لقد أتت أمي في الصباح الباكر أيقضتني قالت لم لا تاخذين ران جولة حول القرية تحدثت مع أبيك ووفق، وإذ بسماعي تلك كلمات نهضت فرحة ثم خطوت مسرعة أعدت الفطور كدت أن أوقضك، راودتني فكرة أن تخرجي بين شوارعها، بثياب أرضنا وهاهي بين يدي هيا أكملي فطورك، سوف أعود لا تنسي أن تلبسي هذه الثياب هيا إنها السادسة صباحا، أسرعي علينا الخروج قبل السابعة

أكملت فطور نهضت نحو الغرفة حاملتا تلك الثياب بدأت بلبسها، كم كانت تريق العقل بألونها ذلك السروال العريض من التحت وضيق من فوق أسود، كعتمة وذلك القميص أحمر بمربعات سوداء وتلك القبعة التي وضعتها على رأسي أحست وكأني أاميرة بلونها الأسود، وتلك الأحذية الكلاسكية تلمع، عاكسة صورتي كمرآة وتنغم بطرقتها أصواتا متناسقة على الأرض، حينما أخطو احسست كل شيء هنا يصدر من سعادة قلوبها سينفونيات حملت تلك الأطباق بدأت بغسلها وحينما أتممت سمعت ريلان تخطو بخطوتها خارجا وتناديني ران هيا اخرجي.

قلت بصوت عال يديّ مبللتان سوف اجففهما وآتي، خرجت رأيتها بحلة ما أروعها بفستان أزرق سماوي يصل إلى منتصف ركبتيها ومختلط بلون أبيض كسحب وكأنها عالم بلبسها ذاك وربطة العنق تلك السوادء متانسقة بلونها مع الحذاء، وتعلوها قبعة بيضاء كأنها ملاك بأناقتها، حدقت فيها وقلت ما أروعك، وهي أيضا كانت شاردة مترددة تغيرتي هل أنت ران؟

- هيا هيا لنتحرك لتراك القرية بأكمالها.

خطوانا بعيدا من الحي الذي كنا فيه، و إذا برؤيتي ألوانا غزت القرية لم أتركها البارحة وكأنها حتى هي لبست حلتها لم أفهم ماذا يحصل مرار و تكرار، اسئل ريلان وهي تقول ريثما نصل سوف تعرفين، أحدق لا أحد وكان القرية خالية وإذ بسامعي أصوات تنبع من الحشود في مكان ما لم أفهم، ماذا يحدث الا بنا التفتنا ودخلنا إحدى المداخل، أدت بنا لساحة ملأتها الحشود، لم أصدق عيني، فرحة مرسومة في كل شخص وكان السعادة تحكم هذه الأرض، أطفال بثيابهم يجرون بضحكات والنساء والفتيات يملأ التباهي أرجائهم بلباسهم والرجال يحوالون لفت أنظارهن، والشيوخ جالسين متبادلين الكلام نظرت إلى ريلان بدهشة وإعجاب، كدت أن أفتح فمي لأسألها.

- قالت لم نخبرك البارحة أن ريفلاد سوف تشهد تجمعا سنويا كل عام، فهذا اليوم نحتفل به كلنا على أرضنا ريفلاد كلنا صغارا وكبار وإنما تركناه لك مفاجأة فقدرك أحسن التوقيت

نظرت اليها وقلت لا تستطيع الكلمات عن التعبير، شردت لثواني حتى رأيت جدي جالسا مع الشيوخ، أسرعت إليه تبعتني ريلان وصلت عانقته وقلت: عيدا سعيدا لريفلاد وقال لنا كلنا.

نطق صديق عجوز قائلا:

- أنت لست من هنا صحيح.

رد جدي اتركها تذهب لتستمتع فهذا هو صباحها الأول على هاته الأرض، سوف أخبرك أنا باللقصة الطويلة، سوف نحفر لك قبرك اليوم لسمعها لن يتحملها عقلك ذاك ويترك جسمك صلبا طلقنا ضحكات، وذهبت أنا وريلان وسط تلك الفتيات وكلهن يحدقن لوصولنا علت طبول الرجال وملأت الصرخات الأرجاء والكل يهتف استمتعت بتقليدهم الغريبة التي لم أر مثلها في فيردينيا وتلك الرقصات المتناسقة مع تلك الأنغام يطرقون على الأرض بأرجلهم وزيهم الراقص مع تلك الطرقات المتناسقة، وعند انتهاء تلك الرقصات يقوم الرجال راميين قبعتهم تحيتا لي النساء على رقصهم طيلة النهار، وهم يرقصون ويشربون إلا عند حلول منتصف الليل قامو بإخراج طاولة كبيرة، احتلت كل الساحة من أولها لي أخرها قامو بوضع كل

أكلاتهم الطيبة بخيراتها جلسنا على الطاولة واحد تلو الآخر، أكلنا من كل شيء، عند الانتهاء جاء كبار القرية كي يقصو علينا كيف نشأوا في القرية و كيف قضوا أعمارهم فدءا لي القرية، كانت ليلة جد رائعة لن أنسى كل هذه الأحداث وكيف رحبوا بي بينهم وكأنني شخص منهم وفيهم ،عند طلوع الفجر حل الصباح بحلته الزرقاء الصافية من احتلال الغرباء بدأت النساء بأخد ولادهم لدخول منازلهم و الرجال بأخذ خيولهم أما الشيوخ دخلوا منهمكين من السهرة، بقي فقط الأولاد والبنات في أعمرنا وقاموا بجمع الطاولة من الساحة وغسل تلك الأطباق، بقينا معهم حتى السابعة صباحا نغسل ونضحك على الذي جرى.

اتجهنا إلى المنزل منهمكين لم نتكلم بشيء نمنا نوما عميقا بعد مرور أشهر على ريفلد مرحبا بي بين عائلتي الثانية تأقلمت مع الوضع كليا تغيرت عادتي نسيت ارضي الأصلي أصبحو جزءا مني، وأصبحت جزءا منهم لا أستطيع مفارقتهم نعمل نتعب نضحك نبكي كل الأشياء التي مررنا بها، مررناها مع بعض و كل المشاعر التي جمعتنا غرست حبا داخل قلوبنا

حتى في ليلة من ليالي ريفلاد، كنت جالسة وحيدة ذهبت ريلان لبيتها كانت أمها تاعبة جلسة وحيدة في الغرفة، لم أكن أعرف ما الذي يجب علي أن افعله رميت بجسدي على السرير محديقة بالسقف وإذا بسماعي لي صوت الأنفاس غير مألوف أمام اذناي أغلقت عيناي لم أرد فتحهما خائفة من استرجاعي للشيء الذي تركته ورأى ولكن تلك الانفاس لا زالت تحوم أمام عنقي وأذني.

- لما عدت؟

- من أجلك حبيبتي.

- حبيبتك الآن، أنا حبيبتك لقد تركتك الم تفهم تركتك نسيتك في هذه الأشهر لم جئت لم.

- جئت لآخذك.

- تاخذني هل جننت أم ماذا؟

- كلا لم أجن بل قاومت لنسيانك ولكن انظري كيف أصبحت انظري.

- لوسيفر كفى تمثيلا كفى أرجوك اتركنى غادر ريفلاد، أصبحت أرضي الان اتركني بسلام.

- ليست أرضك ران، ليست أرضك لو تعرفين ما فيها لما تريدين المكوث فيها.

- وماذا يوجد ماذا؟

- هذه الأرض لديها قوة تستنفذ كل ما بداخلك، انظري إلى الندبة أوشكت على الاختفاء انظري.

- ماذا؟ كيف؟

- المسيها لكي تتأكدي، المسيها ران لا تفعلي هذا بنا لا تفعلي، غادري هذه الأرض أو تعالي مع إلى أرض البردن.

- ولم الندبة تختفي؟

- هذه القرية تحاربنا يا ران تحارب الجن والشياطين.

- ولكن مادخلي أنا بشرية.

- بل أنت لا تدركين إن كنت بشرية أم جنية بنصف بشري.

- كيف جنية هل جننت؟ اخرج اخرج.

- كلا ران لا تفعلى هذا ندبتك سوف تزول، لا تفعلي هذا بنا لا تغلقي أبوابنا بين العالمين.

- لا أريدك لا أريدك.

- إن لم تأتي معي أمك يا ران سوف أقتلها من دون شفقة.

- افعل ما تريد أنا لا أكترث لهم بسببها أنا هنا.
- بل أمك ملاردا.
- ماذا؟
- ملاردا بين يدي، أعرف مكانها ومع من تكون.
لم أصدق مالذي يقوله، اتجهت نحوه والغضب يتطاير مني.
- ماذا تقول أمي؟ ماذا تقول؟
- امسكي بيدي ولننزل إلى البردن.
- لوسيفر.
- ران كفى عن تضيع الوقت كفى.
- لم أعرف ما الذي جرى لي لسماع تلك الكلمات، أمسكت يده أريد رؤية أمي إن كلفني الأمر حياتي كلها احتضنني لوسيفر بكل قوة.
- كنت أعرف قدومك معي.
- ظللنا متمسكين منتظرة نزولنا وإذ بسماعنا لصوت خطوات متجهة نحونا، تغير لوسيفر إلى شخص بل ليس لشخص أصبح سواد وشيء ما من تحت الأرض ممسك به صارخا:
- ران قولي له ألا يأتي ران تمسكي بي..

فتح جدي الباب وهو ليس بداري عن الذي يجري، وقع عن الأرض وكان شيئا ما أصابه، لم أكن أدري ما علي فعله لوسيفر يصرخ لنزولي معه وجدي واقعا على الأرض، تهت بين تلك المناظر توجهت ممسكة بيد جدي باكيتا خفت على فقدانه:

- ران ران تعالي.

- لا أستطيع لا أستطيع..

- اذهب إلى فلادك القلادة ران القلادة ساعة البردن، يمكنك النزول ران قلادة البردن.

- اذهب لوسيفر اذهب.

- زال السواد ولوسيفر معا.

بقي جدي ملقى على الأرض صلبا لا يتحرك، ناديته عدة مرات لم يستجيب أسرعت إلى المطبخ، أحضرت الماء سكبته عليه لكن لا جدوى من ذلك، خرجت مسرعة من المنزل متجهة نحو بيت ريلان دخلت بكل قوة صارخة عمتي ميلدا ريلان ريلان أسرعى لا أعرف ماذا حصل لجدي؟ سقط مغما عليه أتينا مسرعتين والفزع على وجوهيم والأسئلة ملأت ألسنتهم قلت: -

ليس الوقت للشرح هيا هيا، دخلنا مسرعتين وإذ بنا نراه جالسا في غرفة المعيشة حاملا لكوب ماء وملامح التعب مرسومة عليه، سألناه عما حدث فرد كنت داخلا إلى غرفة ران ثم لا أعرف ما حصل، قلت:

- لقد سقطت أمام الباب، أحضرت الماء ورشيته عليك وطوال الوقت كنت أحاول إيقاضك، لم أرد أن انادي ريلان، قلت قد تستيقض لكن بقيت كالصنم لا تتحرك لقد فزعت كثيرا قال:

- لا عليكم ربما أرهقت نفسي كثيرا اليوم .

- يا أبي قلت لك اذا وجدت صعوبة في شيء نادي ريلان، لا تقوم بكل الاعمال وحدك أنت كبيرا في السن ليس، كما كنت لا عليك ياميلدا الأمور بخير، أريد أن أرتاح قليلا اغلقوا الباب خرجنا من غرفة المعيشة قائة سوف نعود إلى البيت، ابق أنت هنا معه، اذا حدث شيءندينا فنحن لدينا كثيرا من الاعمال تنتظرنا، قلت أردت أن أساعدكما، اهه لكن كما ترون سوف أبقى معه، ذهبتا و دخلت الغرفة بقيت وحيدة مفزعة مما حصل أحاول فهم ما حصل، غزت أسئلة عدة عقلي كيف تناسق زوال لوسيفر بدخول جدي وسقوطه، هل ماقاله لوسيفر صحيح بعد

ساعات ذهبت لأطمئن عليه دخلت غرفة وجدته لا يزال نائما، ظللت طوال المساء تائهة بأفكاري بدات الشمس بالغروب كانت ساعة السادسة بالضبط، سمعت الباب فتحت خرجت من غرفتي مسرعة ،ظننت جدي الذي استيقظ، لما فتحت الباب رأيت الأب و ريلان أتيا لرؤية الجد، دخلت معهما استيقظ ريثما دخلنا جلسنا بجانبه قبل رأسه عمي ايبلام و قال الحمد لله على سلامتك، ماذا حدث؟ قلت أنا سوف أخبرك هو جد متعب، أخبرته بالتفاصيل فقال:

أبي لقد أرهقت نفسك اليوم مجددا، صحيح لم تفعل هذا إذا وجد ما لا تستطيع عنه اتركه، واسترح و اعمل عملا آخر ريثما أعود من عملي مساء وأقوم به مهما كنت متعبا فصحتك تهمنا أكثر من كل شيء، نهض العم ايبلام معانقا إياه قائلا كبرت يا أبي لا ترهق نفسك نريدك بيننا فقط، والباقي لنا هيا استلقي لتستريح ثم سوف أعود لك بطعام لا تخرج من هنا وغدا سوف احضر لك ممرضة لفحصك هيا ريلان لنذهب تعالي ران معنا، سوف نعود بعد دقائق فقط دخلنا وجدنا العمة قد أعدت كل شيء، حملنا الأطباق والطعام وخرجنا، غلقنا الباب بإحكام ثم

توجهنا أعدنا الطاولة أنا وريلان ريثما كانت ميلدا وايبلام مع الجد ثم طلقنا نادينا: المائدة جاهزة، أتى الكل غير الأجواء على الجد بالكلام والضحكات وملأنا الليل بصخب داخل البيت ثم بنا نكمل الأكل كانت الساعة التاسعة ونصف، ذهبت العائلة إلى بيتها بقيت أنا وجدي وهو مستلق على السرير ودخلت الغرفة منهكة، استلقيت وأغلقت عينيّ ونمت.

مر أسبوع والأمور عادية وعدت إلى عادتي نسيت عن ماجرى، في إحدى ليالي كنت في غرفتي نائمة وإذ بي أسمع الباب فتحت وبالنور يغزو عتمة غرفتي، وبشخص يجلس على سرير ظننت ان لوسيفر عاد، نهضت صارخة، كدت أن أقول باسمة، وإذ برؤيتي لجدي وضعت يدي على قلبي وقلت:
اعذرني لصراخي، لقد فزعت من قدومك، لم يتلفظ بحرف ساد الصمت فمه، وبقي يحدق في النافذة شارد،ا ثم قال نحن الخوف لا نعرفه هنا، الآن لا شيء سوانا هنا، نحن فقط لا أحد يشاركنا هذا العالم ضد أفكارنا وعقائدنا لنغرس الخوف في قلوبنا، وننام بعقول تملؤها أسئلة ،والخوف من ماسوف يحدث في المستقبل، وفي اللحظة ولا ننام طيلة الليل، وإذا نمنا نستيقظ مفزوعين هته

غير قلوبنا، نحن نعيش اللحظة ونعلم الرب موجد فوقنا في مكان ما، يسير أمورنا استدار إلي قائلا: لكن عالمكم كان مثلنا حتى قلب الكهف موازناه ودخلت شياطين والجن من البردن وزحفت نحو عالمنا لتسقطه أيضا من جهة شرقية فلادك، نهضت من ماكني لم تصدق أذني ما أسمع من ما يقول العجوز وحينما قال فلادك التي سمعتها من لوسيفر صرخت ماذا يحدث هنا، أحسست أني جننت نهض وقال: بدون كلام..

- لن تفهمي ما سمعته، اجلسي سوف أروي لك كل شيء، من ليلة قدومك إلى هنا، كنت أعلم عن سفر عبر زمن لكن لم أكن أؤمن به بتصديق جازم كليا لكن حتى ذلك اليوم كنت أتجول بحصاني، حتى رأيت ضوء أبرق حقلي ظننت أن حريقا قد حل، أسرعت حتى رأيت السماء تجمعت فيها الغيوم فهمت أن شيئا غير عادي يحدث، حتى رأيتك تقاطعين طريقي سائلة إياي بتلك الأسئلة التي حركت قلبي فزعا، وحينما رأيت ملابسك وبوجه غيرنا فهمت أن القدر قلّب الموازين، وبدأ بضبط خططه، لم أرد أن أخبرك، فقط اكتفيت بأخذك معي إلى المنزل وأردت أن أوثق أفكاري، وحينما رأيت ذلك الهاتف صدقت كليا

بقدموك من عالم آخر، وأن أفكاري كانت صادقة وعلمت أنك أنت صاحبة الندبة.

- ماذا؟ كيف تعرف عن كل هذا؟ و عن الندبة سوف تجوبيك الأيام، دعني أكمل، في الأسبوع الماضي رأيت ضوء يشع من غرفتك ظننت أن ندبتك ضاعت هنا، كونك لست طبيعية بل بأوصاف غير بشرية، فعادت بك كآخر أنفاسها إلى فردينا، لتخرجك من هنا، قبل أن تصبحي عالقة هنا، لكن ريثما فتحت الباب رأيت ذلك السواد، لم أصدق قدومه إلى هنا مجددا فارضا بها قيودا شدت، لا تسمح بدخول غير جنس البشري، لهذا نحتفل بعظمة ريفلاد سنويافكيف حطمها؟ فقدت وعيي كليا فأنت يابنيتي من غير عالمنا، وقد خلقت ثغرة بقدومك، أخاف أن يعود بأعوانه وتسقط ريفلاد على يديه، وكما ترين أول خطواته في غزو كل شيء الخوف، الخوف دخل معه وسوف يسيطرعلينا ليكسر سلاسل ثقتنا بالله، ونصبح ضعافا، هاهو يمسك بأفكاري، أول مرة أطلقاها خائفا، إذن اسمعيني أنت الحل لكل عوالمنا سوف أخبرك عن ساعة لا أعرف نوعها إلا لونها المشع كالبدر، و قلادة في الجهة الشرقية من أرضنا ريفلاد نحو

فلادك، سوف تجدين هناك عجوزا كان صديقي لكن غير اسمه الحقيقي، ولست أدري ماهو و لكن اذهبي إلى هناك واسألي عن الساعة لعلك تجدين الساعة وصديقي، ثم سوف يدلك عن القلادة فهي الطريقة الأسرع للنزول إلى البردن، فهو ينتظرك لطيلة عمره فبيده أمورا هناك لصفها ماذا تعني هل س...؟؟

- كفى أسئلة أنا منهك، سوف يروي لك كل شيء وحينما تعدين سوف أخبرك بالسر، سوف يحدث في البردن هيا عدي إلى النوم ولا تتحدثي عما قلت لك لريلان وأي أحد تصبحين على خير، خرج وتركني أصارع عقلي ومشاعري، لم أفهم ماذا يحدث، كل هذته الأوهام تغزو عقلي، لم أنا بالضبط لم؟؟ اللعنة على ما أمر به، حتى توقفت وقلت بعقلانية: هل هذا يعني أنني الوحيدة في هاته العوالم التي تستطيع تخليص كل هاته المجريات، و اختارنا الرب أنا و ريد..هيا ران لننام وغدا في المساء سوف نشق طريقنا..

نهضت في الصباح الباكر، توجهت نحو منزل ريلان ناديتها قلت تعالي أريد محادثتك بعيدا عن الكل، خرجنا اتجهنا إلى غرفتي قلت لها اجلسي وقلبها كان ينبض خوفا، ماذا حدث

ران؟ هل أنت ذاهبة أم ماذا؟؟ قلت اسمعني جيدا سوف أخبرك بأشياء لن تصدقيها حدثتها بتفاصيل لطيلة ثلاث ساعات، وأنا أكرر الكلام لتفهم، كانت تحرك رأسها فقط منذهشة بالكامل، الخوف مسيطر عليها، حينما أتمت ساد صمت كبير في الغرفة، وأنا اخطو بخطواتي في زواياها بعد لحظات سألتني: إذن كيف عليك أن تجدي الساعة؟ قلت: كما أخبرتك ريلان في جهة الشرقية لأرضكم، تعبت من الكلام، آه إنها كإبرة في كومة قش، لإيجادها يجب الصبر فهو المفتاح الوحيد لكي تفتح أي باب، ثم قلت هيا نذهب لنساعد أمك في تحضير المائدة، انسي ما قلت وغيري ملامحك ولا تخبري أحدا.

طوال المدة لم ينحرف تفكيري، وعلى تلك الساعة وقد لاحظ الجميع صمتي المفاجئ، ألقيت ايلام و ميلدا عني أسئلة كثيرة، اكتفيت بإخبارهم أنني متعبة فقط، أما ريلان والجد فيعلمان ما بداخلي، عدت إلى منزل الجد نحو الغرفة، نمت حتى الصباح، نهضت بعد توغل في فرضيات واقتراحات، قررت أخيرا بالرمي بالقدر إلى الأمام، وأخذت نفسا عميقا، خرجت منادية تعالي أحتاجك لريلان، أتت مسرعة وقلت متمتة

ادخلي: إلى الغرفة أسرعي أريدك بعيدا عن الكل، اهه ريلان اسمعى اليوم، أنا ذاهبة إلى الجهة الشرقية للبحث عن تلك الساعة، قد يكون لديهم كل أنواع الساعات، قالت لم أنم البارحة، دخلت غرفة جدي حينما كنتم نائمين سرقت بعض الكتب منه لعلها تتحدث عن الجهة الشرقية، ولكن صادفتني كتبا لم أفهم عناوينها حتى قرأتها، كتب غير عادية التي كانت تتحدث عن السفر عبر الزمن، ولكن وجدت شيئا أقلقني فيها حول فلادك، وجدت أنها غير مماثلة لنا، والساعة التي روى عليها جدي لن تستطيعين ايجادها هناك، لقد مرت قرون عليها، قد تكون نهايتك هناك ايضا فقلت:

- لهذا أود أن اذهب، هل تعريفين إن لم نغامر في هذه الحياة من أجل شيء رغبناه، فلا يجب أن نبكى عليه عندما نكبر..

فقلت لا عليك سوف اذهب مساء اليوم وفي....

قاطعتني وقالت:

- سوف أرافقك..

رفضت وقلت: على الأقل يبقى واحدا يعيش حياته هنا ويعتني بجدي.

فقالت:

- لك ما شئت، أتمنى لك كل الحظ ياصديقتي، ليكن في بالك ياصدقتي، فأنت في قلبي ليس لدي أحدا سواك، انتبهي جيدا إنني جد خائفة عليك.

قلت:

- ههه لا مادام القدر يتخذ القيادة، فلا حظ أو خوف، حسنا ران الآن يجب علي الذهاب فالوقت لا يسمح لي بالبقاء أكثر، هيا هيا عانقيني لأودعك، ها نحن نخط بخطواتنا تلك إلى الخارج.

قلت لها:

- إن لم أعد فاخبري جدي بكل شيء.

- نعم إذن هيا وداعا لديك طريق طويل الليلة، اعتنى بنفسك وداعا قد تكون آخر مرة لنا، أراك بعد يومين أو في الجنة.

دخلت غرفتي قائلة بصوت عال:

- جدي إني ذاهبة لمنزل منبرام لمدة يومين لأن جنسام مريضة.

فقال:

- نعم لك ما شئت..

قلت:

- نعم ياجدي لا تقلق ثم أخذت الحقيبة متخفية نحو المطبخ. أخذت بعض الطعام الذي يكفيني ليومين ثم خرجت مسرعة، من المنزل وصرخت: الوداع ياجدي، واتجهت بسرعة إلى الإسطبل أخذت حصان جدي، كانت الشمس على المغيب، أحسست أن القدر قد خطط لكل شيء، صعدت فوق الحصان ركلت مؤخرته مسرعة نحو طريق الجبلي الشرقي الخفي لريفلاد لكي لا يراني أحد وسرعان ماأحسست أنني اختفيت عن الأنظار أنقصتمن سرعة الحصان ..

وها أنا أبتعد عن المدينة وتغيب على أعيني حتى الشمس غابت كليا، وأصبحت أرى المدينة كشعلة في وسط الخلاء، والظلام و قد فك الليل أنيابه وأنا أشق طريقي نحو المجهول، مشيت ثالث ساعات بدون توقف، حتى أحسست الحصان يريد أن يقول لو أستطيع آن أخبر جدك لأخبرته أيتها المتهورة، بعد دقائق أخرى توقفت لكي أحضى بقسط من الراحة، ثم نزلت من الحصان، أرى حولي صمت، كأني في العدم ثم أعطيته الماء، استلقيت بجواره مترقبة إلى الأفق إلى نجوم التي كانت كمصابيح لدربي، بعد لحظات نمت واستيقظت في وقت يقارب

الفجر، قلت هيا حان الوقت للإكمال الطريق أيها الحصان. امتطيت ظهره وبدأت أغدو في طريقي نحو المجهول مجددا بضع ساعات سوف أصل إلى مبتغاي.

بدأت الشمس بالشروق وضوؤها الذي ملأ عيني ثم مررت بإحدى الغابات التي لا يزال جمالها في مخيلتي، وسط أشجار عالية مع نسيم بارد أنعش صدري، صوت طيور الذي أحسسني أنني موجدة في هذا العالم، وبضع دقائق انتهى ذلك الجمال وها أنا خارج الغابة في التل أرى من الأفق.

المدينة بأكملها يفصلني ساعة عنها أو نصف ساعة، وها أنا أسرع بحصاني وبعد بضع دقائق وصلت أمام باب تلك المدينة، كانت حمايتها أشد حماية، جدارين لانهاية لهما حتى عيني لا تتسع لمدى ضخامة المنظر..

نزلت من الحصان ممسكة به ومتجهة نحو الباب، سرعان ما خرج الحارس، ناداني قائلا:

- من أنت؟ ولم أتيت؟ بصوت خشن كاد أن يفجر أذنيّ

قلت بكلام متقطع:

- أأأنا أنا ران.. أتيت من الغرب لأرض ريفلاد المجاورة لكم، وقد أتيت من أجل سوق اليوم، سمعت أن المنطقة الشرقية لها سوق كل يوم جمعة، من أرقى الأسواق في المنطقة.
فقال الحارس:
- مرحبا مادمت من أهل البلاد.هيا اتبعيني، بصوت تغير كليا فتعجبت من استقباله ولم أتوقع ذلك الترحيب دخلت من ذلك الباب..
دخلت ورأسي لم يتوقف من الرؤية يمينا ويسارا، كأنني في حلم، فقال الحارس أراك منبهرة، أيتها المراهقة فأومأت برأسي فقط، ولم أتلفظ بأي كلمة ظللت منبهرة من تلك المباني الفاخرة، والعربات الخيول في كل مكان كأنها وسيلة عادية، ثم بعد مشي لدقائق قال لي الحارس سوف أتركك هنا السوق هناك فقط، ببضعة أمتار،اذهب قبل أن يكتظ بالناس حضك أتيت مبكرا.
قلت: نعم شكرا على حسن الاستقبال.

دخلت السوق، أول شخص بدأت بالتحرك، وهمي أن أجد بائعا للساعات لعل أن أجد ما أريده، أو حتى أن يدلني هو بنفسه، فبدأت البحث وعيني لم تتوقف من الحراك، لم أجني أي ثمرة، لكن بضع دقائق وجدت بائعا للساعات ازداد حماسي وغدت عيني تتحركان وهمي أن أجد تلك الساعة، لكن كل تلك الساعات التي وجدتها لم أجد أي شيء من كلام الجد يشير على ما أبحث عنه تكلمت مع البائع عنها، ببضع من التفاصيل التي فيها، ثم قال لا لم أرى ساعة مثلها قبلا أكملت وقلت: هاته البداية فقط وجدت آخر وآخر، اقفز من بائع إلى بائع وأردد نفس الكلام كالعصفور، لكن باءت كل محولاتي بالفشل بدأت ملامح اليأس بظهور على وجهي، أخذت خطوة للوراء قائلة في قلبي إنها النهاية آتيت مضيعة لوقتي هنا، كدت أن أدور حتى سمعت همس ورائي، قد يكون في سن تروى عليه حكايات، يقول أيتها المراهقة أراك مهلوسة بالساعات أنك تقفزين من بائع إلى آخر مثل النحلة.

قلت مبتسمة: نعم أحب أن ارتديها وإنما كل ساعة أشتريها تزيد قلبي حرقة، و قد خطوت من الغرب إلى الشرق اليوم من أجل ساعة نادرة.

قال بصوت لا أكاد أسمعه من كثرة الحشود:

- عم تبحثين يا بنيتي؟
بدأت أحكي له تفاصيل تلك الساعة، وكل لحظة كنت ألقي عليه بكلمة تزداد ابتسامة على وجهه..
فقاطعني وقال: كفى يابنيتي إنها ساعة أرض البردنك رفقيني فلم تتحمل قدمي الوضع، كنت كطائر الذي تحرر من القفص، حينما قال ذلك فقلت في قلبي:
- لقد بدأ القدر بحزم أمتعتنا.
- اتبعت العجوز أخذا بي إلى منزله وبعد لحظات وصلنا ودخلنا إلى غرفة المعيشة، قال تفضلي يابنيتي اجلسي، ذهب وأحضر الشاي وتبادلنا الحديث ثم قال لندخل إلى صلب الموضوع..
اسمعيني واتبعيني بكل حرف أقوله لك، ولا تقاطعيني.
- عمري ستة وثمانون سنة ،العجوز الذي عاش في أرض هاروك بعدما أخذنا كعبيد من احتلال بلدنا، فلادك من جهة الشرقية التي احتكت مع عالمنا في حين كان عمري ثمانية عشر سنة، لم يأتنا أي دعم بعدما بعث رسل عدة إلى المناطق المجاورة لاستجابة إلى النداء لكن لم يتحرك أي أحد، فبقت الجهة الشرقية تحارب كالصخرة حتى أنفاسها الأخيرة، أمام الجيش الهاروكي الذي كنا نمثل أمامه مثل ذبابة من قمع وقتل. أصبحت المدينة مكتظة بالرؤوس والحطام و دماء تجري في شوارعها كأنهار.

بعد شهرين في الفجر صبيحة يوم الجمعة، أعلن سقوط جهة الشرقية ورفع علم الهاروكي في الأرجاء، وأخذت كمنطقة نفوذ لكن شاء القدر أن يكون الحال كما كتب عليها، لكي تكون لأن الجهة شرقية أفضل من الأنانيين..

لقد نهبت حريتنا وقلوبنا وأصبحنا نعمل هناك كعجلة دون توقف، ودون مقابل ذقت فيها كل مرارات الحياة، لكن بعد أعوام في يوم كسائر الأيام كنت ذاهبا إلى العمل، نهضت على الطبول والصرخات فخرجت لكي أتفقد ما يجري، قلت لن أذهب اليوم إلى العمل كان كل أهل البلدة خارجا؛ أطفالا ونساء وشيوخا ورجالا، دخلت في وسطهم، سألت أحد الأطفال قائلة:

- ماذا يحدث اليوم؟ هل هذا احتفال سنويّ أم ماذا؟

رد الطفل قائلا:

- إنه اليوم الذي نختار فيه حاكما جديدا يا عم.

قلت :

- اهه شكرا يابني خذ هذه...

إذن بدأت مراسيم اختيار حاكم لهاروك، وكانت تلك المراسيم غير عادية، في تلك الأرض يخير الحاكم الجديد من الشعب في يوم واحد، ليخدم بعد ذلك تلك الأرض بأفكاره، كنت في وسط حشود أردت أن أتقدم لكي أرى كيف تقام الطقوس، وصلت إلى الصف الخامس، كانت ساحة كبيرة وكان الحاكم جالسا على كرسيه، وحارسان أمامه يكتبان كل شخص أراد أن يلقي خطابا، لعله يؤثر بكلامه على الحاكم والشعب .

كنت وقفا أراقب ماذا يحصل، مستمتعا بالأجواء، بعد تسعة عشر شخصا من الحشود دُونت أسماؤهم، قال الحاكم هل هناك شخص أخر وهو يردد.. حتى رمى بي القدر وانزلقت على الأرض و ظن منى الحاكم أنني كنت أود أن أهتف باسمي فقال:

- تعال أيها العشريني.. تعال.

كنت أتقدم نحوه و أردد في داخلي: لقد انزلقت بسب لعبة طفل ها أنا أقف أمامه، لكي يدون اسمي وإني أرى علامات ضحك ذلك الطفل وتذكرت ملامحه، ثم فهمت أنها ليس صدفة بل القدر ،وقد قلب اللعبة رأسا على عقب..

قال الحاكم:

- ما اسمك؟

قلت:

- أبيبي.

-قال: - ما بك؟؟ تحدث؟

قلت:

-ابيبي..... ايلنور روس..

قال: شكرا رتب كلماتك لعل وراء فمك عظمة.

قلت في نفسي: - اههه أنا محاصر ماذا سأقول لهذا الحشد، الذي يحب سماع كلمة الاحتلال فقط ؟ و بدأت تعلو طبولهم بعد لحظات.. أتى إلينا حارس من حراس الحاكم وقال لنا، سوف يناديكم بالترتيب كونوا جاهزين..

بعد مرور دقائق التي أحسستها أعواما نادى بالأول.. شخص مون ميكان..

تحدث ثم نادى بالثاني والثالث والرابع، وقد كنت أجمع معلوماتي وأفكاري وذكرياتي التي كانت كمبدإ، شردت في مخيلتي ...

وإذا بي أسمع صوتا كأنه من بعيد ينادي: ايلنووور.. ايلنور ايلنور روس..

نهضت مسرعا اختلطت أفكاري ثم قال أراك غائبا أيها العظيم في قلبي، كيف لعبيد أن يتغير للحظة؟ هل هذا حلم؟ كنت على وشك البدأ بالكلام وإذا به يقاطعني الحاكم، وقال: يا أهل هاروك قد يشهد التاريخ على هذا الحدث، عبيد يصبح حاكما ثم قال: - إليك كلمة ياروس..

بدأت بإلقاء كلماتي بصوت خشن، حتى أحسست ركبتي تتحرك من الصوت النابع من تحت قدمي إلى فوق، وحماس أهل هاروك حتى أنا لم أؤمن أنني أنا الذي يتحدث، عندما انتهيت قال الحاكم كنت أعرف أن ابن البلد يكون أقل حرقة على التغيير، وقال لقد اخترت أنا بنفسي ايلنور روس حاكما لأرض هاروك، وإن شاء أن يغير اسمها، فلم استوعب الأمر قد علت طبول البلدة وصرخات الحشود التي غزت بدني.. كيف حصل هذا في لحظة؟؟ ثم فهمت أن الحياة ليست مبنية على الصدف بل أحداث مترابطة قد يسقطك الرب ليرفعك.

بعد أشهر من تعييني كحاكم سهرت على تغيير كل ما قلت، حررت كل العبيد، إما أن يعود إلى وطنه أو يبقى، ووضعت طبقة واحدة في الأرض، الكل بحقوقه ومتطلباته، وأعدت النظر في عدة أمور، ثم استدعيت كل حكام المناطق الخمس التي تم احتلالها من طرف هاروك، من بينهم حاكم الجهة الشرقية، بعد اجتماع لست ساعات تحدثت على أفكاري، ومستقبل هاته الشراكة، فقلت إن أردتم أن يحلق كل منا بمفرده أو أن نبقى كسرب يغدو إلى الأحسن، والكل لديه الحكم بنفسه حرا طليقا، فساد الصمت لبضع دقائق ثم الكل صاح قبلت الفكرة، ثم وشمنا خمسة نجوم على كل يد حاكم، وبعد ذلك رفع العلم الجديد في كل المناطق؛ علم أحمر ليس بذلك الأحمر المعتاد بل القاتم،

وفيه شيء من اللمعان، لقد صمم خصيصا، كل لمعة فيه تحتسب على أهل المدينة، إن غدروا ببعض ينقص من لمعانه تلك، وطبعنا عليه خمسة نجوم؛ نجمة في الوسط، وسميت أرض البردنك، لقد مثلنا معا تقدما هائلا..
لا يوصف لهذا تعتبر المنطقة الشرقية من أقوى وأعظم المناطق، لكن بعدما عادت نجمة إلى ديارها و بقت مشتعلة في الفضاء وحيدة، لم أتحمل كل هذا، مزقته وقلت: لماذا؟ لم أصبحت الجهة الشرقية وحيدة يا عمي؟ دعييني أكمل
فقال لقد استهزأت بحماية نفسي، بعدما وضعت قانونا حرك غرائز الناس للعمل من أجله، وإنما قد وضعته لأهداف صالحة تحث الإنسان على العمل، والتقدم مما يجعل عجلة التطور، أسرع و هذا ما جعل البردنك على هاته الحالة..
فحققت ما لم يحققه أي حاكم قبلي، ولا حتى أنا لم أؤمن نفسي ثلاث سنوات، قلبت اللعبة على رأسها لكن كنت بدون حراسة، وظننت أن كل ابتسامة وراءها ألف شكر لي، على ما قدمت وعلى ما سعيت من التغير، فظهرت حركة في الخفاء وأعضاؤها كانوا يبتسمون وأفواههم مفتوحة، لكن كيف تؤمن بابتسامة ليث؟ إنما يبتسم شاكرا ربه على فريسته..

سرعان ما أوقفت العجوز عن الكلام مجددا، وقلت انتظر انتظرهل بردنك هي نفسها البردن؟ وهل أنا على أرضها؟ وهل وصلت إلى مبتغاي دون الساعة و بهاته السهولة؟
رد العجوز:

- اهدئي اتركيني أكمل قصتي، وسوف تجاوبك الأحداث على أسئلة التي طرحتها للتو..
أحسست أنني عالقة في حلم بكلماته تلك، التي تجرني في عمقها، قلت: أكمل أكمل سمعا وطاعة..

في إحدى الليالي كنت في مكتبة قصري، كانت ليلة يسودها الصمت في الأرجاء والبدر كان مكتملا بلونه المشع المتدفق عبر النافذة، والنجوم كانت منيرة السماء، كنت أصلح ساعتي التي كنت أرتديها منذ أن دخلت..

إذن كما كان الحال، منتصف الليل، يدق السماء حتى سمعت أقدام آتية اتجاهي، غير أقدام حارس قصري، فتحت الباب، وما كدت أن ألتفت حتى وضعوا علي غطاء أسود وقالوا انتهى عهدك أيها المنور..
وأخذوني إلى العربة وقال أحدهم: عد بهذا إلى دياره، القي به أمام الجبل، سرعان ما وصلنا رمي بي أرضا وفر هاربا، نزعت الغطاء وحولي الظلام السكون، نهضت أرى حولي، محاولا أن أفهم أين أنا بالضبط؟ أحسست أن الظلام قد حل بستائره أكثر، فألقيت بجسمي منهكا على الأرض أراقب النجوم، والصمت يعم كل شيء من حولي، لا يريد مواساتي على ما أنا عليه تركوني وحيدا بدون ونيس..
وبدأت النجوم بأخذي وسط الذكريات رويدا رويدا، وكأن كل نجمة تنتظر دورها لتبلغني على ما شهدت، في حين أنا غاضب على ماحصل، لكن سرعان ماخطفتني إحدى النجوم وتذكرت ابتسامة ذلك الطفل، وكيف قلّب القدر اللعبة، وعاد بي نجم كان يلمع وحده على مدى البعيد، في اليوم الذي أُخذنا كعبيد إلى هاروك، سرعان ما نهضت وقلت بصوت عال، كهف رينيا كهف رينيا، سرعان ما اقشعر جسدي من صدى صوت منبعث من مكان في الأرجاء، كان وراء ذلك الظلام جنود تهتف، فنظرت إلى السماء شاكرا الرب على صخره ذلك النجم الذي كان مبدأ لتذكيري، فلم أجد ذلك النجم، كان قد انفجر لسنين وترك ضوءه كالشعلة الأخيرة، ليذكرني قلت: - اهه الوقت لتحرك والكهف هو الوسيط بين العالمين، وكان القمر تلك الليلة مكتملا، فأخذته كمرجع لإنارة طريقي..

أسرعت بخطواتي نحو الكهف، غالبا ومغلوبا من تعبي، اخ واصلت المشي، حتى وصلت إلى نصف الكهف وأنا وسط الجدران رأيت تحتي، وجدت هياكل عظمية في كل مكان، ألتفتت ورائي وجدت المدخل قد اختفى، خفت أن أسجن في العدم، أسرعت وبكل خطوة أخطوها في ذلك الكهف أحس بضغط على جسمي، كان عروقي ستنفجر وندمت على اليوم الذي فكرت بقانون العملة، بعد لحظات من الجري في وسط الظلام، انبعث ضوء في وجهي أغلقت عيني، ها أنا أرى المخرج أخيرا، اتجهت نحوه بكل سرعتي لكن أحسست أن الجدران تتجه نحوي، وتحركت الأرض من تحتي، خرجت صخور، من ثمها انفتح إلى آخره، سقطت على صدري منهكا من الضغط الذي لم يحتمله جسدي، ومختنق من نقص الهواء، كأني ألفظ أنفاسي الأخيرة، أغميعلي حتى استيقظت بشهيق، بسب نسمة ذلك الصباح، فتحت عيني انبثق ضوء الشمس فيهما وفي عروقي، نهضت لكن ركبتي كانتا تنزفان كأن الكهف هضمني وألقى بي خارجا..

رغم ذلك، كنت أصرخ على البقاء، وأن أصل إلى الحاكم وأوقف هذا الداء الذي أصاب أولئك المتمردين، كانت مسألة وقت لاغير..

وها أنا أصل إلى فلادك أمام حائطها، سقطت على الأرض باكيا أحتضن أرضها، بعد فراق طويل أتى الحارس مسرعا وقال:

- أيها الرجل، ما بك؟

- أود رؤية الحاكم في أسرع وقت ممكن، إنه أمر مهم، خطير فقد أسقط بي..
فقال بصوت عال لزميله: - أحضرالعربة، حالة طوارئ، لنأخذه إلى الحاكم..
فلم يكمل كلماته حتى وجدت نفسي داخل العربة، كان قصر الحاكم متواجد في الجهة الغربية من الجهة الشرقية، كانت الطريق نوعا ما طويلة، لمدة ساعة وكل ما أسمعه هو صراخ الحارس على الأحصنة وأنا مستلق في الداخل، حتى وصلنا إلى القصر، فوجدت الحاكم في الساحة ينتظر، ونزل الحارسان من العربة نزلت قائلا: برقان.. برقان، ماذا حدث يا روس؟
حتى و جدت نفسي بين يدي طبيب وبدأت الحديث عما حصل لي..
فقال: إذن ماذا يجب أن نفعل لتوقيف هذا الوباء.
قلت: أن تتخلى عن الدستور.
قال: كيف؟
قلت: يجب أن تحرقه فقد وضعت شيفرة في كل دستور، إن حرقته سوف تستقيل من السرب، وتختفي نجمة على كل حاكم، حينما رفعت يدي وجدت أن الخمس نجوم قد اختفت فقلت: أسرع قد أعلن حاكم جديد لبردنك، وقد يصل الوباء في أي لحظة ،فطلب برقان بصوته الخشن ذاك بحرق الدستور وإلقاء برماده خارج المدينة، سرعان ما حرقوه اختفى العلم عن الأنظار، كأنه وهما أمامنا، ورفع علم فلادك في أنحاء المنطقة الشرقية..

بعد خمس وعشرين عاما، وقد ألغيت العملات وعاد عهد القلب وعادت السكينة إلى كل الأرجاء في المنطقة، وكان جبل نزع على ظهرنا، ففهمت أن فكرة المال مهما هي صالحة فقد خلقت نزاعات أيديولوجية وتنافسية بين كل فرد..

تهت لوهلة، حدقت في السماء، وقلت في قلبي إنما الحياة عبارة عن متاهة مظلمة، يجب أن تكون شعلة دربك وتنير طريقك نحو المخرج، بعد كل لغز كتبه لك القدر، وقد تكون حياتك بداية لحياة شخص بعدك، ويكمل تمثيل حلقاتك التي لم تستطيع تمثيلها والحمد لله أني حملت شيئا معي.

استيقظت من تلك المغامرة بعد هذه الكلمات التي رواها علي العجوز اليلنور، لو سمعك غيري لقال إنه لجنون كما تعرف أن ارض فلادك لم تدرس أبناءها إن قد حدث احتاكاك بين عوالم في الماضي وخلف وراءه تاريخ مدفن في عقول من عاش تلك الحقبة.

فقال العجوز:

- اخترتك لرواية كل هذا، رأيت وراء وجهك تاريخ على وشك البثوق، وكما عينت مالكا من طرف ذلك الحاكم، أنا أعلن أن وراء ندبتك عظمة سوف تلحق درسا للعالم.

ابتسمت وأنا أقول: ليكن ما أراد القدر، أردت سؤاله ولم أستطع ولكن كان شيئا بداخلي يدفع بالكمات خارج فمي، قلت:

من هو حاكم أرض البردن الآن؟

- يبدو أنك متلهفة لمعرفة المزيد، إنه الشيطان وأعوانه.

- ماذا؟؟ الشيطان ومن يكون؟؟

- لا أستطيع التحدث عنه، فآذانه صاغية إلينا.

- حسنا ومنهو مالك الأرض الشرقية؟

- إنه مالكنا برقان ملك تاج النجوم الخمس.
- هل هو مالك لكل مناطق فلادك.
- بلى هو مالكها.
- إنني متشوقه لرؤيته.
- أولا أنت لست في أرض البردنك، لأن عهدها قد انقضى على هاته الأرض، وأن بردنك قد أصبحت بردن لزوال نجمة فلادك الشرقية من اسمها وعالمها، وإنما هي الآن عبارة عن أربعة نجوم فقط بأربعة أحرف وتمثل أربعة أراضي بلونزون ورا فارون و أرض دنام ونهاترن..
وبرقان حامي فلادك لا تستطيعين مقابلته، لأنه ليس مني و فيني، سكتت كأني لم أستوعب ما قاله العجوز، فقال خلف كل صمت معجزة، لتيبتي الليلة عندي، وسوف أدلك على هدية تكون كمنطلق لغايتك..
أومأت برأسي فقال لي: تلك هي غرفتك الليلة، ونامي واستريحي غدا سيكون مشاورا طويلا لك.
- نعم معك حق شكرا على كل شيء.

نهضت اغتسلت وعدت إلى المطبخ، أكلنا العشاء وتكلمنا على مناطق فلادك، وخاصة الغرب الذي أتيت فيه، حدثته على كل ما جرى لي على طول قصتي وحلمي، لأجتمع مع أمي، حل الليل وساد الظلام، وأنا في غرفة لا يستطيع عقلي أن يستوعب ما ألقي عليه من كلمات، وكيف القدر أعطى الإنسان أكثر من ما أراد، لم يفارق التفكير خلايا عقلي، يحتضنها وأحس كأنها على وشك الانفجار، حتى نظرت إلى السماء عبر النافذة، بدأت بالسباحة بين النجوم بمخيلتي، وساد الصمت الغرفة، كان حشدا غادر من هاته الغرفة، حطت السكينة على قلبي وأحسست بنسيم الليل يدق صدري، و ينعشه والصمت يرتب أفكاري حتى أخذني النعاس ونمت.

فتحت الشمس ستائر الليل ودخلت الغرفة بضوئها عبر النافذ،ة استيقضت على صوت العجوز الخافت يهمس وراء الباب بدقاته، وهو يقول: هل نهضت يا ابنيتي هيا انهضي لقد أعددت فطور الصباح..

- أنا آتية غيرت ملابسي واتجهت نحو المطبخ وجدته جالسا ينتظرني، قلت: لم لم تأكل، لم يكن يجب عيلك انتظاري.

قال مبتسما من الأدب: اجلسي هيا ناكل فمعدتي تهمس قائلة إذا ضيعت ثانية أخرى سوف أخرج وآكلها.

أكلنا الفطور بضحكات وقصص ملأت المائدة، وإذا به يقول: هل استرجعت كل قواك؟ سوف أعطيك شيئا ثمينا، فقلت أعرف ماهو. فقال مبتسما: إنه ذلك الذي تبحثين عنه، اتبعني اتبعته متجها إياي بخطواته نحو إحدى الغرف التي يبدو من بابها تاريخا وراءها فاخرج مفتاح من جيبه، يبدو عليه القدم بشكله ذاك، ففتحتها أصدرت صوتا كأنها انتعشت وتنفست من جديد.

مر عليها ثلاثين عاما، لم أفتحها وإذا بها فارغة يكسوها الغبار في زواياها، وتلك الجدران متآكلة خالية من النوافذ، تعجبت لحالتها حتى حرك السجادة من مكانها، أخرجت غبار قد يكون أكبر مني سنا لم أستطع فتح عيني لكثافته، وإذا بيد عجوز تمسك بي وأحس أنني انزل على درج، كيف هذا وإذا بي أفتح عيني، كأنه قبو، اتضحت الرؤيا بإشعاله الأنوار، انبهرت لوسع المكان وكأني في متحف، بأشياء التي موجودة فيه بكل أصنافها، لا يكاد عقلي على تصديقها وتلك اللوحات الفنية المعلقة على الجدران، فإذا به يأتي حاملا لعلبة فتحها وأخرج منها الساعة، لم يلمسها الغبار كانت جديدة كليا لم تصفر فقال هذه هى الساعة الذي قطعتي عليها اميال بمفردك، احملها بين يديك تحسيسها.

كنت أردد داخل قلبي، وأخيرا أنت بين يدي، أحسست أن القدر أراد ان يبدأ الرحلة بفارغ الصبر وأنا تائهة في شكل الساعة حتى نطق العجوز، ألا تريدين تذوق طعم عقاربها قلت ليس الآن، بضحكات ثم قال:

الساعة التي بين يديك شاء القدر أن تتوقف عقاربها على الساعة الواحدة ليلا، ولم تكمل دقاتها الأخيرة لاختطافي، إذن احتفظ بها ففيها كل نقاط تلك الأرض.

لم أجب أي إجابة لم احتمل تلك اللحظة، اكتفيت بتحريك رأسي فقال العجوز لتعودي إلى منزلك قبل أن يكسو الليل بغطائه على السماء، فقلت نعم إنه الوقت وقبل أن تكشف خطتي.

فضحك وقال:

وإذا قرر جدى خطة أذكى فضحكنا وقال لتذهبي يابنيتي أتمنى لك كل الحظ.

سلمت على العجوز، وقبلت رأسه وقلت شكرا على كل شيء، وخرجت من باب المنزل وامتطيت الحصان وبدأت بالابتعاد على منزله، وهو يلوح بيده، اتجهت نحو الباب الأعظم فصاح الحارس: هل وجدت ما كنت تبحثين عنه؟ قلت وجدت مالم أتوقع أن أجده: قال إذا الحمد لله، لأفتح لك الباب و ليفتح الرب أبوابه عليك فلتذهب قبل زوال النور، قلت شكرا ولينير الرب قلبك كما أردت أن يكون دربي منيرا الوداع، وها أنا بي أبتعد وأسمع صوت الحارس خلفي، لتعودي متى تشائين ورددت سوف أعود إن شاء الله الوداع، ها أنا بين أحضان الجبال مرة أخرى الشمس فوقي بدفئها، وأشعتها علي والمراد بين يدي وأنا تائه في عظمة الخالق، وأسراره وأحدث نفسي وأقول المجهول يكون مجهولا، في عقلك فقط وتسعى إلى تغطيته بأمور وهمية لكي لا تشك فيه وإنما الشك فيه يعد تعديا وأنا مبعثرة في الامفهوم كأني فهمت حسيا في شراييني، فعجزت كلماتي على التعبير عنه لعمق معناه وثقله و قلت: أتيت إلى المجهول في الظلام وها أنا عائدة منه بمكفاءتين وفي النور فهمت أول شيء في الطبيعة، للأعكس معناه علينا، ان بعد الليالي الظلماء يوماً

مشرقا بعده فهذه هي الحياة كان الزمان بالقرب من العصر، صار لي ثلاث ساعات فوق الحصان، توقفت لدقائق لأستريح وليسترح حصاني، أخرجت الماء من الحقيبة، ورويت روحي والحصان، وأرى من عينه كأنه يقول: طول حياتي لم أر رحلة كهذه، فإذا بي أجلس أرضا محدقتا في عينيه، وأتمعن وإذا بي تائهة في مخيلتي حتى رأيت بالصدفة صخرة كبيرة في أعين الحصان، ورائي ببضعة أمتار، لم يحرك الحصان أعينه ولو برمشة طوال الوقت مغروسة فيه، وكان كل همه وتفكيره على تلك الصخرة، وما ورائها نهضت بخطواتي مسرعة نحوها، وإذا بالحافة توقفني كليا، كدت أن اسقط فبرزت عيناي إلى تحت و يدي نحو الفوق، اتسعت حدقة عيني لمدى علو المكان الذي أنا فيه، بدأت برفع رأسي تدرجيا، وبإرجاع خطواتي للوراء بكل نفس اخرجها من فمي متناسقة مع نبضات قلبي وكأن كل جسمي اتحد، وشكرا الرب لنجاته وإذا بي أرى لوحة طبيعية فنية ربانية، من أروع مارأيت في حياتي، رسمة من البديع الخالق، ماأروعها الشمس وراء الجبال تقابل وجهي بنورها الدافئ، و السحب البرتقالية تلون السماء والجبال

المحيطة بشكلها كحوض للمنظر والأشجار بكثافتها وسطها بحيرة تعكس المنظر لصفاء مياهها، وأنا أردد ما اروع ما لم يلمسه البشر بكل رمشة عين، ودار حوار في رأسي، أنظر إلى الرب يريك مكفاءة لبضع دقائق كأنه يقول لك استمتع بها للحضات فوقتها ليس لأن حين تغدو نحو هدفك لكي لا تنسى مرادك، فحينما تحققه وتصل إلى مبتغاك يعطيك مالم تتوقعه أروع من ما رأيت في حياتك، أسرعت إلى حقيبتي وأخذت أقلامي وورقة وبدأت بالتمعن والرسم، استغرقت ساعة كاملة في الرسم تلك لوحة الربانية، وأنا متجه نحو حصاني بدأ الليل بفك انيابه و الغروب قد رسم اطيافه و اختفت الشمس عن الأنظار و رسمت السماء نجومها ركلت مؤخرة الحصان بركوبي مودعتا ذلك المنظر قائلتا كل بديعة تنير قلبك من الرب سوف تودعها إلا الرب يبقى دائما ينير قلبك، وإذا بي أرى قريتي حمدت الرب لعودتي سالمة، ودخلت شوارعها بالدقائق متجهة إلى المنزل، وقد أرجعت الحصان إلى الاسطبل ودخلت إلى المنزل أحتضن جدي، كأني لم أره لأعوام لم يفهم الشعور فهذا هو المجهول قال: هل شفيت صديقتك؟ قلت نعم لقد شفيت

ذهبت إلى غرفتي مستلقية على سريري، وقد اشتقت لغرفتي و نسيم القرية وإذا بي نهضت أخذت الحقيبة وأخرجت الساعة وخبأتها تحت السرير وقلت ياله من رب قدير خلق القدر وخطط كل شيء قبل ولادتي، وولادة الكون أردت أن ألبس الساعة تلك الليلة لكن اعرف سوف أهمل جدي البادي عليه التعب فاجلت هذا للغد رتبت غرفتي بسرعة وأنا منهكة، اتجهت إلى المطبخ وقد أعد جدي الطعام، جلسنا وتحدثنا على ما جرى في غيابي أتممنا العشاء، اغتسلت وعدت إلى جدران غرفتي فوق سريري، أحدق لسقف تائهة بين الأفكار، حتى نمت بهدوء الليل، وإذ بحلم لوسيفر اللعين الذي لم يتركني حتى في منامي.

- اشتقت له.

كلمة تملأ عقلي طوال ليلالي الظلماء في غرفتي، وسط الجدران..

يرددها قلبي كلما استرجعت ذكرياته في عقلي، فتجري داخل عروقي بمشاعره تربك نبضاتي، وتزده ألما لشوقه وتجعل منه كرة لهب، تدفعه لكسر قضبان صدري المسجون فيها لإطفاء شوقه له بقطع سماوات والمجرات لملقاته هناك فقد عجزت كل الكلمات على إطفاء شرارة اشتياقه، استيقظت لم أرد أن أكون في نفس الحلم مجددا هاتفتا، أريد استرجاع ملاردا ذهبت مسرعة نظرت الى باب غرفتي وجدته مفتتوحا لم يأتي في بالي سوى الساعة، أسرعت تحت السرير، خشيت فقدانه وإذا بي أراه نورا من بين الأغراض قائلة لا تقلق اليوم يومك.

غلقت الباب بإحكام جلست على مكتبي حملت الساعة بين يدي أتأمل ، أردت لبسها إلى صوت باب يدق نهضت مسرعة أرجعت الساعة تحت سريري وخرجت من الغرفة، لأرى من الذي أتى في هذا صباح الباكر، وإذ بفتحه تقابلني ريلان قفزت نحوي معانقة إياي وهي تردد:

- اشتقت إليك قلقت كثيرا لم تزولي من عقلي.
- مابك هذه فقط يومين من غيابي.
- كلا ياران كأنها عامين.

- هيا لندخل إلى غرفتي تعالي.

جلسنا على السرير نتبادل الكلام و سألتني عن رحلتي التي اتخذتها، حاولت أن اخفف ثقل الكلمات عليها وجعلها أكثر بساطة قائلة:

- هل هذه فلادك، نعم إذا الساعة بين يديك ولكن لحظة ألم تقولي أن لوسفر كان ينبهك عن القلادة إذا أين هي؟

- نست كليا امرها

- ماذا عليك أن تفعلي؟

- لا أعرف ولكن لم أكمل كلامي وإذ بسماعنا لدقات على الباب..

- لقد جاء جدي حتما.

- نعم هيا بنا.

- ذهبنا إلى الباب مسرعين للاستقباله بفتحنا الباب لم نجد ما كنا نتوقعه..

- جدكم جدكم وجدته في المزرعة مغمى عليه

- أين هو؟

انه في العربة سوف ادخله

ذهب الرجل مسرعا إلى العربة، وإذوبرؤيتنا لجدي في تلك الحالة المزرية أسرعنا بإدخاله إلى غرفته.

- ران ماذا علينا أن نفعل؟

- لا أدرى ريلان لا أدرى.

- كيف هل نتركه هكذا ربما لوسيفر أتى؟

- كلا لم يأتي نظرت نحو الرجل الذي كان معنا قائلة هل تحظر العمة جوان لتفحصه أرجوك؟

- نعم سوف أناديها في الحال.

- ذهب الرجل مناديا العمة جوان أتت تفحصته جيدا قائلة حالة جدكم ليست جيدة ولا توحي بالخير وهنا في ريفلاد كما تعرفون لا يوجد أطباء، ولا ممرضون لذا لا أعرف ماذا علي أن أفعل؟

- كيف لا تعرفين كيف؟ لذا لم أنت ممرضة القرية لم؟

- ران اهدئي.

- لم علي أن أهدأ لم؟

ذهبت ريلان نحو العمة جوان متوسلة:

- أرجوك افعلي شيئا حيال حالته، لا تتركه هكذا أرجوك

- بنيتي الأمر خارج سيطرتي ولكن يوجد فقط حل وحيد.

ذهبت مسرعة لهما ما هو قولي ما هو؟

- إذا أمكنكم التوجه إلى فلادك يمكنكم إنقاذه هناك يوجد احسن الممرضين ليس مثل ريفلاد.

فلادك نظرت الى ريلان مرددة فلادك..

حل الليل ستائره وأنا وريلان نحوم حول جدي لا نعرف ماذا نفعل، ولا نعرف كيف يمكننا أخذه وعمي ايبلام ليس هنا، فكرنا ولم نجد حلا سوى أن نستاجر عربانة ونستقل بها جدي إلى فلادك.

خرجت من المنزل مثل المجنونة أحوم في القرية لعلى أجد أحدا يؤجر لي عربة، لم أجد أحدا كانت القرية شبه خالية كان منتصف الليل و من الغريب أن لا أحد، توجهت نحو الساحة وجدت البعض من الشبان جالسين، لم أود الاقتراب منهم خوفا من حالتهم المزرية من رائحة الشراب، حتى لوح لي شاب بيده اذهب إلى المنزل ماذا تفعلين هنا؟

- فقط أبحث على عربة لاستاجارها.

- لم هل مللت هل تريدين الهروب؟ بدأ بالسخرية مني والضحك على كلماته.

- كلا جدي مريض أريد أخده لعلاجه فجأة وقف من بينهم شاب قائلا:

- ماذا جد ريلان صحيح؟

- نعم جدها.

- تعالي تعالي معي.

- استغربت من ردت فعله.

- تعالي اختي أستطيع مساعدتك..

- بماذا؟

- أستطيع إعارتك عربانة ابي..

- وبكم؟

- لا داعي للدفع الآن تعالي معي.

ذهبت مع الشاب، اتبعت خطواته تلك حتى وصلنا أمام ذاك المقهى قائلا: انتظريني هنا سوف أجلبها لك في الحال.

بكلماته الخافتة تلك أصابني الخوف، ربما ليس بداري لم يفعله ربما العربة ليست عربته إلا بسماعي لصوت حصان متجه نحوي، تعالي لأوصلك إلي البيت أم اذا شئت خذيه..

- ولكن أنا لا أعرف كيف أقوده.

- لا تخافي فقط كوني طيبة مع الحصان، وتحكمي باتجاهاتك انظري لهذا الخيط هذا هو الذي تتحكمي به، إن أردت التوقف اسحبه إلى الوراء بشدة، وإن أردت انقاص سرعته اسحبي ببطء، وبه تحددين اتجاه الذي تردين سلكه فقط انحني بالخيط نحو وجهتك، وهنا اركلي الحصان لزيادة السرعة اعطني يدك لا تخافي ضعي رجلك هنا تسلقي.

- لا تتحركي اركليه برفق لكي يتحرك ببطء.

- شكرا جزيلا لك فهذه المرة الثانية التي أركب فيها الحصان. -

- شكرا

- لا شكر على واجب اختي.

- فقط أوصلي سلامي إلى ريلان.

- ما اسمك؟

- ماندكار حسنا مع السلامة.

توجهت بالحصان عبر طرقات القرية ببطء، خائفة من سقوطى عليه، ولكنه كان جد متمسكا بخطواته تلك فأردت أن أركله لزيادة السرعة قليلا، توجهت إلى البيت وجدت ريلان تنتظرني أمام الباب بتلك الخطوات أتت الي مسرعة هيا لي لي لندخله إلى العربة دخلنا الى البيت خوفا من ضياع الوقت، وخسران الجد لم نستطع حمله لتقله ذاك ولكن شيئا فشئا تغلبنا على الثقل ووضعناه في العربة، انطلقت بعيدتا عن القرية أرسم طريقي مجددا بعجلات العربة، وجدي ورائى مستلقيا لست بدارية من صحة استيقاضه أو من صحة مماته وريلان مستلقية مع جدي والتي ينهكها بل ينهكنا جميعا..

ها أنا اشق بطريقي الى فلادك أتذكر كل خطوة من رحلتي، الأولى لها وجدت صعابا في هذه الطرقات فالعربة زادتني ثقلا عن ذي قبل..

بعد ثلاث ساعات من المشي المتواصل توقفت قليلا لكي أطمئن على ريلان، وجدي في الداخل تفقدت العربة إن كان بها مكروها ما ولكن لحسن حظنا كانا كل شيء بخير، أخذت الماء وسقيت الحصان به وعدت مجددا لإكمل طريقي خرجنا من تلك المنحدرات بصعوبة تامة، وإذ رأيت أرض فلادك بجدارها المشع من بعيد، لم تكن تبعدني عنها مسافة طويلة بعد نصف ساعة، وصلت وإذ بي مقابلة ذلك الحارس مجددا قائلا:

- هذه أنت؟

- نعم كيف حالك؟

- بخير مسرور لرؤيتك.

- ولكن ماذا يوجد هل كل شيء على ما يرام، أرجوك افتح لي الباب إنني جد مسرعة جدي بحالة مزرية، ا يرثى لها.

- ولكن باب فلادك لا يفتح ليلا.

- أرجوك تعال معي تعال توجهنا نحو العربة، استيقظت ريلان من صوتنا.

- انظر هذا جدي انظر لحالته.

ولكن انتي تظعينني في موقف حرج هكذا ولكن

- ولكن ماذا أرجوك افتحه لنا.

نظر الحارس إلينا بنظرة الشفقة تلك قائلا:

- حسنا طالما أتيتم لأمر مثل هذا تفضلى بالدخول مرحبا بك مجددا..

ركبت الحصان وتوجهت مباشرة إلى الداخل بدأت أزحف بعجلاتي إلي أرض فلادك لعل أرى أي ممرضة، ولكن لست أدري أساسا بوجودهم توقفت أمام مدخل السوق فلادك، تائهة ماذا يجب علي فعله نزلت ريلان جلست بجانبي..

- ها نحن هنا..

- نعم وصلنا..

- لكن أين الممرضات؟ أين البيت الذي سنمكث فيه؟

عندما أفلتت تلك الكلمات سعقت خلايا عقلي البيت بيت ايلنو

- بيت ايلنور يا ريلان اصعدي هيا بسرعة..

سرعان تذكري لتلك الطرقات الصغيرة المؤدية لبيت ايلنور، هو حلي الوحيد هنا توجهت إليه بسرعة، نزلنا أنا وريلان نتبادل تلك النظرات خائفين من عدم استقبالنا..

رفعت يدي بكل بطء أحسست بثقلها، بدأت بطرق الباب عدة مرات، ولم يكن هنالك جواب فقدت الأمل من وجوده، ابتعدنا بعدة خطوات عن المنزل، وإذا برؤيتي ضوء يشع منه، ملأت البسمة ملامحي، أسرعت نحوه..

- عم ايلنور عم ايلنور هذه أنا ران.

فتح الباب نصفه صاحي ونصفه ليس واع.

- ران ران سررت بلقائك مجددا، يالها من مفاجئة ماذا أتى بك في هذا صباح الباكر حتى صباح لم يفتح ستائره؟

- هل كل شيء بخير؟

- ادخلي هيا.

- لا لدي ضيوف معي.

- هيا أدخلهم مرحبا بكم.

- تعال لتساعدني، أين أنت داخل بخطواتك.

توجهنا العربة خرجت ريلان وحملنا الجد، رسمت ملامح الفزع في وجه ايلنور.. ماذا حصل؟

- هل هو بخير؟

- ران تكلمي .

- لندخل ثم نتحدث.

- دخلنا غرفة المعيشة و ضعنا جدنا على السرير، أحضر العجوز الماء ارتوينا ثم قال:

- ماذا حدث في رحلتكم، هل أصابه مكررو؟

- قل لي بالتفصيل.

ليست رحلة المشكلة بل أحداث بدأت في ريفلاد عندما عدت من رحلتي، كانت كل الأمور بخير لأشهر عدة، لكن في إحدى الأيام كنت أنا وريلان في الغرفة و سماعنا دقات على الباب أسرعنا ظننا انا جدنا الذي عاد، وإذ بنا نرى أحد الأشخاص قائلا: لقد وجدت جدكم في حقل ملقيا بجسده قال تعالوا توجهنا إلى العربة و جدناه داخلها بملامح على وجهه، لن يتحملها قلبك ثم أحضرنا ممرضة القرية لكن حوالت لم تجد أي شيء نفعا ثم قالت لم أرهته الحالة أبدا هنا في ريفلاد، لكن سوف أعطيكم الدواء الوحيد.

ساد صمت ثم قالت دواء الوحيد لحالته أن تذهبي إلى فلادك.

قالت هناك ممرضين قد يعرفون هته الحالة.

لم أتردد لكلماتها استعرت العربة في الحال، و ملت جدي مشقتا عجلات على طريق مجددا اليك.

نظر إلي بنظرات استغراب، لم يسبق لي أن سمعت بهته الحالة شيئا غريبا يحدث.

نظرت إليه وحملت أكواب الماء وتقدمت نحوه، همست ومشيرت نحو ريلان التي كانت أمام جدها مستلقية ورأسها على صدره ريلان هنا لم أقل كل التفاصيل ..

- سوف أعود.

- أخذت تلك الأكواب إلى المطبخ وغسلت وجهي عدت إلى غرفة والاستغراب يملأ ايلنور

- أريد تفسيرا لكل هذا .

- ماذا يحدث؟

- ليس الان.

- لا يهم سوف أحضر كل ممرضي فلادك الليلة.

نهض ايلنور نحو الباب لبس معطفه وحذائه، وكل تركيزه على العجوز..

ثم نظر إلي بنظرات مشددة أنا لا أعرف لم أحس أن الذكريات تتدفق من ملامحه، صمت و لم أخبره بشيء فتح الباب و كل نظراته علينا خرج وأغلق الباب.

لم التفت الا و بريلان تهجم علي محضنة إياي منفجرة بالبكاء .

- لم يحصل كل هذا ؟

- جدي جدي .

- لا تقلقي سوف تعود الأمور على مايرام، كما كانت بالضبط حالة و تعبر.

لامست شعرها وأنا أردد: لا تقلقي ..

- هيا لنجلس امسحي دموعك، هته الحياة يجب أن نوجهها حتى آخر أنفاس ثم سوف يكون متسعا لنا لنبكي داخل ظلمة قبورنا أما الآن كوني قوية بلامشاعر.

ورأسها على حضني فوق السرير، بكل دمعة تنزف من خديها ثيابي مبتلة احسست بدموع تغزو عيوني عبر حلقي بمرارتها، لكن لم أريد أن أزيد الوضع حزنا.

غلقت عيني وتهت بين أفكاري إلا و بإحساسي أن ريلان نامت،

نهضت ببطء و ضعت رأسها على وسادة، ذهبت محركة عظامي لصلبها لساعات فوق السرير، أردت أن أتجرد من هذا التعب ومشاعره، أخذت بملابسي دخلت حمام لأستحم كانت ساعة تشير ما يقارب ظهر، أكملت وغيرت ملابسي ورائحة رحلة.

عدت إلى غرفة المعيشة وجدت ريلان تحدق بدون حراك، و كأن سلاسل تشدها نحو ملامح جدها و دموع تنفر منها اسرعت..

- ريلان ريلان انهضي كفاك.

- أنت تقتلين نفسك فقط.

- اذهبي اغتسلي كون صلبة هيا.

- لدي محيطا من دموع بداخلي لكن غلقته بسد بسيط، وهو أمل كن واثقة مما يحدث يحدث لغرض.

لعل الرب أحضرنا إلى هنا لمعالجته وابتعاد من مصيبة قد كانت أن تحدث له في حقل أكثر من هذا ، حركت برأسها ويديها: اتركيني ران .

تقدمت نحوها و بصوت خافت انظري إلي ريلان امسحي دموعك مادام القدر يتخذ القيادة، فلا خوف أو الحظ كما أقول لمست وجهها مسحت دموعها وشديت بيديها، انهضي هيا ريلان صرختا.

أريدك أن تذهبي الآن و آخذ حماما وتتجردي من هاته الملامح بعد ساعات أنا و ريلان نخطو بخطواتنا ذاهبا وعودة إلى نافذة نتظر العجوز بفارغ الصبر متى سوف يظهر.

جلسنا نتحدث و الشمس بدأت برسم طيفها أحمر ذاك مودعة الأرض ونزلت وقلق يتصعد في مشاعرنا .

نهضت نحو المطبخ لأعد بعض الطعام، لم نأكل منذ انطلاقنا من ريفلاد تتبعتني ريلان وقلت لها اذهبي اجلسي استرحي دعني أنا من يطهو الليلة.

- لا لا عليك أنا بحالة مغايرة عن تلك، وأود أن أفعل شيئا لا أستطيع أن أقابل ملامحه تلك فتزدني حزنا.

- كما أردت.

بدأنا بالطبخ والظلام يرسم نجومه في السماء، وأحدق تائهة في ذكرياتي وصمت يسود المكان وأتذكر اليوم الأخير لي في فريدينيا، حقا اشتقت لها مهما ظلمة قلوب اشخاصها فهي نقية إلا و بي أسمع ران ران..

- ماذا ريلان أفزعتني هل الباب يدق؟

- انظر الى يدك كلها حمراء بالدماء.. جرحتها بينما كنت تائهة في خلايا عقلي، أسرعت ريلان أحضرت قطعة قماش وغسلت يد من دماء وضمدت الجرح، كم كان مؤلما ماذا حدث لك؟ اهه لاعليك ريلان جرح فقط لقد تعبت، عاد عقلي إلى الماضي ظالم، حدقت بين النجوم مجددا لأنسى الألم ثم فهمت درسا الكثير من تفكير الزائد عن اللازم قد يلحق بك ضررا، اترك الماضي، وركز في أحداث التي تحدث حولك لكي تكتب ماضي جديد إذا أرجعت إليه يوما ما سوف يرسم ابتسامة عليك، وليس ندبة وسمعنا الباب يدق خرجنا من المطبخ مسرعين نحو الباب، فتحناها ودخل ايلنور مع خمس ممرضين قائلا: اليوم لا يعمل أهل البلدة، لكن قررت أن أحاول أن أحضر و لو واحدا لم يتم قبول طلبي من هولاء فقط .

دخلو كانوا من فئات عمرية مختلفة، أخذ بمعطفه وضعه وراء الباب قائلا لهم تفظلوا..

- هيا..

دخلوا قائلين: - أين المريض؟

توجهنا نحو غرفة المعيشة وقالوا: اخبرونا عن حالته و بدأت أنا بقص عليهم بكل التفاصيل وبدأو يحومون عليه كالنحل يتفقدون كل زاوية فيه، ولا كلمة تخرج من أفواههم..

وأرى ملامح ريلان يغزوها حزن من منظر بكل دقيقة تعبر، عنها و كان كل خلية فيها تود الصراخ، ثم طلبوا منا الأطباء أن نخرج من الغرفة لكي يفحصو جسده ..

خرجنا وغلقنا الباب دخلنا إلى مالطبخ و ايلنور يحكي أنا ماذا جرى في كل دقائق يومه في البلدة..

وصمت يعم غرفة التي يتواجد فيها جدنا، نخطوا ذهابا و إيابا من في المطبخ ودقت الساعة بمنتصف الليل، قررت أن أعد المائدة لنأكل، استدرنا حولها ونأكل بحزن متدفق بمرارته في حلق وكأننا ناكل رغما عنا.

اتممنا فغسلت ريلان الأطباق، وننتظر بفراغ الصبر أن يخرج أي ممرض بخبر يحرك عروقنا فرحا .

لكن نتنتظر بدون جدوى بعد ساعات التي مرت أعواما علينا والفجر على و شك أن يشق عتمة خرجوا وأخيرا من الغرفة حاملين حقائبه، قائلين:

- نعتذر حالته لم نختبرها أبدا نادرة للغاية لقد حولنا بكل مانملك ثم بدانا بدراستها.

لكن وصلنا لنقطة واحدة وجدنا أن خلاياه العقليه خالية من الاشارات ثم أدركنا أنها تالفة وهذا قد..

- قد ماذاا ؟

ساد صمت لوهلة ثم قال قد تكون شبه مستحيل أن ينجو منها ، لكن لديكم الوقت لتسعة أشهر قبل أن يبدأ جسم بإطفاء خلاياه كلها ببطء.

- اعذرونا هذا ما توصلنا إليه، أريدكم فقط أن تغسلوه بماء البارد وتلبسه لباسا خفيفا فحرارته عالية جدا خاصة في رأسه، وهذا قد يتلف الأعضاء .

- حاولو أن تبقوا حرارته تحت العشرة لكي تتجمد خلاياه فهذا ماتوصلنا في الطب؛ التجمد يحافظ على الخلايا لسنين.

- سوف نقوم بذلك.

دخل يده في حقيبة وأخرج شيئا شفافا صلبا قائلا احتفظي بها ففلادك تملك عشرون منها هذا مقياس حرارة الجسم.

- كوني حذرة أن ترتفع درجته أكثر من ثلاثين، وحاولوا أن تبقوه بدرجة التي حددتها.

- حان الوقت لنغادر نعتذر مجددا.

- ليس عليكم اعتذار على الأقل تدراكتم الحالة، وماذا يجب أن نفعل حيالها.

توجهنا نحو الباب بأحاديث، ذهبوا و نحن نعود بخطوتنا نحو غرفة المعيشة، وتعب يكسي ملامحنا أولا، وبنا نرى ريلان واضعة رأسها على جدها، وغارقة في الدموع، أسرعت ابعدتها قلت وحضنتها ريلان اذهبي إلى النوم، أانت متعبة تزيدين نفسك تعبا لو البكاء يغير الأحوال بكل دمعة لا أنا غير متواجدة هنا.

استلقيت على السرير وكان كل جسمها يدق نبضا مع قلبها، وقال العجوز ريلان لا تعذبي نفسك، سوف نحوال بكل ماعندنا ليعود سالما.

ذهبت إلى الغرفة التى نمت فيها، حين أتيت فتحتها غزى نسيمها أعماقي وتدفقت خطواتي التى خطوتها هنا كلما تقدمت نحو السرير أتذكر، وها أنا أقابل تلك النجوم مجددا، شردت وإذ بسماعي خطوات ايلنور، آتية نحو غرفتي ، نهضت من مكاني كأني اعد فراشي، دق الباب..

- هل أستطيع أن أدخل؟

- الباب مفتوح المنزل منزلك.

- أتى قائلا أريد التفصيل، أحس شيئا غريبا عن تلك العجوز.

- هل ريلان نائمة؟

- نعم في أعماقه.

جلست وبدأت أروي له، عما حدث بتفصيل ممل وذهوله يزيد بملامح مفزعة نهض غير مؤمنا بما قلت.

- لوسيفر لوسيفر، حطم أقوى سلاسل عوالم السبع.

- لا يعقل.

- لهذا جدك في هاته الحالة.

- هل عرفت ريفلاد بالأمر.

- لا لم يسمعوا.

- رأيت جنودا تزحف نحو فلادك.

- لحسن الحظ لم تخطر في بال ممرضة أي من هاته الأفكار..

- يا إلهي.

- أين لوسيفر الآن.

حينما دخل جدي إلى الغرفة شع نور من الأرض ثم بلعته خطى بخطواته قائلا: لا أستطيع الاستيعاب أو الكلام لنتحدث غدا.

- اخلدي إلى النوم.

غلقت الباب ولم أتفوه بحرف استلقيت بجسدي مقابلة نجوم كالمرة الأولى، والظلام يرفع ستائره وعقلي يغلق أعينه ونمت بلا إدراك أو وعي تائهة بين النجوم والأحلام.

بعد ثلاثة أشهر...

مضى على وجودنا بين جدران منزل ايلنور ثلاثة أشهر بنفس الحالة، ونفس الاحادث اليومية التي تتكرر بتفصيلها الممل بدقائقها التي تشعر كأن ساعات مرت على جفونك الميتة، كل صباح يغادر ايلنور بخيبته تلك يحضر الأطباء في المساء، وريلان تزداد حزنا كلما حل الفجر وغادر أطباء بنفس الكلام ويزداد فقدانينا للأمل ..

لقد سهرنا على بقاء درجة حرارة جدي تحت العشرين رغم أن كانت درجة فلادك فوق الأربعين كليا، مما أعطى لنا متسعا لنصل إلى كل الحلول..

لكن لم يشرق أي حل بعد في ظلمة هاته الأحداث أحس بشلل لا أعلم ماذا أفعل أتحرك كدمية بنفس الحركات اليومية، سئمت كليا وأنا منتظرة التغير لكن كل هذه الأحداث الصامتة وحالتنا هذه تبدو، وكأن القدر ينتظرالوقت مناسب لكشف عن بطاقته الجديدة..

فإذا صمت زمان حولك ولم يصدر أي حدث، أعرف أن الآتي سوف يقلب موازين قد يغير حزنك أو فرحك ويزدك فكن منتظرا، ولا تغفل فاذا غفلت صفعتك، ها أنا شاردة بين هاته

الكلمات وأنا في الشرفة حائرة بين النجوم وتائهة بعيني في ظلمة الليل، و صمته على قلبي إلا و بسماعي خطوات ورائي ظننت أنها ريلان وإذا برويتي لايلنور..

- ماذا أيقضك في وسط هاته الليلة الهادئة.

- لم يأتني نعاس وقد غزت الأفكار عقلي لساعات لم تتركني بعمقها ذاك أغرقتني كليا.

- وعما كنت تفكر؟

- لقد انتظرت لمدة كل يوم أقل، لعل أن تفتح أعينه لكن نحن نحوم في نفس الدوامة وأشعر أن القدر ينتظر منا أن نكشف عن القرار.

- وما هو القرار؟

- لقد كشفنا عن كل شيء كشفنا بطاقات خاطئة لم يعد دور للقدر.

- الخيار صحيح هو أن ننزل به.

- أين؟

- إلى أرض البردن هناك، وسوف يدق قلبه مجددا .

- لكن؟

- لكن ماذا را؟

- تهت قائلة القلادة والساعة المسلك الأسرع لوصولنا سالمين سو..توقف عن كلام وذهب بخطواته استدرت لأتكلم لكن ترددت.. وإذا به يعود بعلبة قائلا اهذا ما يخصنا لرحلة.

فتحتها وإذا بي أرى القلادة.

قلت: كيف أحضرتها من البردن، لم تقل لي أنك احضرت الساعة يا إلهي.

- وضعتها في عنقي لم لم تشع؟

ثم حدق إلي بأعين واسعة:

- ضع هاته الساعة بين يديك.

- لم يحدث شيء على الإطلاق..

- ماذا يحدث ؟

وإذا به ينفجر، انظري انظريي لوسيفر اللعين هل تعلمين أن ريفلاد اإذا ما تجرأ أي جن بدخولها أو شيطان سوف تحاربه وتقتات منه.

أما انت فقد نهبت ندبتك لن تعمل إلى خارج هذا العالم.

- كيف سوف ننزل إذن إلى البردن؟

أرجع القلادة والساعة مرددا غدا الليلة سوف ننظلق من رينيا إلى البردن، عليك بالنوم فالقدر سوف نجده هناك ينتظر بأحداث..

- لقد حان الوقت ياران انتهى وجودنا هنا .

- حان الوقت لندخل البردن.

ذهلت كليا، أحسست أن أحداث بدأت بوضع مطاتها، لم يستوعب عقلي قرار ايلنور، توجهت نحو غرفة المعيشة لأخبر ريلان لكن كانت نائم، عدت بخطواتي نحو الغرفة غلقت نافذة الشرفة واستلقيت على السرير محدقة في السقف، استدرت وكدت أأن اغلق عيني فرأيت نجما يشع وينبض وكأنه يود أن يخبرني بشيء. تهت في همساته حتى نمت..

حل الصباح وتدفقت أشعة الشمس إلى الغرفة، نهضت غيرت ملابسي أشم رائحة هذه جدران، احتضنت نسميها ورتبتها سوف تبقين في ذاكرتي خرجت منها توجهت نحو غرفة المعيشة، لأيقض ريلان لكن لم أجدها ..

- ريلان ريلان.

- أين أنت؟

- أنا هنا في المطبخ.

توجهت وجدتها تعد فطور على مائدة ..

قلت سوف ايقض ايلنور ونأتي ،وإذا به يدخل قائلا:

- صباح زكي عليكم ..

جلسنا ناكل ثم قلت: - ريلان أتعلمين اليوم أين سوف نذهب؟

قالت: لا.

- أين؟

- سوف نغادر فلادك..

- ماذا تعنين هل سوف نعود الى ريفلاد ؟

- لن اعود حتى أن نفتح أعين جدي، إذا اردت عودي أنت.

- ريلان اهدئي.

- كيف علي أن أهدأ بكلماتك هته أنت بدون مشاعر .

- لم تتركي لي المجال أن أكمل .

- نحن سوف ننزل إلى البردن الليلة.

- ماذا ؟

- ماهته البردن عن ماذا تتكلمين ؟

- قال ايلنور دعني أن أخبرها بكل شيء.

بدأ برواية لها كل القصة، من لحظة الغزو إلى سبب سقوط جدها، و هي تنظر إلي مسغربة مما تسمع بكل كلمة يلقيها عليها، وانفجرت باكية حينما فهمت سبب جدها، ثم صرخت لم لم تقل لي ران؟

- لقد قلت لك في الوقت المناسب..

- أخذت بخطواتها نحو غرفة المعيشة و تصرخ..

ثم قال ايلنور لنعد أغراض رحلة سوف نغادر حينما يكتمل القمر فالليلة آخر الشهر.

- قلت نعم لنبدأ.

رتبنا كل المنزل أنا وريلان كم كان صعبا تهدئته، غلقنا كل غرف واعدنا طعام أكلنا بدأ النور بنفاذ من النهار وهيئنا كل متطلبات لرحلتنا.

جلسنا في غرفة المعيشة منتظرين ايلنور أن يعود مع صديقه بالعربة فلقد أخبره أن ياخذنا ويعود، بدأ الليل بالحلول وصمت يملأ المدينة وإذ بسماعنا صوت طرقات حصان يزداد صوتها كلما اقترب خطوة حتى دقت الباب و دق معها قلبي، يالهي هل قد حان الموعد؟ غزت مشاهدا عقلي وذكريات و مشاعرا

مختلطة أحسست أن الأرض لم تحمل ثقلي، دخل ايلنور وصديقه فردريك حاملين الجد داخل العربة.

دخلت ريلان العربة ليضع رأس جدها في حضنها، استدرنا أنا وايلنور نحو المنزل ونودعه غلقناه بإحكام رأينا بآخر نظرات إلى المدينة وأطلقنا أنفاس أخيرة.

- فريدرك..

- نعم ايلنور خذ المفتاح المنزل بين يديك أمانة إن لم أعد بعد -

- خمس سنوات فهو ملكك هيا لندخل.

- أنت تعرف الطريق إلى كهف رينيا.

- نعم هيا .

غلق باب العربة وتوجه نحو مقدمة العربة وأخذ بضرب على الأحصنة و حركت عجلات العربة وتحركت معها أفكاري و غلقت عيني و ضعت رأسي على نافذة والدموع تغزو خدي، أخذني النعاس فإذا بي أنهض مفزوعة ورأيت حولي وصمت يعم مكان الكل بين سلاسل أحلام، وإذا فريردرك يتصارع مع طرق الجبلية كان زمن بقرب من منتصف الليل، تقدمت نحو

مقدمة حركت ستائر، وغز ذلك نسيم البارد رئتي، أنعشني ثم قلت :

- كم مازل على وصولنا إلى الكهف؟

رد:

- لقد أفزعتني اهه بعض دقائق فقط.

عدت إلى مقعدي أرتب ذكرياتي وأفكاري ثم أيقضت ريلان والعجوز:

- سوف نصل بعد دقائق هيا.

وإذ بعربة تتوقف، وفتحت باب العربة هيا انزلوا ..

نزلنا محركين بعضامنا التي كادت أن تلصق ببعضها، حملنا الجد كلنا، وثم حضن العجوز صديقه متبادلين بعض كلمات وردد ليكن الرب معكم ويعد جدكم للحياة، بدأنا نتحرك بصمت وأنفاسنا تتزايد كلما اقتربنا نحو ذلك الكهف المظلم، بين منعرجان وأشجار والأصوات المنبعثة منه التي تزداد كلما اقتربنا ، ثم قال ايلنور بالصمت حينما ندخل سوف تختفي هته أصوات في الطبيعة كهف أن يخيف المقبلين عليه:

- رأيت في ريلان وبمشاعر الفزع، قلت:

- لا تخافي سوف ينتهي كل هذا..

وإذا بي أرى لعدد كبير من الملامح غير المألوفة للبشر وكأنهم يريدون سفك دمائنا بمجرد مالمحونا..

نطقت صارخة: توقفوا هنالك عددا كبير منهم.

- عم تتحدثين؟

- قلت بالصمت هنالك عدد كبير منهم، هل هم حراس الكهف أم ماذا لم تقل لنا عن هذ؟ا

- الليل هو الحارس الوحيد للكهف ياران، هيا لنتبع خطانا.

- إنهم ينظرون لنا بوحشية لقد تجمعوا كليا بأعينهم تحت الكهف.

- ولكن ران مابك؟ أنا أعرف الكهف كليا لا يوجد أحد هنا إلا نحن فقط.

- ايلنور أنا أرى ما لا ترى، أنا أقول لك إنهم هنا.

- حراس برقان.. حراس برقان..

- من برقان؟

- الملك برقان يا ران، إنهم حراسه، كيف نسيت هذا؟

- ماذا علينا أن نفعل؟

- يجب علي التحدث مع الملك برقان عن دخولنا لكهف رينيا ولكن..

- لكن ماذا؟

- الأمر أصعب ران، لا يمكنني إقناعه هو الوحيد الذي يمكنه أن يتركنا للعبور من الكهف، لا ولكن إن لم يرض لن نستطيع النزول إلى هناك مهما حدث.

- أين هو في فلادك؟ أين منزله سوف أتحدث معه.

- لا يستقبل لأي أحد فحالته لا تسمح له ليكن في علمك هو ليس مثلنا.

- إذا هو منهم.

- ولكن بأحسن منهم بكثير صديقيني.

- لذا اذهب وتكلم معه إن كان جيد يمكنه تفهمنا.

- ران لا أستطيع التحدث كثيرا، هيا لنعد أدراجنا وبالتأكيد سوف نجد حلا..

- كلا ما قطعناه ذهب هباء قالت ريلان.

- لم يذهب هباء ربما هنالك أشياء تنتظرني كل عطل في هذا يوحي بشيء قادم هيا بنا هيا..

عدنا أدراجنا بخيبة صعقت أجزاءنا، عبرنا على كل تلك البيوت التي ودعناها تحسبا لعدم رؤيتها، هاهي ترحب بنا مجددا دخلنا البيت، وضعنا الجد على السرير وتفرق كل وحدا منا في مصرات مختلفة، لم أستطع البقاء في البيت خيبت آمال قتلت أحشائي أدت بي مرمية، في الخارج لم أعرف إلى أين يجب علي التوجه ليس بيدي شيء، سوى أني تركت أمري لله فهو العليم بكل شيء.

بدأت أتمشى تحت ضوء القمر، لم أتكلم معه، أحسست انه لا شيء في ذلك الموقف جلست أمام بئر وسط الساحة الخالية، من البشر جلست أرى كبر الساحة، تهت في خيالي وتفكيري في خيبتي لم أنتبه لشيء حتى رأيت صبيا متجها نحوي..

- كيف حالك؟

وجهت كل نظري له ركزت حدقت عيني فيه، ولكن لم أتذكره ملمحه عبرت على من قبل..

- من أنت؟

- ماندكار، ألم تتذكريني؟

- آسفة لم اتذكرك. هل أنت من فلادك؟

- كلا أنا من ريفلاد، أنا من أعرتك العربة جئت لكي استعدها، لقد مرت شهور ولم تعيدها، حسبت مكروها حل بكم قررت البارحة أن آتي إلى فلادك، لكن لم أعلم أين أنتم بالضبط وها أنا أقابلك وسط البئر وحيدة.

- ماندكار أنت هو الآن، تذكرتك آسفة على طول غيبتي، كانت لدي الكثير من الأمور، هنا انشغلت ونسيت كليا أمر العربة يا صديقي، ولكن لا تقلق تعال معي لأرجعها لك، إنها سليمة وأنتم كيف حالكم كيف حال ريلان؟

- بخير لا تقلق عليها، لم أكمل حديثي مع ماندكار حتى سقعت أعيننا بشعاع آتي من بعيد ذلك الضوء، كادا أن يفقدني بصري لم أقدر للنظر إليه، ماذا يحدث نهض ماندكار مسرعا، إنه هو أختي إنه هو لا تنظري له انحني انحني..

من ولم أنحني لم رفعت رأسي حتى أرى شخصا بلباس أبيض، وفوق رأسه تاج به خمس دوائر صفراء، وكان مكتوب عليه شيء كنت أريد القراءة ما المكتوب فيه، وإذ بماندكار ممسكا بيدي إلى الأسفل انحنيت قائلة من هناك:

- أختي اسكتي، صحيح نحن لا نراه، ولكن انحني طاعة له، آه ملك فلادك ولكن أنا أرى أمسك ماندكار يدي بقوة لا تجني الآن بلى سوف أجن إنه حلي الوحيد لذلك الكهف.

- كهف ماذا؟

رفعت رأسي وإذا بي أرى ملامحه، ابتسامته الهادئة يبدو عليه أنه قوي، مفتول العضلات عن غير الذين رأيتهم، أردت سؤاله ولكن لم أستطع وإذ به يقول: لا تنحني.. قفي.. لا تنحنوا لي، كفى لهذه العادة، اعتدلت في وقفتي قائلة:

- آسفة سيدي.

- لا تتأسفي، أدار وجهه لي أنت الفتاة نظر إلي باستغراب، أنت هنا.

- ماذا استغربت؟ هل يعرفني؟ ولم استغرب عند رؤيتي ارتبكت.

- نعم سيدي.

- أنا لست سيدك بل الله سيدنا..

استغربت، كيف لجن التكلم عن الله !

- لا تستغربي أستطيع سماع أفكارك.

- آسفة لم أكن أقصد هذا.

- كلا لا داعي.

نظرت له، تلك ابتسامة الهادئة البارزة على تلك الملامح، وإذ بنطقه أنا الملك برقان، ويلقبونني هنا بفارس الإسلام.

- هل أنت مسلم؟

- مسلم نعم، ألم تقرئي المكتوب على تاجي؟

أمعنت جدا في تلك الحروف، لم أصدق ما أرى وما المكتوب، "انصروا الإسلام" قرأتها اقشعر جسمي بمجرد نطقي لتلك الحروف، نظرت له والدهشة على وجهي لم أعرف ماذا أتحدث، بقيت عيناه مغروستان علي باندهاش، والخوف ظاهر عليه قال:

- التشابه نفسه.

- ماذا؟

- ما اسمك؟

عرفته على اسمي، أنا روان بل أقصد ران، ابتسم وابتعد تاركا نوره خلفه..

لم أصدق لقد تكلمت مع ملك فلادك، لذا يمكنني التكلم معه لاحقا، اخ يالني من حمقاء ماهذا؟ التفت لكي أتكلم مع ماندكار لم أجده، ضاع أثره بقيت في حيرة، ماذا علي أن أفعل في هذا المكان، وفي هذا العالم؟ كيف علي التصرف؟ ذهبت إلى البيت لأسرد على العم إيلنور ما حدث، لكن لم أجده تفقدت جدي كانت حرارته معتدلة، وريلان نائمة بجانبه، رأيت هذا المنظر كل يوم لم يفقدني أملي بعد، أدرى القدر سوف يلعب ببطاقته الصحيحة عاجلا أم آجلا، توجهت إلى مكاني، استلقيت بجسمي حتى الجفن أدى بي إلى عالم الأحلام.

خمسة عشر يوما ونحن قلقون على العم ايلنور لم يعد منذ تلك الليلة، بقينا هكذا والنار تتجول بقلوبنا بكل راحة، أتى في اليوم الذي كان فيه سكان فلادك على وشك الاحتفال بعام فلادك الجديد، أتى شاحب اللون وكان مكروها ما أصابه دخل علينا بعيونه تلك التي تسحر أي عين تراها، دخل وجلس على الطاولة..

- ليس بيدي حيلة.

- مابك عم ايلنور، توجهت أنا وريلان إليه قلقتان على حالته..

- مابك أين كنت؟

- ليس بيدي حيلة، لا أستطيع فعل شيء، لكم ولكن أنت قادرة على هذا.

- من وما هو الشيء الذي ليس بيدك حيلة؟

- رآك برقان وهذا ما كان عقابي، كنت سجينا تحت رحمته، توسلت له على السماح لنا بالنزول، تبث نظره علي لم يكن مسرورا بقدومك، فهو لم ينسها بعد، وأنت من فتحت جرحه من جديد.

- لم أفعل شيئا هو من أتى لنا، وهو من تكلم معي، كيف له أن يفعل هذا بك؟ ما ذنبك أنت ماذنبك؟

- ذنبي أنني وعدتكم ولم أفي بوعدي..

- أنا ذاهبة.

- إلى أين ران؟ وأنا وجدي ماذا علينا أن نفعل؟

- سأذهب عند برقان ملكهم ذاك.

خرجت ولم أكترث لكلامهم، خرجت والغضب عام على أعيني، توجهت إلى ذلك البيت المزري، عند وصولي عارض طريقي حارسان..

- أين أنت ذاهبة؟

- ابتعدا.

- لن تستطعين الدخول إلى هنا.

- ابتعدا عني، لا تقتربا مني.

- مابك لا تستطعين الدخول، إنه بيت الملك، لا يمكنك الدخول ابتعدي.

مد يداه علي ملقيا بي إلى الخارج، أتى ذلك الصقيع إلى جسمي مجددا، رفعت رأسى وإذا بهم مفزوعين، من تكونين؟ من أنت؟

توجهت بكل قوتي، تجاوزتهم وتجاوزت ذلك الباب الحديدي بسهولة تامة صارخة:

- اللعنة عليك اللعنة، ماذا حدث؟ ها أين أنت؟ ماذا فعلت لك حتى تسجن ايلنور بين جدرانك أين أنت؟

- اخرجي من هنا، لا أستطيع التكلم معك، اذهبي ران اذهبي.

- لن أذهب، لم فعلت هذا لم؟ هل تدرك أن جدي في حالة لا يعلم بها إلا الله، وأنت تتنكر بتاجك ذاك؟ هل تعتقد أن بتاجك المرصع أنك مالك العالم ؟ الله هو مالكنا ونحن تحت طاعته، طالما الله معي أنا لست خائفة من شيء.

- لا تتكلمي معي هكذا لا تتكلمي..

- كلا سوف أتكلم مادام لدي لسان وأنا على قيد الحياة، لن أتخلى على بصيص الأمل الذي لدي، دعني أنقذ جدى دعني أرجوك، سقطت منى تلك القطرات الجبانة، اللعنة مسحتها، ومسحت ذلك الأمل الذي كان في، لم أنتبه لشيء إلا للندبة المشتعلة، ابتسمت لعدم قدرتي على فعل شيء، حتى وهي مشتعلة.

- ران أحرقتني لقد أخدتي بثارك، اذهبي من فلادك لا يجب عليك القدوم إلى هنا، هيا ذهبت أفعل مثلها واتركيني..

كلماته أدت بي للعدم توجهت نحو ذلك الباب، لم أرد عن سؤاله عن تلك التراهات التي نطق بها، توجهت بخطواتي تلك المحطمة من كل أجزائي، محاولة تجاوز الباب، ولكن شيء ما كان يمنعني من التقدم، رفعت رأسي رأيته ممسكا بي ابتسمت لا إرديا، وكأنني أكثرت من جرعات الحزن، لم أتوازن سقطت أرضا وألعن دموعي تلك التي خدلتني أمامه، بدأ بالدوران حولي، اصمتي اصمتي، بكيتك شهيقك مثلها، أرجوك اصمتي لا أستطيع التحمل..

- صرخت بأعلى صوتي: ومن تكون؟؟
- سيبلام أمك.. سيبلام أمك..

ها نحن نشق ظلام الكهف داخلين، وإذا بضغط يغزو خلاياي، كدت أن أصرخ، تدفق في عروقي، وأحسست أن دمي توقف..

وإذ بريلان تسقط، حمل العجوز الجد وقال: احملي ريلان واسرعي ورائي..

أعطتني يدها، أصابها شلل نصفي، حملتها، زاحفنا بخطواتنا وراء العجوز والظلام يملأ أعيينا، وإذا بنا نحس بجدران الكهف تتحرك، ثم صرخ ايلنور، أكملوا الجري لا تتوقفوا حتى إن رأيتم جدارا أمام أعينكم فهو وهم ..

هيا ثم انفجرت ريلان بدموع خائفة، وازداد حراك الكهف وإذا بالأرض تفتح، وكلنا صرخنا باسم كل واحد منا..

- ران
- ايلنور
- ريلان

أخر كلمات التي سمعتها بعدما ابتلعنا كهف رينيا، لم أعرف ماجرى، فقد كان وعي غائب حتى أحسست بارتطام جسمي على الأرض، فهمت أن كهف رينيا ألقى بنا خارجا كل جسمي يتألم، لم أستطع أن أحرك أعضائي، كانت سلاسل تشدها بصعوبة فتحت عيني على صورة القمر، بأشعته التي ملأت

عيني، كان مكتملا بزواياه غير قمرنا، أقرب من القمر الذي حلقت أمامه بين أحضان لوسيفر ملأ السماء بكبر حجمه، وكأنه حاكمها ونجوم مصطفة ورءه مثل الجنود، كأنها تنتظر إشارة منه كي تغزو هته الأرض التي أنا عليها، وذلك الصمت الذي أنساني ألم الكهف على جسمي، نهضت من مكاني والجروح التي ملأت قدمي، أبحث عن العجوز والبقية في الظلام، أشق عتمته وأردد: ايلنور.. ريلان، أين أنتما؟ أحوم حول المكان بخطواتي، وحتى بسماعي حركة خلفي، تبعتها كحة أسرعت فهمت أنه ايلنور، وصلت إليه ببضع خطوات، هل أنت بخير؟

- لا عليك بعض الألم في ركبتي، لقد أخرجنا الكهف قبل قدومنا.

- نعم لقد قبلنا وهذا هو كهف رينيا، من لديه قدرة للوصول إليه؟ و يكون قادرا على مواجهته و يستحق العبور منه، يهضمه ثم يلقيه خارجا، بإمضاء في قدميه أما من ملأ الخوف قلبه، سوف يهضمه ثم يلقيه عظاما، اعطني يدك.

اعطيته يدي فوقف وقال:

- أين ريلان وجدها؟

- لا أعرف كنت أبحث عنكم لكن وجدتك أنت فقط، وقال:

- لنبحث عنهم قد يكونا هنا فقط مغما عليهما.

بدأنا بالبحث والظلام يكسو أعيننا وإذ بي اصطدم بجسم عرفت جسم جدي و صرخت:

- عم ايلنور، لقد وجدت جدي، بقيت ريلان..

بحثنا لساعات لكن لم نعثر عليها، لم يكن لها أثر بدأنا بفقد الأمل قال ايلنور:

- يجب أن ننتظر حتى طلوع الشمس، قد نجدها ثم قال اعطني يدك، أريد أن أريك شيئا وأخد بيدي عبر الظلام و بين الأشجار التي كدت أن أصدم رأسي فيها، وبنور يزيد تدفقا في أعيني كلما خطونا خطوة حتى خرجنا بين أحضن الأفق على المدينة، التي تبدو بعيدة علينا لساعات فقط، آه لم أفهم منظرها و إذ ايلنور يقول:

- مرحبا بك في أرض البردن، وكل ما ترى عيناك هنا هو عبارة عن عاصمة لها، فهي أكبر مما تتخلين، آه ها هو الموعد بين يدي، لنأخذ قسطا من الراحة، هنا في الصباح سوف نشق طريقنا نحوها بعدما نجد ريلان.

ذهب استلقى على الارض بالقرب من إحدى الصخور، وضاع بين النجوم و هو يردد كلمات معبرا عما بداخله، تقمدت نحو الحافة وجلست مقابلة ذلك المنظر الغريب على مخيلتي، تلك المركبة الضخمة التي غطت السماء بحجمها، مشتعلة بأنورها وتخرج منها عربات تحلق منها نحو الأسفل بين تلك البنايات العالية، مشتعلة بأنوار لم أر مثلها من قبل، بحجمها ذاك مصطفة كأعمدة، بشكل تدرجي ملامسة لسحب راسمة لوحة إبداعية بأنورها، نورت العتمة بألوانها والأصوات المنبعثة منها، كأنها تعيش صباحا بحركتها والألحان المنبعثة منها على التوالي، والتي لم أفهم مصدرها، أحدق في شكلها التفت نحو العجوز نهضت من مكاني، لأكلمه لكن وجدت أعينه أخذتاه في عمقها بين الأحلام، استلقيت بالقرب منه مقابلة السماء بنجومها وشردت على الألحان المنبعثة من الغابة، وأنا أفكر في ريلان، أين هي بجسمها؟ حتى أخذني النوم اوإذ بضوء أيقضني بأشعته تلك، كأنه انفجار عم الجبل الذي كنا فيه، تبعتها صرخة باسمي قال العجور: ريلان ريلان، ألقى بها الكهف أسرعنا وإذ بسماعنا سفارات المدينة تدق الأرجاء بصوتها ذاك

والأنوار منبعثة منها نحو السماء، تتحرك كإنذار للمدينة وبسماعنا سيارات شرطة بأصوتها، ومركبات هزت الأرض وأصبحت في ثانية كل البردن مستيقضة، وكأنها كانت تنتظر فقط إشارة قال العجوز: اسريعي اسريعي، وجدنا ريلان مرمية أمام إحدى الصخور، حملتها و حمل ايلنور الجد وأسرعنا بخطوتنا نحو إحدى الغابات بين أشجارها، حتى وجدنا أحد الأنفاق المهجورة، دخلنا هناك في حين بدأت المدينة تهدأ بسفارتها، وضعنا كلا من الجد وريلان على الأرض، خطى ايلنور بين مكانا متفقدا إياه بين الظلام وقائلا:

- ياران ظنوا أن هناك حريقا فقط، فلوا علموا بوجودنا، فنحن الآن بين القضبان مكبلين بالسلاسل.

عاد وضع يده على راسي..

- اذهبي لتنامي في الصباح سوف ندخل المدينة..

استلقى بجانب الجد وريلان نمنا حتى حل الفجر، و أشرقت الشمس نحو الكهف، مخترقة ظلامه، وضع العجوز على وجهي يده قائلا: استيقظي يجب أن نصل قبل أن تملأ شوارعها وتكتض بحركتها، وإذ بريلان يمأ صراخها النفق..

- رااان.

أسرعنا إليها.. اهدئي نحن بأمان لا تقلقي، لقد وصلنا وإنه الصباح انهضي هيا..

نهضت من مكانها بملامح كأنها لم تفهم ماذا يحصل، تحدق في النفق و قالت:

- مزلنا في الكهف؟

قلنا لا نحن في أحد أنفاق البردن، اختبأنا هنا لكي لا يعثر علينا، قلنا سوف نروي لك ماجرى حينما نكن في اتساع، أما الآن اتبعنا سوف ندخل المدينة، شدت بطنها وهي تزحف برجليها من شدة الألم ذهبت وسندتها، حمل ايلنور الجد خرجنا من الكهف نشق طريقنا بين الأشجار، بدأنا التحرك حتى توقف العجوز قائلا: اصمتي اسمع شيئا نطق بعد ثواني، اتبعني هيا، اسرعنا وراءه اتبعناه، وإذا بذلك الصوت يعلو أكثر فأكثر، كان هنالك ينبوع يخرج منه ماء بغزارة، كأنه مختبى بين الصخور والأشجار التي كانت محيطة عليه، ارتوينا منه كان صافيا بعذوبته التي أنعشتنا بعد العناء، ثم غسلنا جروحنا والتراب

الذي كان علينا، لكي ندخل المدينة تغيرت ملامح ريلان وصوتها وعاد إليها الوعي كليا..

- ريلان هل أنت بخير، قالت بأنفاس ثقيلة:

- نعم أحسن بكثير زال الألم عني يا ران.

رد العم ايلنور قائلا:

- لنحمل جدك هيا لنشق طريقنا إلى المدينة، يجب أن نصل قبل أن تيقظ الشمس كل شخص في المدينة، لا أريد أن نلتقي بأي أحد في هذا صباح.

- لكن عم ايلنور أين سوف نذهب من غير شوارعها؟

- لا تقلقي كان لدي صديق مقرب، بل بالأحرى كان ابنا لي، ولازلت أتذكر الشارع الذي كنت أقطن فيه سوف نذهب إليه، ويعطينا مفتاح المنزل الذي كنت أعيش فيه قبل أن أصبح حاكما للبردن.

- ماذا تتذكر الشارع، وهل تتخيل أن الشارع ذاك موجود؟ وباسمه ذاك؟ ألا ترى إلى كل هذا التطور الملحوظ هنا؟

- لنجرب حظنا، يمكننا سؤال المارة.

حملقت في السماء بعيني وقد بدأ لون أزرق صاف بغزو السواد وقلت بصوت خافت:

- وهل بقي محتفظا به، قد يظن أنك قتلت مثلا، ويمكن بعد رحيلك قد أظهروا أبشع صورة لك أمام البردن ككل وصديقك سوف تتغير نظرته عنك، فلوسيفر وعملاؤه قادرون على تغيير العقول، فهم حكموا لسنين فوق رؤساء يوجهنهم كما يوجه الراعي القطيع.

- ران قد تتغير تضاريس الجبال، ولن يتغير وهو يعرف نواياي، مهما قالوا عني لنتحرك هيا، ليس وقت الكلام لندع الأحداث تكشف عما تخفي لنا، هيا لنكمل مسيرنا.

حملنا جدنا تحركنا بخطواتنا، خرجنا بين الأشجار نتحرك في صمت، وكانت الأنفاس تعبر عن مشاعرنا من ذعر وغموض، عما سوف نواجه على هته الأرض المجهولة عني، وكأنني اقلب صفحات سوداء في كتاب حياتي، بعد دقائق من سيرنا رأينا غيوم سوداء تزحف اتجاهنا، وتحجب نور الشمس الذي دفأنا من صقيع النفق، فشعرنا بالبرد المتدفق في خلايانا، وأغلقت السماء أبوابها وكأنها تود محصارتنا، برقت بأنورها

في السماء وتصرخ برعودها، تبلغ عن قدومنا كأنها كشفت ملامحنا وهطلت باكاية على أحضاننا لقدومنا، وكأن انفصاما أصابها؛ نصفا يرعد فرحا لقدومنا، ونصف آخر يبرق غضبا لوجودنا فوق أرضه.

- هيا لنسرع يجب أن نصل قبل أن نبتل كليا.

بدأنا بالركض تحت قطرات المطر، التي تحجب الرؤية علينا، وأعيننا شبه مغمظة من تلك القطرات المتسربة لها شوقا، أحس كأن الرياح تطاردنا، وتدفع بنا للسقوط وإذ بايلنور يتوقف كعمود، توقفت وراءه بخطوات، كدت أن أرتطم بظهره وهمست:

- هل كل شيء بخير؟

قال:

- أتسمعين؟

- ماذا؟

- عجلات.. إذن طريق..

اكتفى بهذه الكلمة ، ثم نظرت إلى ريلان بنظرة عما يتحدث، وإذ بنا نسمع عربة بعجلاتها التي تلتطم مع الماء مصدرة صوتا متنسقا، كشلال المنتحر على الصخور، وإذ باايلنور يقول:

- اسرعى اسرعى، نحن على حافة الغابة..

مشينا بسرعة بين الأشجار، وإذ بنا نلتمس أرضا صلبة غير التراب، فتحت عيني على صرخات العجوز محركا بيديه نحو سيارة وكأننا نتصارع مع الزمان، وإذ بسيارة سوداء تتوقف بعجلاتها بقربنا، ولم نستطيع أن نرى من الظلمة النوافذ تلك ، نزل شاب ضخم البنية منها بلابسه الأسود وربطة العنق تلك الحمراء، وحذاء يبعد قطرات المطر عليه، يعكس لمعان السماء في عيني، حدقت في عينيه التي لم أرى لونا في حياتي يشابهها، كان لونا بنيا وأصفر، اختلط في شفافية سواد ورماد تائهة في منظره وهو يتكلم مع ايلنور على جدي المستلقي في احضان ريلان في الأرض، تقدمت نحوهم وإذا بي أسمع صوتا غريبا على أذني يصدر من لسانه، غير المتحرك وحركات يديه تلك الغامضة لم أفهم طبيعته، همست في أذن ايلنور:

ماذا به هذا شخص هل كل أهل البردن هكذا، نظر الي قائلا دعيني أتكلم معه سوف أخبرك فيما بعد عدت إلى الخلف بخطوات وأيقضت ريلان من شرودها وقلت تعالي معي لتري ذلك الشخص الذي لا يبشر بالخير، حدقي في أفعاله وايلنور بكل برودة يتبادل معه الحديث..

- مابك ران قد يكون مريضا أو ماشابه.

- لا لا أظن هناك سر وراءه ران، أنت فقط من تعقدين الأمور.

- لا يهم مايفعله فهو حر ادع ربك لمساعدتنا، أريد فقط أن يأخذنا بعيدا عن هذا المكان الذي يحكمه الصقيع من قدومنا، لم أستطع أن اشد أسئلتي بكل فعل يقوم به، وغضب ايلنور يزيد علي، ا بايلنور يسأله هل تستطيع أن تأخذنا إلى شارع سبع مائة اركاتاد ورد بصوت خشن متقطع، نعم هيا ادخلو داخل السيارة حمل جدنا بقبضة واحدة كأنه حمل دمية بين أصابعه.

- أمر مريب يحدث على هته الأرض.

- اهدئي ران سوف يصبح المجهول مفهوما، في عقلك فقط تمالك أنفاسك.

- هانحن دخلنا السيارة الممتلئة بالألوان مقاعدها الواسعة، وكأنك في غرفة المعيشة يوجد كل شيء بداخلها، تلفاز صغير ومشروبات غريبة ونوافذها الداكنة من الخارج والمرئية من الداخل، جلسنا مع جدي في الخلف، وايلنور في مقدمة مع ذلك الرجل غريب الأطوار وإذا به يتكلم بكلام لم أفهمه ثم أصدر صوتا لم أعرف منبعه قائلا:

- هل تود الطريق السريع المزدحم أم الطرق الجبلية الخالية، ذهلت من صوته النابغ محركا مقعدنا بكل حرف، وإذا بذلك الرجل يرد الطرق الجبلية شعلت شاشة كبيرة في زجاج سيارة راسمة، خريطة وصوت مجددا يغزو أذني:

- تحددت الوجهة سوف نصل بعد ثلاثين دقيقة ثم تحركت عجلات سيارة على طريق من غير فعل من رجل لوحدها، ثم فهمت أنها المتكلم يا إلهي حقا كما قال ايلنور، إنها جد متطورة ثم تقدمت نحو مقعد ايلنور بصوت خافت هل هذا الشخص إنسان عادي أم ماذا ثم قال:

- إنه من حديد فقط يكسوه الجلد إنه من السكان الجدد.

- إذا ليس منا ونحن لسنا منه.

- هل لك شك في هذا؟

- عدت أدراجي اطلقنا ضحكات ثم التفت ايلنور قائلا بصوت خافت:

- هو إنسان مبرمج للقيام بأفعال المتطلبة عليه، فحينما نصل إلى شوارع البردن سوف تجدين العديد منهم من هو على شكله الحديدي، ومن هو مكسو بالجلد لأغراض سرية هدفها التجسس وهناك من تجدينه بأشكال مختلفة كل واحد مبرمج لغرض وهنا سوف تجدين حتى الحيوانات آلية وأشجار ونباتات، كل شيء مبرمج.

- اخ إذا كانت قلوب اللينة التي تنبض وعقول المدبرة برمجت، فكيف لا يبرمجون الحديد يالها من أرض غريبة، تهنا وصمت عم عقولنا و المطر كان يلتطم بسقف السيارة، كأنه يريد أن يعبر منها وينقض علينا اوإذا بالمدينة تزداد حجما كلما اقتربنا أكثر فأكثر، كانت الساعة في شاشة تشير للسابعة صباحا ثم قال ايلنور همسا بصوت خافت: لقد تغيرت صورتها بالكامل، أصبحت اكثر خيالا على العقل بجاملها.

- صحيح جمالها غير مألوف لم أر مثلها بعد لم أكمل الكلمات وإذ بالسيارة تشعل أنوارا خافتة ومعها موسيقة مالوف، نعم إنها هي نعم تذكرتها هذه الأغنية ريلان هذه الأغنية لقد رقصت على أنغامها، قبل لوسيف.. لم أكمل حروفي بعد وإذ بايلنور وريلان تصرخان: ران توقفى هل تودين أن توقعينا في مأزق أكثر من الذي نحن فيه؟

- اهه كدت أن ألقي بأرواحنا بكلماتي في العدم، لأكشف أمرنا الآن وإذا بنا ندخل من بين تلك البنايات العالية التي كاد عقلي أن يكذب وجودها، تقدمت نحو النافذة و حدقت في السماء، ولم تكن هناك غطت تلك المركبة السماء بضخامة حجمها والتي أحستني بفقدان للوعي توقف المطر وأحسست لوهلة أن البنايات تتحرك في عيني، وإذا بسيارة تلفت بكل لفة من اليسار إلى اليمين، وتلك الإشارات تتوقف لاحمرارها لدقائق وتنطلق حينما تصبح خضراء، وتحرك عجلتها بين تلك السيارات بألوان مختلفة أحدق في مدينة بانبهار وخلاء المدينة من البشر إلا الالين خارجا هناك من ينظف وهناك من يفتح المحلات وكأنهم يهيئون صباحا للبشر.

التفتت إلى ريلان لكي أتفقدها، رأيتها متشبثة بمقبض الباب ورأسها ملتصق نحو نافذة وبملامح ذهول على وجهها بأعين تكاد أن تشع من اتساعها، وفمها يتمتم بصمت وجسمها المتحرك بين نوافذ غزت ابتسامة فمي كدت أن أضحك لمظهرها ذاك، حركت يدي اتجهاها ولمست ظهرها برفق لكي لا أفزعها.

- ريلان ما بك أكاد أن أنفجر ضاحكا من طفولة مظهرك وكأنك..

- اصمتيبي عقلي لا يستوعب مايرى، ماهذا المكان الذي يكاد أن يكون حلم علي يا إلهي..

شردت ريلان بين اللافات التي تتخذها السيارة بكل شارع وتحرك رأسها بكل اتجاه، كأنها تطارد كل منظر لتسجنه في عقلها وأن لا يغيب عنها تتمتم نفس كلمة بكل شيء تصطاده بعقلها، بقيت أحدق فيها بابتسامة وهي كرضيعة بما تفعل وإذا بصوت النابغ مجددا بعد ثوان سوف نلتف على آخر لفة، ونصل إلى شارع اركاتاد إلا بسيارة تلتفت وإذا بأشعة الشمس تتدفق على أعينينا، كم اشتقت لها وكأنها تحتضن

حدقتي بخفت نورها الدافئ على خدي وبسيارة تشق عجلاتها داخل ذلك الحي الذي احسست اننا غزونا صمته بصخب المحرك و نبضنا هدوءه بكل مافيه بمنازله تلك الغير المتوازية منها القديمة و منها الجديدة المتطورة بابنائها الزجاجى غير تلك البنايات العالية التي حاطت ببصرنا في وسط فلورا ولوهلة اختفى اللون رمادي على ابصارنا و غزى لون احمر و اخضر اعيننا و كانهم حاكمين هذا شارع بتدفقهم في كل زاوية من ذلك الحي الذي حملق فيه عقلي لثواني كأعوام وأخيرا رأيت سماء بسحبها التي كدت أن أنسى وجدوها في هذا العالم، كم كان الشارع مليئا بالبيوت يمينا ويسارا، بكل ألوان وساحة المكان تزيدك انبهارا، فهي منتشرة في كل مكان تعمها الأشجار في وسطها مصطفة كاصطفاف الجنود حامية تلك الأزهار متلاعبة بساقيها على أنغام الرياح وإذ بسيارة تصطف جانبا على الطريق، وبقول ذلك الآلي بنصف بشري:

- مرحبا بكم إلى وجهتكم وفتحت أبواب السيارة قائلة:

- شارع اركاتاد وصلتم.

وأرى ابتسامة تعلو ايلنور محدقا من نافذة كأن شيئا سرقه من الوجوده، بيننا لم يكترث لكلام ، كما كان لطيلة طريق لا يفارقهما الحديث تاتبعت نظره نازلين من السيارة وإذ بي أرى منزلا وكأن الزمن توقف فيه لوهلة بين هته المنازل، وغير ملتصق بها كأنه فاصل بينهم بحديقته المستديرة عليه كأنها ترسم حدوده حامية جدرانه وإنما تحس أن الْقدم ينبض فيه من بين هته المنازل، شاحبا بلونه وكان أحمر و أخضر عاجازا على غزو ذلك الخشب الصلب، واسقاط حكم لون بني الشاحب عليه.

تهت في زواياه التي كان الماضي يختبئ فيها، وسمعت ايلنور يكلم ذلك الالي، استدرت وجدت ريلان ملصقة امامي محدقتا في ذلك المنزل وكأن ريفلاد تشع أمامه.

صافح ايلنور ذلك الآلي قائلا شكرا على توصيلك، حملق الآلى في عيني لثواني وكأنه يريد شيئا ولكنه عاد أدراجه إلى السيارة وعاد بعجلاته مبتعدا عنا وبدأ صمت باسترجاع حكمه هنا، وإذا بنا أنا وريلان ناطقين نفس الأحرف.

- عم ايلنور ماهذا البيت؟

- ساد صمت فيه وعلته ابتسامة وقال:

- تقدما معي يا ابنتي.

هذا المنزل الذي احتضن أعضائي بدفئه حينما كنت عبيدا، وأعضائي متجمدة في صقيع البردن، كانت تلفظ انفاسها الأخيرة..

- هل هذا هو البيت الذي خرجت منه صبيحة الطبول؟

- نعم هذا هو المنزل الذي رسم حدود البردن كما رسمها على جدرانه، وهذا هو أب البردن به ولدت، فارقتناا الحياة آهه هيا لا أستطيع الكلام كل أعضائي تهتف صاحبها للدخول إنها تلهف شوقا لتحتضن جدرانه مجددا.

عبرنا الرصيف وكان باب الحديقة مفتوحا، بفعل الرياح وضعنا خطوتنا الأولى، أحسست بالزمن توقف، وتدفق الماضي في أعضائي مجددا، رئتي التي كانت صلبة منال تنفس، وتلك الأشجار بلونها الخريفي متناثرة في أرجاء الحديقة، كست الحشائش أرضه، وكان لا وجود للتراب في قوانين عالمه، وتلك صخرة المثلثة في الوسط، وكأنها ملك الماكن بحجارات تراصفت في أرض الحديقة، لتحدد الممرات يمكن السير عليها

في رحاب وممرات أخرى تأخذنا إلى مواقع للجلوس، وبذلك طريق الذي اتخذه ايلنور ماخذا بنا نحو بوابة المنزل التي أحسست أنها بوابة زمنية بشكلها الخشبي الصلب، برسمها وكأن القدم تفنن في شكلها تعلوها فتحة زجاجية راسمة شكلا دائريا محيطا، بها مربعات من حديد حامية ضعفها وتلك الأنوار من جهتين بشكل لم تره عيني، وكان فوق المصباح تاجا أسود اللون من حديد.

تقدمنا نحوه و طرق ايلنور خشب الباب الذي أصدر ألحان وقلت لم طرقت الباب؟ قال: سوف تعرفين بعد الماضي علينا، قليل وتبعته كلمات ايلنور..

كم اشتقت لك كم كنت أجري بخطواتي والغروب ورائي لأصل أمامك ونحضن بعضنا البعض، حينما أعود من العمل ويجمعنا ظلام وأنواره الخافتة..

كم كانت كلمات ايلنور متناسقة مع نغم الطرق ذاك وكأننا اجتمعا مجددا تحت أنغامهم..

وإذا بالباب يفتح موقفا تلك الموسيقى التي طربت في عقلنا، وبشاب خطف أنظارنا أنا وريلان، عدلنا وقفتنا وكان برق أشع

منه بتلك العضلات التي كادت أن تمزق ملابسه، وكأن كل شخص هنا مفتول العضلات طبيعيا، وبتلك الأعين المغلقة ولون أزرق يظهر ويختفي بكل رمشة التي خطفت تركيزنا كلما فتحها، وإذا بكلامه المتناسق بصوت خافت، كأننا كسرنا سلاسل الأحلام عليه مستعمرين نومه.

- هل لي أن أساعدكم؟

وإذ به يخرج كليا ورأى جدنا في أحضان ريلان، ثم قال بصوت متغير:

- مابه هذا العجوز؟ هل لي أن آخذكم لمستشفى اكتفى ايلنور برد باسمه فقط..

- ماربل

ذلك الاسم الذي لم أسمع مثله من قبل، وإذ بذلك الشاب تفتح عيناه من صوت ايلنور، كأنه ألقى به بين ذكريات ونسى حالة جدنا قائلا:

- هل أنت الذي في بالي حقا أم وهما أمامي، لأن أفكاري تعلم أنه تحت التراب في مكان لا نعرفه رد ايلنور:

- انا بذات ايلنور لقد غسلوا أدمغتكم منذ اسقاطي، هيا ليس وقت الكلام لندخل، اشتقت لهذه التحفة الزمنية سوف أروي لك كل شيء فيما بعد.

- ألا يجب أولا أن نذهب ألى مستشفى مابه هذا العجوز ثم رد ايلنور بصوت خافت:

- لا سوف نحضر ممرضين إلى هنا، وإنما لا أريد أي أحد أن يعلم بقدومنا أو وجدودنا هنا، ساد صمت الشاب واختلطت عليه كل الأمور ثم قال ايلنور بضحكات:

- ابتعد هيا لقد عاد ملك البيت، وكأن كل أعضائه تود أن تخرج وتحتضن كل زاوية من المنزل، كان الضلام في الداخل يحجب منظرالبيت ريثما دخلنا بدأ المنظر بالوضوح على أعيننا كان البيت واسع غير شكله من الخارج وبأفعال ايلنور تتغير وكأن روائح الطفولة تدفقت في رأتيه ثم توجه بخطواته نحو إحدى الغرف فاتحا إياها ريثما دخلنا إلى غرفة المعيشة التي كانت محاطة بالأثاث، وإذ بامراة تدخل علينا وعيناها مغروستان على جدنا ورد ماربل:

- هاته لينام زوجيتي ياعم ايلنور، لدي ولدان نائمان.

استغرب ايلنور قائلا:

- كم الحياة سريعة، ثم قال ماربل:

- اتبعوني لآخذكم إلى إحدى الغرف الفارغة التي سوف نضع مكانا للجد فيها.

اتبعنا خطواته نحو إحدى الغرف، التي كانت تتمركز في وسط المنزل ونحن حاملون الجد وإذا به يفتح الباب قائلا:

- هاته غرفتك يا ايلنور التي لم نفتحها منذ غيابك عنا.

دخلنا بذلك النسيم الماضي المتدفق في عروقنا، وكأنه تحرر من تلك الجدران، وضعنا جدنا على السرير فتحت ريلان النافذة تدفقت أشعة الشمس إليها متلاعبة بنورها على ملامح جدي، كأنها تود أن تغزو عينيه وتنير ظلمته التي هو ضائع فيها أرجعنا أنفسنا كلنا و قلنا:

- نرجو منك العودة لنا.

- هيا لنذهب إلى غرفة المعيشة ريثما اطمأنينا على حرارة جسمه، خرجنا بين زوايا البيت التي ملئتها أصوات الطفلين، كانا مفعمان بالبهجة التي احسستها تفوح من قلبهما، حينما عانقني ذلك الطفل الصغير ذو الشعر البني والأعين السوداء

ببشرة مثل بياض السكر، حلو بكلامه وتلك البنت التي تشبه ملامح أمها بشعر أشقر تبعثر على ظهرها بين يدي ورأسها على حضني معانقة إياي وكأنهما يعرفننا منذ الأزل.

كنا كلنا في غرفة المعيشة نتبادل الحديث والضحكات، بلهونا مع الأطفال الذين أنسونا من هم الدنيا، كم الطفولة جميلة مفعمة بالحرية والسعادة، اهه يا طفولتي، وبتلك الكلمة، ساد صمتي تأسفا على نفسي لم أحظ ولو في حياتي بسعادة ا بين ملامح وجهي، اههه تراكامت تلك السلبيات مجددا بين خلاياي تنبعث منها روائح الحزن، الذي ضاق صدري بها، أغلقت عيني لم أتحمل الوضع، رسمت ابتسامة خفيفة وقلت سوف أعود تركتهم بين تلك الحكايات، والأحداث وبين الضحكات توجهت نحو الحمام غسلت وجهي وكلمت نفسي أزحت تلك السلبيات الثقيلة على عقلي وشهقت نفسا عميقا، وعدلت أفكاري، أحسست بخفة وتعدل مزاجي بعد شربي كوبا من الماء، أطلقت أنفاسي و عدت من جديد بينهم فور دخولي رؤيتهم مجتمعين مع بعض في غرفة المعيشة، والقلق والدهشة بارزة على ملامح لينام التي ليس لها علم بأي شيء، خفت أن

نكون سببا عائقا على هذه العائلة، جلست معهم بدأنا بتبادل الحديث، لم أستطع تمالك أنفاسي أطلقت صرخات أحسست بشئ غريب يحدث لي، بدأ جسدي بالتصلب وكأنني أصبت بشلل، أحسست بدوار شديد ثم ثقلت أنفاسي، أحسست بخفة روحي الخالية من خلايا الدم وسلاسل المشاعر المكتظة لم أرى شيء سوى العم ايلنور، أتى بقطعة من قماش ووضعها على فمي، لم أستطع تحريك لساني واستسلمت لهذا الشعور بين يدي ايلنور أحسست أننى اسنتزفت كل شيء، الصرخات التي أطلقتها كانت طريقي المؤدية بي للعدم، أحسست أن روحي انتحرت من كياني، بدأ الضلام يغزو عيني، لم أر سوى ريلان التي كادت أن تفقد صوابها برؤيتي، اختفت أين هي؟

بعد عدة أيام أو ساعات أو دقائق من الأعوام، لست أدري أين أنا مستيقظة بين حطام أنفاسي؟ هل أنا خيال أم ماذا؟ التفتت من هنا وهناك، أريد لملمة أجزائي، إنى أرى نفسي أمامي، أريد استيقاظها..

- استيقظي لا تتركيني تائهة بين كيف وماذا..

ياروحي النائمة ها أنا استيقظت، وأنت لم تستيقظ بعد، هل عالم الأحلام أخذك عني؟ انظري لقد نام القمر واستيقظت الشمس وأنت في سبات، كبقية النجوم في الأفق ضائعة بين شارع الأنوار المكتظة بأشهب الميتة في أرجاء الغيوم العالقة ببين السماء وأرض البشر المتنكرة.

- إذا تركتيني صحيح؟

- هذه أنت؟

- نعم أنا وأنا نتحاور على تركنا ..

- من ترك من؟

- أنا تركتني وحيدة ألا ترى؟

- ران هذا أنا.

- من؟

-التفتى انظري إلي قابليني.

التفت ياليتني لم ألتفت وضاعت التفاتتي بين الوجه الذي يكلمنى، وجه مألوف بدمائه المرصعة على أكتافه تلك ملامحه، أحس و كأنه شيء يمتلكني، يمتلك ذاكرتي:

- من أنت؟

- أنا هل سمعتم أنا ذلك الولد الصبياني التافه الذي أنقذ كل حياتك التافهة من أيادهم.

- من أنت؟ من أنقذت؟

- أنقذتك من أعوان لوسيفر ران.

- أعوان لوسيفر من تكون؟

- أنا فردمار فردمار الأحمق الصبياني التافه الذي أتى لحفل الميلاد، حتى أدى حياته لحفلة دماء حفلة خاصة من الأعوان، أخذو روحي من الحياة بسبب فتاة .

- أي فتاة يا فردمار؟ ماذا ما هذه الصور التي بين عيني؟ من أنت خالتي، امى لقيس أنت هو أنت هو، دماؤك تهمتي أنت هو أنت سبب كل هذا، فقداني للذاكرة لقييس، أين أنت؟ أين أنا؟ ماذا فعلت بي؟

أنا هنا لآخد بثأري المدفون لسنوات عدة، بل مدفون في قلب أمي التي بسبك انتحرت، وهي ليست على يقين بمماتي ها أنت الآن عالقة في قصري، بين أعواني وأنا وروحك الضائعة بينك.

- قصرك وثأرك، لم أفعل لك شيئا صدقني.

- أنت لم تفعلي، ولكن هم من فعلو بي.
- ماذا فعلوا بك؟ ولم تريد أخد بثأرك مني، أنت أدرى أني لم أفعل شيء.
- لم تفعلي ولكن أمرتهم أن يفعلوا.
- لم آمر أي أحد، كنت صغيرة والذاكرة بعد حادتثك، ضاعت مني.
- بل أنت من أمرتي لقيس، وأعوانها لكي يأخدوني معهم، أنت لقيس عند سماعي لهذا الاسم، استرجعت كل شيء كل شيء ولكن صدقني يا فاردمار، لم أمر أو أفعل شيئا صدقني..
- أنتم إياكم أن تفلت إياكم.
- ولكن سيدي ندبتها، لا نستطيع الاقتراب منها.
- هل ترونها بشرية ها انظروا انظروا الآن أصبحت جنية منا، وفينا لن أكرر كلامي لتبقى أعينكم عليها.

ها أنا أمر في أسبوعي الأول بينهم، لست أدري ما يجري مقيدة من طرف الأعوان، لم يتركونني ولم أتمكن من الإفلات منهم، مهما فعلت بالندبة لم تجد أي مفعول، فقدت الأمل كليا

أصبحت منهم في هذا الأسبوع، سمعت العديد من الهتفات باسمي، ولكن لم أكترث أعرف أنها سوى تفهات من عاقلي الباطن، أدركت أن شئا ما يحدث في أرض البردن كل يوم لا أعلم ماهو، ولكن الأعوان يأتيهم أمر لتركي وحيدة يذهبون ويأتون بعد عدة ساعات، لا أعلم إن كنت في الصباح أم الليل ولكن ها أنا أحضر نفسي، لألتنكر بتلك الأعين الزائفة مثلهم لا أريد اكتشاف أمري.

حالت الساعات وبدأ الأعوان بالالتفاف في صف طويل، كالعادة وها أنا فكت قيودي معهم، اتبعت ذلك الصف خشية من معرفتي كان فاردمار الأول في الصف، يعد الأعوان واحدة تلو الآخر بدأ القلق يسيطر على أرجاء جسمي بالكامل، حتى وإذا بفردمار يذهب و لم يكمل العد، اتبعت المسار كليا خرجنا من ذلك الباب العالي، وإذ بي أسمع صوت يهمس باسمي من جديد:

- ران ران، أنا هنا لا تفعل هذا سوف يكتشفون أمرك.

هنا عرفت أن هذه ليست بهلوسة، إنه ريد أمامي لم أرد أن أفعل شيئا خوفا من الأعوان الذين معي، في الصف بدأت بالنظر إلى ريد، أتى إلي مسرعا دخل الصف أمامي:

- ماذا تفعلين؟ هيا لنذهب من هنا، سوف يتم اكتشافك فهذا تجمعهم، انظرى للباسك وفردمار سوف يكمل العد، عند باب المدخل ولن يرحمونك أبدا.

لعب بعقلي توقفت وبدأ الأعوان بتجاوزنا واحدا تلو الآخر، لا يمكن أن تذهب معهم، هذا جد خطر تعالي لنذهب بسرعة تعالي..

- ولكن ريد أريد فقط معرفة ما يجري.

- ران تعالي لاحقا، سوف تعرفين كل شي.

- ابتعدنا أنا وريد توجهنا بعيدا منهم فور انشغالهم، بذلك الصف ابتعدنا بخطوتنا تلك المتبعثرة ركضا بعيدا عن القصر، وإذ بوقوع ريد أرضا.

- ران تعبت من الركض لنستلقي هنا، أمام الأشجار حتى يحل الليل أنيابه لا أستطيع إكمال المسار.

وقفنا أمام الشجرة استسلمت لى التعب، فتحت عيني مقابلة نجوم السماء وأخيرا، أنا أراها بعدما كنت مسجونة في ظلمة الحديد تلك، اهه لازالت تلك القيود تؤلمني، حركت رأسي وجدت ريد مستلق بجواري وتعب يرسم ملامحه فيه، ناديت

عليه لم يجب، التمست أصابعه أفدي بعض الطاقة المتبقية وبعض الوعي له، لكي نتقاسمه ونبتعد من هنا.

سرعان مافتح أعينه بتدفق نور بداخله، بشهيق نهض مرتبكا، قال اسرعي لازلنا أمام القصر، نحن وراءه بأميال فقط، اسرعنا بين الظلام والأحجار التي كانت تتناثر بين قدمي معرقلة ركضي، وبنا نخرج على إحدى شوارع من بين أشجار كانت أجراس المدينة تدق منتصف الليل، توجهنا على أحد البيوت و دخلنا.

غلق ريد ستائر البيت وأبوابه بإحكام، كان قلبه يدق خوفا وبنا نجلسن مقابلين ملمحنا التي كادت أن تغيب بتبعثرنا بين العوالم..

ننظر إلى بعضنا باشتياق لغيابنا الطويل، عانقنا بعضنا ملتمسين ذكريات والأسئلته التي كان يلقيها بتقطعي بكل ثانية، وأنا أروي له كل ماجرى لي، وأين ألقت بي الندبة وكيف وصلت إلى البردن لساعة وعن العجوز الذي أصبح جدا لي. لكن الصمت يتدفق في عروقه الآن وهو يقول لقد توجهت إلى منزلكم، وأخبرتني أمك تلك الليلة، إن الضوء عاد مجددا في

غرفتها، اكتفيت بالصمت، وغدرت بلا كلام مبعثر في قراراتي قلت في نفسي الندبة القت باران إلى البردن.

واختفيت بين أحضان فردينا، وجدك هنا لكن بقيت بأمل متجدد، كل يوم ابحث عنك لكن وصلت الى كل زوايا هذا العالم لا أثر لك أو نداء كان شعورا يقول:

- لو كانت هنا لأحسست أنكما في عالمين مختلفين..

- لكن أي عالم غير البردن وفريدنيا، وإذا بك تقصين علي ريفلاد و فلادك، اهه ماذا يحدث أكاد أن أفقد وجودي.

ساد الصمت بيننا ضائعين بين ملامحنا، إذ بريد يكسر سلاسل الصمت بسؤال:

- ماذا يجب أن نفعل؟

أمعنت نظري فيه وقلت:

- مارأيك أن نذهب لنلتقي بعائلتي الجديدة؟

- أكيد.

- ولكن هل تعتدقد أنه بإمكانهم رؤيتي.

- ران هذه البردن أرض العجائب، لطالما هم هنا يستطيعون رؤية كل شي وفعل أي شيء.

- ريلان وجدي هما كل همي الآن أريد مقابلتهم.

- إذا هيا أسرعى خذيني لهم.

- إنه متصف الليل، ريد لا يمكننا الذهاب في هذا الليل العاتم، يمكن أنهم نيام إذن لنذهب غدا في الصباح، أكملنا الكلام بالضوضاء، تعبت أعيننا بعد ساعة كانت العقارب تشير إلى الواحدة صباحا، لم يغفل علينا الحديث نتحرك في أرجاء المنزل، لم يزرنا نوم وبه يقول: كم مضى على وجدك هنا في البردن ياران؟

- اهه لا أدري أتذكر فقط تلك الليلة التي كنت مجتمعة بين عائلة ، حتى خطف كياني ووجدت نفسي بين جدران، قصر فالدمار منذ ذلك لم أدرك الليل أو النهار لكن أظن أسبوعين أو ثلاث حتى أتيت وخلصتني من هناك، نظر بعيدا وكأنه تاه في مخيلته ورد:

- طيلة هته الأيام رأيت زينة البردن في صبحها، حينما أتيت فقط وبنورها لكن لم تتعمقي ما هو مختبىء بين زواياه المظلمة أخذ بيدي قائلا:

- سوف نذهب وأكشف لك عن قبح ملامحها، وثم سوف نعود لنحظى بقسط من الراحة، ونتجه لروية عائلتك.

خرجنا بين الأنوار الخافتة في أرصفة البردن، كانت خالية تلك الليلة نرسم خطوتنا بين أضواء المدينة بين شوارعها، وكلما رسمنا خطواتنا عبر أرصفتها كلما مسحت الأضواء أمامنا، تركنا بها خلفنا بعد نصف ساعة من السير، و بي أسأل ريد بكل شارع، أين نحن يرد؟

- سوف تعرفين كل شيء ريثما يترسم بين حدقيتك.

وإذا بنا نلتف داخلين إحدى شوارع التي كانت خالية من أنوار، كان الظلام مستعمرا بسواده كل الزوايا عدمت الرؤية، في عيني وكانت أنفسنا تدق صمتها وخطواتنا تطرق على رصيفيها لم أعرف أين قدمي متموضعة، كدت أن أتكلم وإذا بريد يضغط على أصابعي التي كادت أن تنكسر من شدة قبضته لم أعرف بالضبط، لماذا؟ لكن اكتفيت بالصمت، التف برأسي لا شيء إلا السواد كأنني في العدم، وإذا بريد يتوقف وأسمع سلاسل تحرك في أذني، لم أعرف؟ ماذا يفعل؟ ساد الصمت قليلا وقال بصوت خافت:

- اغلقي أذنيك.

وضعت يدي و لم أعرف لم؟ وإذا بي أسمع صوتا حرك صمت ذلك الشارع وبأعين تشع من نوافذ تلك البيوت التي كانت مخفية بألونها وراء السواد، أخافتني كليا وأذا بريد يدفعني أحسست أني أسقط وإذا بأقدامي ترتطم مع الماء بالنور خافت، يملأ عيني متجولا في حدقتي وأخيرا لكن سرعان ما استرجعت أنفاسي، غزت رائحة كدت أن أغمى لثقلها على رئتي بقرفها، وإذا بريد يقفز بجانبي، ويجر معه سلاسل تراكمت على أجسادنا، أغلقت تلك الفتحة فوقنا مصدرة صوتا كالصفير، حديد الميت يحرك قلوبا فزعا ويفجر الآذان بصخبه، أسرع ريد بتلك سلاسل شدها على إحدى أعمدة حديدة كأنه يتصارع مع تلك الأقدام المتحركة فوقنا، والأصوات الموحشة، إذا به يأخذ بيدي راكضا ويلقي أنفاسه قائلا:

- لو عرفت أين كنا للأرجعتني من خطوات أولى، سوف أخبرك كل شيء ريثما نتجاوز هذا، وإذا به يخفف من الركض..

ثقلت أنفاسي ، بدأنا المشي في ذلك النفق، بين لفة وأخرى وإذا به يقول:

- إن هذا النفق هو الطريق السريع الوحيد إلى وسط البردن، لكن تم هجره وأصبح نفقا للصرف الصحي للمدينة، وهو تحت كل منزل وبناية وهذا هو هدفي الليلة.

- ما الأمر إذا؟

- هو يتواجد مدخله الوحيد الذي دخلنا فيه في الشوارع التي تقطن فيها، أوحش وأقرف المخلوقات الخلقيا وأخلاقيا التي حبستهم البردن في تلك الشوارع، واضعة لكل واحد منهم رمزا خاصا بهم، وليس لهم الحق بمغدارة البردن، أحاطت بمخارج شوارعهم أنوار لن تستطيعي روئيتها، ولو تجرأ أي أحد بتجاوزها، سوف تقتله فهي مبرمجة بكل رموزهم، فهي تعرفهم فلو وضع أحدهم خطواته خارجا، تصوب نورها على عقله، بنصف ثانية يسقط ميتا.

- لم أعرف ما أقول اكتفيت بقول لم يقتولنهم ريد؟

- إنهم تعرضو لتجارب جنائية غير ناجحة فانتجت منهم وحوشا قاتلة، وأخطرهم أولئك الذين لا يبصرون، فإذا سمعوا

همسا تفك أنيابهم حول المصدر، لقد قتلوا العديد من أهالي البردن وخطفوا الصغار من أهالهم وهدموا المستشفيات التي كانو فيها لذا قررت البردن بتخديرهم وجمعهم جميعا في مقر واحد تحت الرقابة.

- ولم لم يقتلوهم؟

- لا أدري بهذا لأنا عندما عينت البردن بحاكم جديد، لم يتفوه عن هذا الموضوع لأهلها.

ملأ الغموض عقلي كما ملأ ذلك الظلام عيني، لم أرد ولو بكلمة اكتفينا بالصمت متجهين بخطواتنا في ذلك النفق، وبعد دقائق من سيرنا توقف ريد ونظر ألى أعلى، كان رمزا بأحرف وأرقام تمعن فيه قائلا:

- نحن مباشرة تحت فلورا.

تقدم نحو أحد السلالم، واتبعته صاعدين إلى أحد الأبواب الحديدة التي كانت في حائط متمركزة، لو خرج منها أحد لسقط وصلنا أمامها بذلك السلم، وبدأ ريد بدفع ذلك الباب بقدمه، ويصدر صوتا يملأ النفق وينخفض مبتعدا كأنه يهرب كلما

ضرب الباب، وإذا به يشد أنفاسه كلها، ويضرب ذلك الباب، ونكسر قفله وفتح وبه ينزلق و شد بيد واحدة كاد أن يسقط، حملته بين يدي ريثما قفزت نحو ذلك الباب، ودخلنا ملقين بأجسادنا في ضيق ذلك الممر، لم نحرك لدقائق بقينا متكئين على تلك الجدران أرجعنا كل وعينا وأنفاسنا.

- انهضي هيا ران لنكمل، اعطني يدك.

بدأنا نسير في ذلك الممر الضيق، وبعد مدة طويلة صادفنا نفس الباب لكن هته المرة كان قفله من الداخل، مما وجب علينا فكه فقط، دون صوت صادر فلا نعلم ماوراءه بعدما فتحنا ذلك الباب أضاء علينا ضواء، أغلقت أعيننا من شدة سطوعه، حجب علينا الرؤيا وإذا بنا نتقدم وجدنا نفسنا في وسط السيارات التي كانت مصطفة واحدة تلو الأخرى بكل ناحية قال ريد:

- نحن في موقف السيارات في البناية التي أردتها بالضبط اتبعني.

ركضت وراء خطواته وهو ينحني كلما صعدنا الدرج، فكانت كواشف تحدق بعدستها لحسن لحظ لم ينتبه لقدومنا بقينا

نلف بين ادراج لثلاثين طابق كاد قلبي ان يخرج بدقاته بين يدي اتجهنا إلى أحد الأبواب الحديدة، ضغط ريد على زر أصدر صوتا وفتح بابه، دخلنا وريد يقول:

- هنا لا مراقبة نستطيع إكمال مئتان طابقا، بهذا المصعد المتحرك وبها تصعد بسرعة لثوان، وصلنا فتح الباب وتوجه ريد نحو إحدى السلالم التي كانت مخفية وراء سقف، هي وهما لا يحركها إلا من يعرفها، أكملنا الصعود وإذا بنجوم السماء تقابلنا بلمعانها وكأنها كانت تلهف بنورها، لانتظارنا غزى ذلك النسيم المنعيش والبارد جسمي ريثما خرجنا والقمر كان أقرب، ملأ عيني بحجمه، حركت أصابعي نحوه وكأنني ألتمس سطحه لغيابه علي.

تقدم ريد في سطح تلك الناطحة، إلى حافتها جالسا تقدمت أمامه ورأيت حولي ظلام وال،بنايات العالية بأنورها فقط لمحت إلى أسفل وكدت أن أفقد وعيي قال ريد:

- هته أطول وأعلى البنايات هنا في فلورا، وتتوسط المدينة، وتغطي كل زواية منها، قلت:

- لم نحن هنا؟

ريد نهض ونظر إلي..

من هنا سوف تكون بدايتا لرؤيتك لهته الأرض، برؤية غير تلك التي تتجول في عقلك، سوف تغزو مشاهدا عليك، لم تريها أبدا من هنا سوف تحلق عينيك في أفق كاشفة كل زاويا هاته الأرض التي لم يمكن لها أن تراها وهي في الأسفل، لكن أولا دعيني أن أخبرك تعريفا يليق بهاته الأرض، انصتي إلي أنت تعرفين، كيف نشأت وترعرعت بين يدي ايلنور، بينما كانت ملقية بين يدي حاكم لا يعرف سوى الحروب والدماء ومن ثم تحولت إلى جنة بأخلاقها وجمالها وتطورت كأنها أرضا خيالية، صمت والتفت إلي لكن ايلنور كشف عن أوراق حركت القلوب، كم كانت خطة ذكية لجعل القلوب تبدع، أخذ بنظره نحو البدر لكن كما ترين حتى القمر لديه زواية مظلمة، لو أمعنت فيه لكن من غره بسطوعه لا يعلم.

ايلنور لم يدرك خطورة مافعل فقد انشأت حركة وراءه، والتي اسقطت به كما قص لك فهم أمعنوا في المال فعرفوا أن سيطرتهم تكمن فيه، فإذا به سوف تسيطر على كل زوايا وقلوب وكل حدود والغرائز.

آهه استدار الي قائلا:

- فبعد ذلك أصبح نهارها يغطي بنوره قبح ظلامها، وليلها يخفي كل ما يحدث وراء ظلامها، والقمر شاهد بنوره مهما ساد السواد في زوايها.

تقدم نحو الحافة بقدميه، ووقف واضعا يديه نحو الأعلى قائلا:

- حياتك في هته الأرض مثلما أنا واقف على هاته الحافة، فيجب عليك التشبث بكل ماعندك والحفاظ على توازنك وهدؤك فالقليل من رياح العابرة قد تسقطك، هل فهمت ماذا أعني؟ لكن لنفترض أني لم أدرك ماذا يحدث حولي، وألقيت بنفسي ملأت صرختي محولة الصمت إلى ضوضاء، حركت الغيوم برعدها، أسرعت نحوه وأمسكت بظهره وجررته نحوي، هل أنت مجنون؟ لما ألقيت بنفسك؟ كدت أن تصبح ورقة على الأرض.. قال:

- كانت نقطة للتعريف بالذي سوف أقوله لك ياران هنا، إذا غلبتك الحياة وهمومها وألقت بك، منه من يبقى ساكنا ولا يتحرك ومنه من يلقي بأعينه و يلتف كأنه لم يري شيئا رغم أن

حدقتيه زارتا كل الزوايا، وهناك من يركض ليدفعك نحو السقوط أكثر، وهناك من يتشبث بك حتى لو كلفه السقوط معك.

اندهشت من كلامه وقلت: أخبرني أكثر، تقدم مجددا و هو يخطو بخطواته و يحرك بيديه قائلا:

- هاته أرض، طبيعي أن يكون لها بداية بأعمدة قوية لا تتحرك، لكن ليس من الطبيعي أن تكون نهايتها غير أعمدتها.

صمت وقال:

- الحب، الأخوة، الرحمة، المساعدة والعدل حرك حروفها وأخلط معانيها، و زلزل أعمدتها، سوف تدمري صلبتها في القلوب أرجع انفاسه قائلا بالصمت:

- بالورقة بالورقة أرأيت الزمان لا دخل فيه، و لا القدر فمن كان ملاكا أصبح شيطانا، بغيرة غزته أما هته أرض ملاكا بنواياها لا بورقة أشعلت نار غرائزها، فأصبحت جحيما،

استدار وقال:

-الكره، القتل، التكبر، الظلم، كل هتهال أنوار مشتعلة لكن يبقى الظلام يحيط بها، لأن هناك قانون الغابة متخفي وراء الأوراق، القوي يأكل الضعيف، الغني له الأولوية عن الفقير، أرأيت

معناها لطيف حقا، آه هنا معادلة بسيطة، واحد بألف أي إذا ازداد من الأغنياء واحدا، ازداد من الفقراء ألفا، فهدفهم جعل الكل يزحف من أجل بطونهم فقط ومن يتحكم يتربع على الكرسي و لا يتحرك، ويتبرع على أية حال بكرسي من ذهب فقط وليس من خشب، فالخشب لم يتبق هنا أبدا، أصبحت الأوراق تكتب عليها بعض من المقولات و التحذيرات، احذروا من قطع الأشجار..هنا يدفعون الجمال للمعاصي والقبح للقتل والكبائر، وإنما هته أرض تملؤها تجمعات للتدمير وليس للتدبير لكن هنا التدمير بصفة أخرى غير مباشرة إيدولوجية تدمر كلا من القلوب والأخلاق يالها من أرض، وهو يتحرك حرك بقدميه نحو وسط تلك البناية منصفا القمر بنور ندبته قائلا:

- تعالي ران، اعطيني يدك دعينا نختفي بين المشاهد، لكي تري عما أتكلم، هيا نحلق إلى الأفق التمست أصابعنا ودقت نبضاتنا وحركت أقدامنا، نشق الظلام بنور ندبتنا نحو أفق فوق الغيوم، ارتسمت كل الحدود في عيني وكل الزوايا التي لم أستطع روئيتها، وكل شارع كان له لونا خاصا، لمحت إحدى الشوارع التي ملأ ضوء أحمر أرصفتها.

- ريد لم ذلك الشارع الأحمر وحيد؟ وليس كبقية الشوارع والأرصفة؟

- سوف نذهب له فيما بعد، فسوف أكشف لك في النهاية ماسوف ترين لأنه ساد الصمت.

سمعت صرخة تتبعها صراخ ودقت عقارب المدينة رد ريد:

- الثانية صباحا هنا يبدأ النهار لهؤلاء.

- من ريد؟

- اسمعي برفق.

طلقات تعم الأجواء، كأنها حرب صامة، عم قلبي الخوف من هذه الأصوات التي تتراوح من هنا وهناك، نظر إلي ريد قائلا:

- هنا أرواح تتصاعد أكثر مما تنزل، هته أرض أصبحت القروح فروح؛ فإذا قتل شخص شخصا آخر هتف الجميع بصرخات وضحكات، هنا تعذيب الفن، انظري هناك كيف تلك الجماعة ربطت ذلك الشخص، وهم يرسمون عليه ندوبا فقط لا أكثر، اهه انظري كيف هم يظربونه بسلاسل و أحجار، وانظري إلى الآخر في ذلك الشارع يلقون عليه البنزين،

ويقدون منه نارا، انظري الآخر كيف وضع يديه لكي يتدفأ منه من صقيع الليل، ران حركي نظرك قليلا إلى اليمين، أتنظرين لذلك الشارع بنوره خافت ماذا ترين؟

- أرى أم تحمل ابنها لكن أنتظر لم؟ أليس الوقت متأخرا أم أنها متشردة بلا مأوى.

- كلا انظري إنها تتقدم إلى أحد البيوت، فلم أحدثك إن سحر هنا طبقا رئيسي لطوالة البردن، إنها تأخذ ابنها لكي يأخذ ذلك المشعوذ بين جدرانه، قليل فقط لا أكثر من دماء ابنها، لكي يلبي طلبها، حتى يتقدم به لحاكم البردن كشارب فكل يوم يتقدم ساحرة البردن إلى الحاكم، بكل أكواب الدماء و من أحضر ألذ من غيره، كُوفئ بما يرغب و بالكثير من الأوراق نعم.

- اهه ماهذا يارید؟

- لم تري بعد، انظري بين الظلمة ذلك رواق، كيف ذلك شخص يقتات، من لحم تلك الفتات هنا للمرأة خياران لا ثلاث، لهما أن تأكل بالمال أم تهضم بلا مال.

- اهه رید لكن..

لا ثالث لهما، انظري معي أمام ذلك شاطئ ثلاث سيارت، سوداء راسمة انحناء، أولئك حاملين لحقائب بها مال لصفقة مع ذلك الشخص الحامل لأكياس بها أجود وأندر الأنواع في البردن، كلها لكن لم تلاحظي شيء، أندر ومن هو أندر، لن يترك هباء فذلك شخص وحيدا مسكين أمام جماعة بسلاح، ومدرعات لكن هته أرض البردن، لطفها يخفي قبحها ترقبي ماذا سوف يحصل، وإذا بالسيارات تنفجر والرصاص يتطاير وكل أولئك سقطوا على الأرض في ثانية وحرقت أجسامهم وأصبحوا رمادا، بلا أثر ونظر ذلك الشخص بكل برودة، وهدوء يحمل تلك الحقائب وأكياسه مشيرا بيده نحو تلك البنايات، بان مهمة اتقنتموها

عدل نظرك نحو ذلك شاطىء اترين ذلك شخص يحمل كيسا بيده الأيمن وسكينا بيده الأيسر ويلقي به في البحر وإنما أنت تعرفين مابداخله.

- جسدا..

- نعم سوف يملأ الماء البحر عروقه بعدما كان دما يملؤها، انظري لذلك الرجل يخرج من المستشفى حاملا ابنه أول جميل.

- حقا لكن هل تعلمين أين يتوجه به في ليلته الأولى في هذا العالم؟ إلى قصر الحاكم فهو عضو جديد فيجب أن يفدي بمولوده الأول إلى الحاكم، انظري كيف أخذ بأسيراته بين الشوارع نحوه ريد، وكيف تقام طقوس العضو الجديد، سوف نطهب بعدما نعود من منزل ايلنور، أما الآن سوف نذهب إلى ذلك الشارع الأحمر.

- هيا..

نزلنا شاقين الظلام نحو أنوار إحدى الشوارع التي كانت خافة، وبنا نتحرك كنت مدعورة بما رأيت وسمعت ولم أدرك وجودي وكأنني ضعت كليا وبكل لفة تزداد أصوات لم أعرف منبعها، وإذا بمدخل أشع منه لون أحمر يميل إلى السواد منير على كل السيارات و الحشود المصطفة، شخص تلو الأخر، قال:

- ترقبي معي، وابق ورائي ولا تنطقي بحرف.

تقدمنا بين الظلمة داخلين، ذلك لون الأحمر الذي غزى عيني خطونا بين الحشود بصمت، وننتظر دورنا كم كان مكانا مليئا

برجال وفتيات بألبسة عارية، كان اللون الأحمر يتدفق فيها لم أحمل المنظر همس ريد:

- ماترين ليس كل شيء.

مرت علينا نصف ساعة ونحن ننتظر لدرورنا، كادت ركبتي أن تنكسرامن الوقوف، فكل حركة سوف تلفت الأنظار برزت ملامح استغرابي حينما أتى دورنا، تقدم ريد وهمس:

- اسم غير اسمك.

أخذ بالورقة التي بين يدي الحراس، ودون اسما ودفع بعض الأوراق، لم أرها من قبل، أتى دوري وارتعش قلبي أحسست زلزالا تحت قدمي ، ولا بنظرة من ريد، بتمتة في فمه ودخل وتركني، حمدت الرب وقلت:

- اولماندا جهان..

قال أحد الحراس بصوته الذي كاد أن يفجر أذني:

- دونيها ولاتتكلمي ممنوع الكلام هنا، اخذت مابيدي وكتبت الاسم ادخلت يدي في الجيب وأعطيتها كلها لذلك الشخص، لم أعرف قيمتها فقد وضعها ريد ريثما وصلنا، دون علمي فتح

تلك السلاسل والباب ودخلت سرعان ماوجدت ريد وقفا ينتظر نظرت في وجهه بملامح صامة، لقد كدت ان أكشف..

- لا تفعل هكذا في أمور حساسة ..

أطلق ضحكات..

- أردت أن اخيفك، هيا هيا نتحرك..

ريثما عاد نظري، استعمرت تلك الأوان المتلاعبة في عيني، تتغير من أصفر إلى بنفسجي إلى أحمر ثم أخضر، وتتغير إلى أزرق و اروجواني، حركت أفكاري كلها وكانت الساحة واسعة تتوسطها أعمدة حديدية، كانت الفتيات متشبثات بها تترقاص على أنغمة الأماكن وبهتفات من رجال يلقون عليهن أوراق و هم يحملون الشراب، تتلاعب أقدامهم بنبض الموسيقى التي تحرك بصخبها الطاولات والتي أحسست أنها تتراقص أيضا، كم كان مكانا مزريا على أفكاري النقية، ماهذا ريد؟

- قال:

- اصمتي أنا على وشك أن أتقيأ، إنها مرة الثانية التي أشعر بدوار في عقلي لكل هذه الألوان.

ساد الكلام بيننا وإذ بفتاة برداء أسود، تقدمت نحو ريد بملامح ضاحكة، حاملة كأسا به شرابا أزرق اللون واضعة بيديها على أكتاف ريد وبطرقات بكعبها همس ريد:

- ابعدي هاته فتاة قبل أن ألكم جسدها وتصبح أجمل قبيحة في هته الأرض.

ابعدتها بيدي دفعت إياها اأسقطت الكأس، تناثرت شظاياه بين قدمي، غيرت الموقف بنداء على الحراس قائلة: أرادت أن تتعدى حدود زوجي، ملأت ضحكات ريد وأخذوا تلك الفتاة ملقية علينا كل الكلمات، مسحت ذلك الشراب البارد على وجهي الذي صدمتني قطرته، حينما ألقي على الأرض، تحركنا أنا وريد اتجاهنا إلى طاولة كبيرة التي كانت تتوسط ذلك المكان، كأنها محل كستها كل أنواع القارورات حتى طلب ريد كأسا من ماء، وأنا طلبت ذلك الشراب الأزرق الذي غرني بلونه، وبرودته، ضحك ريد ورش ما في فمه علي.

- ماذا تفعلين؟ قالها بهمس وكل الأنظار علينا، أصبحت القاعة مسرحية بيننا قال: اعطها كأسا من الماء من فظلك، وهمس إلي: ران هذا شراب.

- ماذا ظننت إنه نقي، ليس كشرابنا المعتاد.

كان كل و جهي مبتل وملابسي، لم أرد الغضب سيطر علي الضحك، شربنا الماء ونهضنا قال اتبعني توجهنا إلى أحد الأروقة التي ملأتها الغرف الصادرة منها أصوات، ابتعدنا عنها إلى أحد الأروقة، طرق ريد بابها خرج منها رجل عجوز بلباس متقطع ولحيته التي غطت كل ملامحه قال ريد:

- اعطني فستانا.

- أحضره ودفع ريد قائلا:

- ادخلي إلى هنا، وألبسه، كان فستانا أبيض يشع ظلمة المكان، خرجت وتوسعت أعين ريد قائلا بالتفاف:

- اتبعني.

- يا إلهي يالها من ملاك.

ريد سمعتك توجهنا بخطواتنا نحو الباب الخلفي، تاركين ذلك المكان المقرف، خرجنا على أحد الشوارع المظلمة والضيقة، تشبث ريد بأصابعي حينما لمحت من بعيد جماعة ينبع منها دخان رمادي، من افواههم، لم أدرك هل من تلك النار التي أشعلوها في أسطونة حديدة أم منهم؟

كانت ملابسهم سوداء، مغطية رؤوسهم بحركات غريبة وصخب، لم ينتبهوا لنا، كانوا حاميلن لعصايا وآخرون داخل إحدى السيارات التي لم أرها من قبل، قديمة طراز بدون عجلات لم أرتح قلت:

- ريد هيا الوضع لا يبشر بالخير في هاته زوايا البردن..

نطق قائلا:

- هذا ما أردت أن أريك..

أكملنا السير بخطوات متثاقلة إلى أحد الطرق المتقاطعة، التفتنا على أحد شوراع فارين من مكان وتدفقت الأنوار مجددا أرجعت أنفاسي، حمدت الرب، اتجهنا نحو أرصفة الشارع كما أتينا نقفز من زواية إلى زاوية، حتى وصلنا إلى الشارع الذي يقطن فيه بأنواره الخافتة، دخلنا المنزل وأرجعت الأنفاس قائلة:

- لن و لن أذهب في هذا الليل مجددا، ماهذا ريد اهه؟

قال:

- أردت أن أريك قبحها.

فقط كانت الرابعة صباحا تدق كل عقارب الساعات ثم قال ريد:

- هيا ادخلي استحمي وسوف أستحم في الطابق الثاني.

خرجت من الحمام ونزل ريد من الطابق الثاني، توجه كل منا إلى غرفته وملامح التعب كست حلتها على وجوهنا وتدفق النعاس في عقلنا، ألقيت بجسدي فوق السرير الذي أحسست أنه يجذبني لأحضانه، لم أتحرك ولو بحركة حتى حركتني الشمس بنورها وتدفقت داخل عينى.

كانت السادسة صباحا، نهضنا من قيد سلاسل النوم، حملت خطواتي ولملمت أجزائي التي تبعثرت بين الأحلام، وغسلت وجهي وقطعت حبال النوم قائلة في الأرجاء بصوت عال:

- ريد هل أنت جاهز؟

- نعم سوف آتي.

توجهت نحو الباب، أتى وخرجنا، غلقنا الباب وخطونا بين أرصفة الشوارع متجهين إلى منزل ايلنور، مشينا وخطونا نحو شارع اركاتاد التي لن أنسى أول خطواتي إليها، توجهت بين أرصفتها التي طرقت عليها خطواتي المتناسقة بنبضات قلبي،

لم أتحمل طول الطريق، تركت ريد في المنتصف، وتوجهت راكظة إلى ذلك المنزل، توقفت ألتفت الى ريد قائلة:

- سوف تكون واحدا منا.. طرقت طرقات خفيفة المتناسقة مع نبضاتي تلك، ازداد قلقي، لم يفتح أحدا الباب، ربما ليس هنا ريد قال:

- ولكن..

لم يكمل كلامه وإذ بي أرى ريلان التي افتقدتها، ظلت ساكتة لم تنطق بشيء، خشيت من الشيء الذي برأسي حتى أطلقت صرختها: ران أنت هنا على قيد الحياة، عم ايلنور، ران أتت ران، احتظنتني بكل قوتها، وتلك القفزات المجنونة التي كادت أن توقعنا.

دخلنا وبدأنا نعانق الجميع، كان ريد صامتا وكأن الكلمات هربت منه، لم يرد بحرف، اكتفى بقول: سررت بمعرفتكم وبه يتحسس بأعينه، جمال المكان وقال: لم لم أر منزلا كهذا في البردن، إنه فريد، دخلنا غرفة المعيشة، جلسنا وكل أنظاره مركزة في ملامح ايلنور تائه بين أعينه..

اتتت لينام قائلة:

- المائدة جاهزة.. هيا هي تنتظركم.

توجهنا نحو المطبخ، استدرنا نحو الطاولة مقابلين بعضنا، مطلقين الضحكات، أكلنا من خيراتها وارتوينا بشرابها..

عدنا إلى غرفة المعيشة، استرحنا قليلا، حتى طرح علينا العم ايلنور سؤاله:

- ماذا فعلتم ؟

بدأنا بسرد ما جرى لنا بالحرف، من قصر فاردمار إلى التقائنا في بيت ريد، حتى نطق ايلنور بضحكات، ظننت أن الندبة أخدتك إلى عالم آخر فارة من الشقاء الذي بانتظارك، حركت تلك الكلمات ضحكاتي وبار يلان تدخل بخطواتها قاطعة حديثنا..

- ران، ران لدي خبر لك سوف يحرك كيانك كالليلة التي اختفيتى فيها عن الأنظار.

جلست بجواري ويديها على يدي قائلة:

- بعد يومين من غيابك قرر ماربل إحضار ممرضين رغم صعوبة إحضارهم في أيام الأسبوع.

ذهب وجاء بأكبر ماتملك البردن من ممرضين، لقد أتوا ومعهم أربع مساعدين، لم أفهم الأمر كيف أتوا، تلك الطريقة وهم ليسزا دارين بحالة جدي وسرعان ما دخلو أدركو حالته قائلين: نريد غرفة فارغة رجعنا بخطواتنا للوراء مندهشين بما يجري بين يدي لائك..

كانت الثانية صباحا، والصمت يدق في أذنينا ونحن لا ندري ما يدق داخل الغرفة، عمت خطواتنا المنزل نغدو ونخطو من غرفة إلى غرفة، ارتبكنا بخطواتنا طيلة ساعتين، المارة علينا كالسيف، كان الهدوء يكسو تلك الغرفة ولا حركة توحي لنا بأي خبر يفرح أو يحزن.

سرعان ما استيقظت الشمس وبدأت النجوم بالضياع بين نورها، والقمر بالتلاشي وسقوط حلت الظلام فتحت الباب، وأخيرا سقط كياني حينما رأيت لائك، حاملين حقائبهم، لملمنا تبعثرنا ذاك بين الغرف، واصطفينا أمامهم بنفس السؤال من كبيرهم: ماذا جرى؟

أدركنا الحالة سرعان ما رأينا ملامحه، لم نرد أن نضيع المزيد من الوقت، فقد ضاع الكثير على أية حال، نحن نشكركم

على إبقاء خلاياه متجمدة، فقد قمنا العملية وبعد أشهر سوف تبدأ الخلايا بالاحياء تلقائيا، وتبدأ الحياة بالدق في عروقه صدمنا جميعا تبعترث الابتسامة بين ملامحنا وبقينا مندهشين، كان القدر سبق مسارنا ولم يكشف مسار بطاقته بالكلمات، بل القاها علينا بالأحداث نحن ضائعون بين افكارنا وكلماتنا اعذرونا على تجمدنا، نشكركم كثيرا كشكر الساعات للثواني فبدونها لن تتشكل..

كلمات ريلان التي أنستني ألم القيود التي حرقت روحي، أحسست ببرودة بداخلي، وكأنها تحلق بين السحب، يملؤها السفاء وكأنها ألقتني في اللا مفهوم، أدت بي إلى تشتت مشاعر كياني، انسحبت من غرفة المعيشة والدموع غزت جفوني، توجهت إلى غرفة جدي ولكن أوقفتني لينام قائلة:

- لا تستطعين الدخول، لقد أخبرونا الأطباء أن نحجب الضوء من العبور، فإذا تدفق تفقد خلاياه.

عدت بخطواتي واشتياقي يحرك قدمي للتقدم، والأسف يحركني للعودة إلى غرفة المعيشة..

مرت ساعات وكل تفكيري فيه، أتى ريد إلي قائلا:

- هل تريدين البقاء هنا أم المجيء معي؟

لم ادرى مايجب علي القول، و الكلمات بعترث تفكيري..

- بل سوف نأتى أنا وران سويا معك يا ريد.

التفت بابتسامتي:

- عم ايلنور هل تريد وضع النقاط الأولى لبداية نهايتنا أم ماذا؟

- هذه النهاية دعيها تدق بسطورها وتربك نبضاتنا، هيا ران ساعديني، لملمت أغراضي، يجب علينا فرش نقاط المغادرة، بدأنا بتوديع كل من كان في البيت، حاملين أغراضنا، خرجنا وتوجهنا نحو مقر مكوثنا.

بعد شهر هزت كل أجراس البردن، وحل الليل، وعلت أنواره في السماء كليلة قدومنا..

نهضنا مفزعين من أحلامنا ظننا حاكم البردن كشف قدومنا، أصبحنا كحطام الزجاج المبعثر تحت حطام هذا البيت، وما هي سوى ثواني وتصمت البردن وتبعتها دقات على الباب، على الساعة الثالثة صباحا، حبسنا أنفاسنا، ساد الصمت بيننا تجمدت أفعالنا، لم نستطع أن نتحرك، كأن الزمان توقف في عروقنا.

تغلب ريد على خوفه بخطوات متناسقة بكل دقة، يرسمها الجاني، حمل بطريقه مقبضا، لمحنا بوضع يديه على مقبض الباب، حرك بعيونه إلى الأسفل، انحنوا.. كدت أن أغمض عيني وسرعان ما فتح الباب، كاد أن ينقظ على ذلك الوجه الذي كاد أن يشوه أفكاري التي لا تزال في جوفها، أطلقنا صرخات أنا وايلنور..

- ريد لا توقف، توقف، إنه برقاان.

وإذا بريد يتوقف جامدا، بضع ملمترات بين وجهه والضربة،

أغلق برقان عينيه، بانتظار الضربة أن تغرس في جبينه، وإذا بنا نخطف ريد وبرقان إلى الداخل..

اخ ما هذه الليلة التي أعيشها، وأنتم لم تستقبلو قدومي دعوني أجلس هيا تعبت من سفر رينيا، ران أحضري كوب ماء، أريد استرجاع أنفاسي ثم نتحدث..

عدت بكوب ماء وعادت أنفاس برقان، وبدأنا بالكلام وتحدث لساعات، وسرد علينا كل ما بداخله، وقلت إن قدومك الليلة أرعد قلوب البردن كلها، بل زحفت نحو الجبل كدت أن أرى نهايتي، صمتنا لوهلة ثم أدركنا شيئا مريبا، نظرنا في بعضنا وقلنا: كيف عرفت مكاني؟

- اخ لو تدرون ماذا جرى، بعد ما نزلتم من أرض فلادك، لم أستطع البقاء هناك خوفا من وقوع شيء لكم، قررت النزول فور ذهابكم، سقطت من كهف رينيا ولكن لم أتوقع سقوطي في ذلك المكان أبدا.

- أي مكان تقصد؟؟ قالت ران.

- مكان عدوى ذاك مكان سجني السابق، أتت الأحداث راكظة واحدة تلوى الأخرى، كدت أن انفجر قهرا ، ارسمت لي تلك

المشاهد المفجعة، التى أدت بي إلى ما أنا علي حالتي، الآن كدت أن أغفل عن هذا الشيء وأنتقم أشد انتقام، ولكن قالت لقيس إنه لا يمكنني فعل شيء لوحدي..

- لقيس.. لقيس.. لقيس.

- لقد كانت معي.. رد ريد قائلا:

- ماذا بك ران؟ من لقيس؟ عن ماذا تتكلمين؟

- برقان هل أنت متاكد أم أن لقيس ليست التي على بالي؟

- كلا لقيس هي لقيس وحيدة البردن، من أعوان حاكمها، ولكنها ليست كما تتخيلينها، صحيح هي من أعوانه ولكن هي معنا ليس منهم بل منا يا ران.

- أدرك ذلك فهي كانت حاميتي.

- أعرف.

- ماذا كيف ؟

- أنا وأمك من وكلناها عليك، خوفا من الشيء الذي كان سيحدث وانعكس..

- ران دعيه يكمل..

عندما تركت لقيس هناك، وعدتني أنها لن تتخلى عنك، وعن وعدها هي سمعت بوجودك هنا، لم تنسك، عدت أدراجي إلى المكان في أرض البردن الواسعة، لم ألجا إلى أحد، ولم أزر أحدا، ذهبت إلى جبل وقوع رينيا، جلست هنالك وحيدا لأيام، كانت تاتيني سعقات لقلبي ولم اكترث لها إلى هذه الساعقة التي أتت مداعبة أعيني بمشاهدكم فوق تلك البناية، التي كنتم على متنها، جئت إليكم راكضا لم أصدق ما ترى عيناي، لم أستطع الدخول إلى هناك بقيت على السطح منتظرا خروجكم، رأيت حراس البردن راكظين وراءكم، أسرعت أمسكت بهم وتركتكم تبتعدون عن المكان رويدا رويدا، لحقت بكم إلى موقعكم الآلى، ولكن لم أستطع التكلم معكم أو الدخول الى منزلكم حتى اليوم. عندما رأيت ايلنور هنا لم أستطع البقاء وحيدا، وها أنا ارتميت لكم الآن..

- لم أكترث عما كان يتحدث، كان في ذهني ذلك السؤال: أين هي؟

- من؟

- أين أمي؟

توجهت نظرات ريد التي كانت كالسهم نحوي، توجهت إلى برقان الذي كان أمامي أمام عيني، نهض ولم يجب على سؤالي..

قبل شهر ونصف..

- سيبلام أمك سيبلام أمك.

هاه أم عيني وكلماته تلك غزت قلبي كالساعقة لم أتحمل، أعصابي صرخة مادخلك بأمي مادخلك..

- أمك حبيبتي لقد سرقها المعتوه من أجلك، سرقها مني.

- ماذا؟ أمي أمي.. أين هي؟ أين.. أين؟

- لقد اختفت معه، اختفت معه بسببك.

- وما السبب؟ أنا ماذا فعلت؟

- أنت ولوسيفر من خطط لهذا.

- ماشأن لوسيفر هو لا دخل له ولا أنا.

- أنت من أمرته بأخد أمك.

- لم آمره، لم افعل شيئا صدقني، أريد رؤية أمي فقط.

- كيف تريدين رؤيتها، ونحن لا نعلم حياتها من مماتها؟

- أمى لم تمت.. لم تمت.

- لا أدرى.

- كيف لا تدرى كيف، هي حبيبتك وأنت لم تفعل شيئا لإنقاذها كيف؟

- اصمتي لا تزيديني هما.

- سوف أجدها وآخدها، وأعدك إن رأيتها لقتلتك، سآخدها إلى أرضي إلى موطني، أنا وأمى فقط.

نظر الى بكل استهزاء قائلا:

- وهل تتخيلين أنها ستكون سعيدة برؤيتك.

- ماذا تقصد أكيد فهي أمي لم لا تستعد لرؤيتي.

- أمك أنت صحيح، ولكن هنا هي ليست أمك بالأساس، لا تعرفك أبدا.

- لن اصدق حديثك أبدا حتى أن أراها تواجهني بمشاعرها.

- حسنا سوف ترينها هناك أمامك، وبمشاعرها التي تتكلمين عنها لطالما، لم تعرني مشاعرها اتجاهي أبدا، سوف أدع مرادك ينزل إلى هناك وقابلي بشاعة المشاعر على تلك الأرض، ولكن ليكن في علمك أن لطالما لوسيفر هناك، لن ولن

تستطعين فعل شيء وحدك ببتاتا، إلا إذا كان معك جيشا لتواجهي حقيقة ما جرى.

- سأواجه كل شيء من أجل أمى ولا أحد سيوقفني سوى إن كان لوسيفر أو أنت ولكن دعني فقط أمر من كهف رينيا.

- هل أنت متأكدة من هذا؟

- فقط اسمح لنا بالعبور.

- لك ما شئت ولكن أنا أعدك ياران، إنه لن يمسك شيء طالما أنا من سيسمح بعبورك.

- أنا لا أحتاج لوعود، أحتاج فقط للعبور.

بعد أيام من وجود برقان بيننا، لم يجب على سؤالي، ظل متهربا منى بين جدران البردن، تعبت من ملاحقته بسؤالي، اكتفيت بالصمت وعدم طرح ذالك السؤال مجددا، ولكن في أعماقي ظل ذلك السؤال يحوم ويحوم في خيالي، كل يوم يمر بأحرفه يزيدني حزنا على ما أنا عليه، اكتفيت بالصبر وتركت الأحداث تكشف ما تخفي وراءها بنفسها، حتى نطق برقان جملته التي سوف تغير مجرانا.

- اسمعونى لن نطيل وجودنا، هنا الوقت يمر ونحن نمر بحياتنا ضياعا بين هذه الجدران، لنقم عيد الدماء قبل عيد البردن هذه الأيام نطق ريد:

- ولكن سيدي ران ليست بعلم من حاكمها.

- كلا فهي تعرف أن لوسيفر هو حاكم البردن.

- ماذا كيف تعرف؟

- ريد أنا أعرف بهذا، قال لي برقان أن لوسيفر هنا ولكن لم أعرف أنه هو حاكمها لوسيفر لم يقل لي هذا.

- لوسيفر هل تحدتثى مع لوسيفر ران؟
- نعم ريد تحدتث معه.
- لم لم تقولي لي ؟
- أنا لم أكن أعرف أنك على علم أن لوسيفر له وجود بيننا.
- ريدران الآن دعونا من هذا الشيء، المهم مايجب علينا فعله الآن هل أنتم جاهزون لبدء العيد معي أم لا؟
- عم ايلنور ماهو رأيك؟
- ران بنيتي أنت وريد أملنا الوحيد لبدء هذا الشيء، نحن لا قدرة لنا لفعل شيء، ندبتكم هي سركم الوحيد هنا تستطعون غلب القوي والضعيف بها، أنتم ملجأنا هنا نحن لا قدرة لنا، عروقنا جفت من كل الأعياد التي أقمناها.
- ريدران لنتحد على عزم اسقاط ظلم لوسيفر للبردن، هيا انظمو إلى هذه الغرفة لنحد مسار اتجهاتنا.
- سيدي رقان.
- نعم ريد؟ ماذا هناك؟
- أنا لدي الخطوة الأولى.
- ما هي انطق بها.

- هنالك اجتماع الليلة لعضو جديد في قصر لوسيفر، يجب علي أنا وران التسلل إلى هناك لأرى طقوسهم ورؤية عضو الجديد الذي بينهم ونكشف ملامحهم وأعمالهم وتحركاتهم.

- ريد معك حق بني، فدائما ما تكون الخطوة الأولى بكشف تحركات العدو ومواجهته.

- إذا ران ريد مطتكم الأولى ابدأوا بوضع سطركم الأول قبل الثامنة.

- حسنا اسيادنا، هل تسمحو لنا بالمغادرة؟

نظر ايلنور وبرقان نحو الغروب عبر النافدة قائلين هيا يا اسودنا غادرو فالغروب حان..

رسمنا خطواتنا مودعين ايلنور و برقان نحو الباب.

خرجنا من البيت بحلول الظلام، كانت المدينة تدق بعقاربها على الثامنة، كانت الشوارع خالية والسماء تمطر على تلك الأنوار الخافتة، ملأنا الرصيف بخطواتنا متوجهين بين الشوارع والأروقة البردن بحذر، لعدم رؤيتنا نحو قصر لوسيفر توقف ريد قائلا:

- أعتقد يجب علينا دخول من خلف القصر، فالحراس متواجدون في أبواب الأمامية رددت قائلة:

- كيف يمكن لنا الوصول إلى الأبواب الخلفية للقصر بدون ما ينتبهو لنا؟

- يجب علينا الاتجاه في أحد الغابات المحيطة بالقصر، لكن يصعب علينا تجاوز تلك الأشواك الحديدية قد تلحق بنا بعض جروح.

- لا يهم ريد فقط أن نلحق، باجتماع أولئك.

- بدأ بالتحرك قائلا:

- إذن هيا..

اتجهنا إلى أحد الممرات داخلنا، والظلام غز حدقتينا نظر ريد حول المكان قائلا:

- أسرعي بخطواتك واقفزي بدون تردد، ولو ترددت سوف تغرز أشواكا في شراييك.

- لم أعرف ماذا أفعل؟ وهو انطلق مختفيا عني، وأنا أتبعته بدون علم، أين أنا أخطو و لا هو.

- فقط ظلام يعانق حدقتي حاجبا كل من حولي، وإذا بي أسمع:

- ران اقفزي.. اقفزي.

- لم أدرك، ركبتي، أين هي على حافة أم لا؟

ضغطت بكل ماعندي على أعضائي وعلى أملي أن لا يحدث شيء، وها ركبتي في سماء بين الرياح، أنتظر فقط أن أسقط على تلك الأشواك المخفية وراء السواد، وتغرس في أحشائي وشرياني وإذا بقدمي تلتطم مع التراب، أرجعت أنفاسي صارخة فتحت عيني بين الصخور التي كانت مبتعدة عني، لأمتار ووجهني القمر بلمعانه على أعيني، رأيت في جسمي، حمدت الرب، لم يحصل لي مكروه، تقدم ريد حاملا إيبي بين تلك الصخور قائلا:

- لقد فعلتها ران، هيا يجب علينا إكمال سيرنا.

نهضت وأكملنا السير بين الأشجار، ونور القمر وراءنا، كأنه ينير دربنا، بعض الدقائق من وجودنا في تلك الغابة، أتبع خطوات ريد بين الأشجار، وأخير خرجنا على الساحة الخلفية للقصر، كانت خالية بنور واحد في الوسط، خافت كانت صامتة انحنى ريد قائلا:

- انحني وتقدمي بنظرك إلى تلك النوافذ، فإذا رأيت أعيننا انبطحي على الأرض بلا حراك.

- اكتفيت بصمت مشيرة بيدي:

- هيا..

انحنيت ونحن نتقدم بأجسادنا بين ظلام الساحة، وكل أعيننا على نوافذ القصر، وإذا بنا نصل إلى وسط ذلك النور، كشفت أجسامنا وملامحنا ولو مر أحد من النوافذ لرأينا، أسرع ريد قليلا وتبعته وخرجنا عن ذلك النور، واختفينا بين الظلام مجددا متجهين نحو إحدى الأبواب، ريثما وضع ريد يده على قفلها فتحت رد ريد:

- ما توقعته الحظ معنا اليوم.

- بل القدر يا ريد.

- هيا ران ادخلي.

لم أفهم كيف تركوها مفتوحة هكذا، سألت ريد رد قائلا:

- إنهم يتركونها مفتوحة لأن الوصول إليها يكمن من داخل القصر، وأنت تعرفين الأعضاء من هم في الداخل، إذا لن يدركوا أن أحدا يستطيع الوصول إليها، لأن أهلها ليسوا مهتمين لدخول القصر، هاذهم أهل البردن يتبعون القوانين بصرامة تامة، على أية حال يحترمون قوانين القصر فقط، لأن لوسيفر ليس بالسهل تجاوز قصره.

- هل فهمت ران؟

- نعم ريد فهمت.

- هيا نكمل ماذا أتينا لأجله.

بدأنا نتوغل بين ممرات القص،ر بين لفته، كنت أنا وريد طوال الوقت نتسلل بخفة، زاحفين بظهرنا بين الجدران وإذا بنا نصل إلى تقاطع إحدى الممرات، وريد يتوقف بلف رأسه لسماعه لتمتمات خفيفة، تتبعها خطوات قائلا:

- عودي عودي أدراجك.

- ظننا منه أنهم يتقدمون نحونا، وإذا بي أرى أنهم ذاهبون.

نظرت إليه قائلة:

- اتبعني لدي خطة.

خطونا بصمت وراءهم، وهم يمشون بردائهم الزاحف في أرض، الأسود يغطي أجسادهم حتى أعينهم بكتفين يملؤها احمرار، تتبعنا خطواتهم، نظر إلي ريد، همس بصمت:

- إنهم متجهون نحو التجمع.

نظرت إليه بملامح للننقض عليهم ياريد.

فهم ماذا أرادت، وبه يسقط أحد اللوحات التي كانت ملتصقة في الجدار، أصدرت صوتا قويا بتبعثر زجاج اللوحة على الأرض، في حين التف الشخصان، خطفني ريد نحو إحدى الغرف التي كانت مفتوحة، والظلام يسود فيها ونسمع بخطوات تتقدم نحو الزجاج المتراكم في الأرض، ويتكلمون بصوت خافت، لا أكاد فهم حدثيهم إلا وريد ممسكا بيدي قائلا:

- يجب الإمساك بهم، ذهب وقفز من بين الظلام على أحدهم، وأنا على الآخر، مسكنا أفواههم خوفا من صراخهم، قطعنا عنهم التنفس، تشبثنا بهم لدقائق وهم يحركون بأجسادهم بلفظ

آخر أنفاسهم بأنين يتزايد إلى العويل الذي أخرج أرواحيهم من بين أيادينا، وتدفق الصمت في أجسادهم، أرجعنا أنفاسنا لفعلتنا وبسرعة تنكرنا بذلك الرداء، ووضعنا ذلك الغطاء على رؤوسنا، أخفى كل ملامحنا إلى فمنا، حركنا تلك الأجساد بين ظلمة المكان في أحد الزوايا التي لا نعرف مكانها، خرجنا من المكان وأغلقنا الباب تاركين الظلام حارسا لتلك الأجساد، توجهنا بخطواتنا نحو المكان وهمست:

- هكذا ريد سوف أشبع رغبتي التي أردت أن أعرف عن سر تجمعهم ورد:

- وأنا أيضا لكن أعرف نتائج وخيبة لنا، إذا كشف أمرنا هناك شخص، لن تكوني سعيدة برؤيته لكن إذا رأينا شيئا ليس بالتمام يجب عليك عمل الإشارة كتحذير.

- أية إشارة

- إشارة لإشارة الصفر بثلاثة أصابع، اعطيني يدك هذه هيا، الإشارة اتفقنا.

- نعم.

لا تنسي هذا.

خرجنا من ذلك الرواق، ريثما رأينا تلك الساحة الواسعة، وسط القصر غلقت أفواهنا، كان الكل هناك مجتمعين بين الطاولات والشراب يعم المكان، توغلنا بينهم وإذا بشخص يقول الساعة التاسعة لدينا عضوا جديدا، والاجتماع على وشك البدء نطلب من الأعضاء فقط بالتقدم نحو الباب الأمامي، نظر إلى ريد قائلا:

- هيا نتخفى بينهم، اختاري الوسط ،هيا اركظي داخلا.

- ريد توقف الاشارة، الاشارة صفر بثلاث أصابع لا تنساها.

أفلت يدي توجه بخطواته مبتعدا عني، تفرقنا في الممرات ونحن نتوجه نحو المجهول، أدعوا الرب ان لا يكشف تواجدنا بينهم، مررت بأحد الأروقة التي كانت الأعضاء تتمشى فيها، عضو وراء عضو بين ظلمة المكان مشكيلن صفا، وإذا بنا نرى نورا يتدفق من بعيد، حبست أنفاسي لرؤيتي الحراس، وإذا بي أحاول المرور، خارج الممر قطعني بيديه كحاجز أمام صدري قائلا:

- انزع على ما في راسك.

صمتت وارتعش كياني، ولوهلة تدفقت مشاعري مجددا، أحرك يدي ببطء متقطع، كرجل آلي، خفظت رأسي ووضعت يدي على ذلك الغطاء، لأنزعه وأردد انتهى أمري، انتهى أمرنا ياليتني لم أفكر في هذا، كدت أن أسقط بين تبعثري وانتظر القدر أن يتدخل ويقلب الوضع بأقوال الحارس..

- انزعيه بصوت خشن.

كدت أن أفعل وإذا بي أحس بضوء انخفض، كان شخصا أمامي وأسمع همسا خافت يقول:

- إنه التاسع اتركه لا تكشف عنه.

نزع يديه من أمامي وألقيت بيدي وأنفاسي، رفعت رأسي وتقدمت نحو ذلك الشخص، لم أرد أن أنطق بكلمة خشية أن يكون غير ذلك الذي في بالي، ابتعدنا داخلين المكان وبهمس يتكلم:

- إنه أنا ريد، لقد حدث نفس الأمر لي، لكن أحد الحراس رأى اختلاف لباسي لتقدمه في العضوية قائلا:

- إنه العاشر تركني أجتاز بخطواتي، فأدركت أن نفس الأمر سوف يحصل لك، وأن في ممرك يوجد حارسا واحد فقط. أسرعت بخطواتي إليك.

أحسست ياريد، أحسست أنك أنت الذي كنت أمامي، لكن خفت أن يكون شعورا كاذبا حتى تكلمت قال:

- لنصمت الآن.

توجهنا إلى أحد المقاعد في تلك القاعة الواسعة المليئة بالرموز، والألوان والأشكال التى لم أفهم معانيها، تجمع كل الأعضاء بين المقاعد التي شكلت انعرجات بتدرج مقابلين أحد الماقعد الفارغة، جلسنا أنا وريد أمام بعضنا البعض، وإذا برؤيتنا لأحد الأعضاء، مختلف اللباس في وسط القاعة لم أدرك من هو بدأ بنطق الأسماء وبعض الكلمات وبه يقول:

- إن تجمعنا اليوم يخبرنا مدى تأثير حركتنا في القلوب حينما نروي نوايانا بزينة إخوتنا ومحبتنا.

بين تلك الكلمات، أطلق الكل ضحكات، ولم أفهم لم، وبه يقول:

- الصمت الآن لندخله.

نادى على أحد الحراس، وبهم يحضرون شحصا به غطاء أسود على رأسه، كأنه مختطف، طلب ذلك الذي لم أعرف من يكون بجسمه ذاك وصوته قائلا:

- ليتقدم الأعضاء العشر نحو الساحة، وبريد يهمس:

- تقدمي نحن منهم.

نزلنا وشكل الأعضاء دائرة، حول ذلك العضو الجديد الذي في الوسط مع العضو الرئيسي ذو اللباس الغريب قائلا:

- ليتقدم حاكمنا.

ويردد همسات وإذ بي أرى مالم أتوقع أن أراه، ولم أتوقع رؤيته في هذا المكان، أردت أن أصرخ لغضبي وأردت أن أكلم ريد، لكن لم أستطع اكتفيت بكتم مشاعري داخلا، وكشفها فيما بعد كما يفعل القدر بكتم الأحداث ثم يلقها عليك، تاركا إياك بين المشاعر معتقل..

اه لوسيفر الذي كان الكل يتحدث عنه داخل القاعة، وخوفهم منه ها أنا أراه مجددا غير تلك الملامح التي ظهر بها أمامي، مزينا قبحه ها هو ذو قامة طويلة، وذو بنية ضعيفة، نحيف للغاية، كان جسده يتآكل كما أن شعره طويل، ذو لون

أسود قاحل، لم أر ذلك اللون بعد، لشدة سواده وملابسه تلك، وكأنه ظلام وسط حرب مع البياض، وفي أصابعه العديد من الخواتم الماسية، لا تعد قيمتها ولا تحصى وفي عنقه قلادة كبيرة مشعة مثل الشمس من الذهب، ركزت في كل شيء مشيته وهيئته، لم أستطع لمح شيء من ملامحه، بدأ بالتباهي أمام جنوده راكيعن له، وهو يتقدم نحو ذلك الكرسي جالسا بضحكات وبكلمات على الكل، ساد الصمت بيننا وبدأ بخطب كلماته وعن كل شيء، ويلقي على ذلك العضو الجديد مايحرك غرائزه، وينظم بكل مغريات الدنيا واضعا بين يديه بكتاب قائلا:

- عض يدك وامض بدمك إن اردت الانظمام.

سرعان مافعل ذلك، وبعضو ذو ملابس غريبة يقول:

- أيها الإله القادر على كل شيء، القاهر فوق العرش، أنعم علينا برفقك على هذه الحضرة، ووفق ارشان للدخول في حركتنا إلى إفداء حياته لك، ليكون لنا أخاً مخلصاً حقيقياً..

وهتف الكل:

- آمين..

ورد لوسيفر اللعين الذي زين قبحه لي بكذبه ذاك، وهاهو يقول:

- تقدم أيها الأخ أمامي..

فتحنا الدائرة وكأنهم فتحو له الحدود للدخول، وإذا بلوسيفر يقول:

- إذن فلتركع على ركبتك اليسرى، قدمك اليمنى تشكل مثلثا، أعطني يدك اليمنى فيما تمسك يدك اليسرى، بهذا الفرجار وتوجه أسنانه نحو ثديك الأيسر العاري، وردد ورائي:

- يارب كن معي، وامنحني الثبات على هذا القسم العظيم..

تلك الكلمات التي أردت ان اقضي على هذا اللعين ليس هناك ربا سوى الله، شفتاي كانت تتحرك وهي مغلقة، وملامح الغضب علي، وبذلك يركع على أبشع المخلوقات جسديا، وروحيا وبالعضو يقول:

- مازلت لك خطوة سوف ننزع عليك الغطاء المظلم، لترى النور بولادتك بيننا، حينما ترى من أمامك لكن إذا صرخت سوف يقطع رأسك وإذا لم تصرخ سوف تكون مولدا جديدا

بيننا، وبه يردها بالحرف يقول: يارب كن معي ومعيني وامنحني الثبات على هذا القسم العظيم.

تبعثرت حروفي مما زاد غضبي، ونزعت غطائي وتقدمت نحو المكان قائلة كاشفةعن ملامحي، سمعت همسا ورائي ريد يقول:

- قضي علينا.

وأنا صارخة بكلام موزون، لن ألوم القدر أو الزمان على تغيير ملاك بين يد الرب من مفضلين إلى شيطانا يواجه خالقه، بأوهامه على عقولكم، بأنه ظلم وهل الرب يظلم؟

وها التفت لذلك الشخص وقلت ها أنت تفدي دمك لرب مخادع بركعة لأوهامه، وقطعت قيودك بخالقك الذي في الأفق لا ينتظر من دمك قطرة إلا كلمة وركعة.

نهض لوسفير من مكانه و صراخ يعلو في الأرجاء، و قلت: لو كان ربا حقيقيا لداعنيي للهداية وإنما الرب لا يغضب، أسرعت بخطواتي نحو ريد ولوسيفر يردد:

- ران ماذا تفعلين؟ كيف جئت إلى هنا؟ أيها الحراس إنها ران ران، لا اصدق هذا، امسك بها ران من غيرك عني لم لم تأت

إلي، لقد كنت في انتظارك، أين شريكك ايم؟ هل أنت معهم الآن ضدي ران، أنا من أحببتك، وأرشدتك للبردن، لقد حطمت كل جزء من مشاعر قلبي.

التفت صارخة كما قلت لي في المشفى: أنا بلا قلب أيها اللعين

التفت لريد أرى وجهه ذاك صارخة:

- ريد الندبة الندية، التفت إصبعنا وأحسسنا بكياننا الملتصق نتطاير بين شضايا الكلام وعراك الجميع لتمسك بنا، وأبرقنا المكان، واختفينا عن الأنظار فقدت وعي للضغط في كياني.

فتحت عيني مقابلة النجوم، كان ريد أمامي مرميا فوق حلة الضلام، فتح عينيه قائلا: -هيا بنا نحن في خطر، هنا نهض أمسك بيدي، ابتعدنا بخطوتنا عن القصر راكضين بكل ماعندنا، نشق ظلام بندبتنا نتصارع مع الزمان و الشوارع و ريد يردد سوف يلحق بنا في اي وقت سوف ترين كل البردن تزحف ورانا لتقتات من اجسادنا سرعان ما و صلنا فتحنا الباب بكل قوة دخلنا مصدرين صرخة: ايلنور برقان..

تحول صمت الليل إلى حرب، أتيا مفزوعين، وقال ريد:

- لقد كشف أمرنا.

رد:

- كلا منهم ماذا؟

- كيف حدث؟

لم تتمالك غضبها، وكشفت عن ملامحها، وبنا نتوجه نحو أحد الغرف، ونتكلم ثم جلسنا ملقين أنا ريد عنهم أحداث منذ دخولنا إلى غاية هروبنا، ولما كشفت عن غضبي ثم قالوا:

- لقد كان خطئا منك ران..

- لم أتحمل جنون العظمة التي أصابته، إذا إنه رب على هته الأرض، فسوف أكشف عن نفسي وأوجه، فالرب معي فوق الأرض، ساد صمت بيننا والبنظارت حولنا، رد ريد بصوت خافت:

- اسمعوا كلامي جيدا، لقد عرفوا بقدومنا، صحيح إذن لوسيفر سوف يتنصت على كل صوت يصدر من أفوه الجميع، وكل زاوية من البردن لن نستطيع التواصل بيبننا كما الآن.

قلنا: - كيف ماذا بوسعنا أن نفعل؟

صمت قليلا غلق عينيه وكأنه فقد الوعي، رد بصوت صامت وحرك يديه:

- الآن بالصمت والإشارة.

فهمت أن الأمور لن تبقى على حالها، فهي تتوجه نحو الأسوأ نحن على منحدر التلاشي، خرجنا من غرفة المعيشة وننتظر بخطواتنا على النوافذ؛ أي حركة من المدينة تعلن عن قدومنا، ظللنا هكذا لطيلة يومين، لم نستطع فعل شيء خوفا من اكتشافنا، لم يبق معنا شيء لنقتات منه، بطننا فارغة، ها أنا أتجول في أفكاري وذكرياتي، وإذا بتذكر اختفائه ريد من أمامي، في سيارة أرض فيردينيا، صحيح نسينا أمر الندبة ريد بالتخفى، أسرعت اليهم إلى الغرف صارخة:

- ريد ندبته الاختفاء خطوتنا الثانية.

نهض برقان صارخا:

- معك حق ريد أين أنت تعال.

أتى ريد راكضا..

- لم أنتم تصرخون لوسيفر وأعوانه، هل جننتم سوف يسمعوننا ريد تعال لقد وجدنا الخطة الثانية، إنها بين يديك ريد، إن لم تكن تريد كشفنا يجب عليك التسلل إلى قصر لوسيفر وكشف عن قرراتهم اتجاهنا.

أتى ايلنور مفزوعا عن ذلك الصراخ، كأنه تحرر من سلاسل الأحلام وأعينه مغلقة بحركات أيديه:

- ماذا جرى؟

ذهب إليه برقان ممسكا يده قائلا:

- ايلنور خطوتنا الثانية بيد ريد، تعال إلى الطاولة لنخطط على ما سيجري، أنت عارف القصر بكل زوياه.

توجهنا نحو الطاولة، بدأنا بالانصات إلى ايلنور لإلقائها بالتحركات التي يجب أخدها قائلا:

- علي التسلل بحذر، يجب عليك العبور، عبر نفق المتواجد في وسط فلورا، من هناك تسطيع الخروج إلى أحد الغرف بدون كشفك من هناك، تستطيع استعمال ندبتك والاختفاء داخل القصر، توجه إلى الطابق الثاني، ريثما تصل تجد أحد الأبواب على يمينك، شكلها يميل إلى القدم لها مقبظ من ذهب يشع في الظلمة نطق ريد قائلا:

- وما أدراكم إن لم يغير لوسيفر القصر كاملا.

- لا ياريد القصر لن يتغير، ولن يستطيع تغييره، إنه ذو قوة لا يستطيع لوسيفر مسها ياريد، الآن الباقي بين يدك هيا الوقت يضيع منا.

- نهض ريد وملامحه تلك وكأنه يودعنا بإلقاء أخير.

- خرج من المنزل.

بعد عدة ساعات من مغادرة ريد، بدأ القلق يغزو أرجاء عقولنا في المنزل، نتحرك بين زواياه ذهابا وإيابا ننتظر سماع خطوات ريد، أن تخطو عبر الباب لكن، وإذ بدقات تملأ عقارب ساعة تشير إلى الحادية عشر، نبضت قلوبنا استياء نحدق في بعضنا البعض، بإشارات نعبر على مابداخلنا .

- ريد قبض عليه انتهى..

جلس ايلنور وبرقان والغضب مسيطرعليهم يكلمان بعضهما البعض بإشارات كيف نفعل؟

ذهبت إلى الغرفة المقابلة للشارع، جلست أمام نافذتها، والصمت يملأ الخارج وتلك القطرات مرسومة على النافذة تعيق الرؤية، وبأنوار خافتة وضعت رأسي على النافذة محدقة للخارج، أنتظر لأملي المتبقي أن يأتي ريد بخطواته، غلقت

عيني بعد ساعة من انتظاري، ضعت بين أفكاري، وإذا بإحساس غريب تدفق في عروقي، حرك بنبضاتي وفتحت عيني و أرى ريد يجري بخطواته ويشد قدمه زاحفا بها، أسرعت إلى غرفة المعيشة، كدت أن أصرخ لأقول ريد مصاب لقد عاد وصلت واكتفيت بإشارة، أسرعت إلى الباب فتحتها وأسرع برقان وايلنور ممسكين بريد حملوه دخلو ووضعوه على السرير وأرى ملامح غير مبشرة بالخير مرسومة على وجهه، تملأها الأحزان والغضب، أحضر الينور ضامدات وبدأ بضمد جرحه ونشير ماذا حدث لك؟ هل كشف أمرك دخل القصر؟

رد نعم ريثما وصلت، اختفيت عن الأنظار دخلت بصمت، واتجهت إلى الغرفة التي تواجد فيها لوسيفر، وأعوانه بدأت بالتنصت وإذا بسماعي كلمات حركت كياني قلقت حتى لم أستطع سيطرة على نفسي، تنصت وإذا بيدي تضرب الباب قفزت من الطابق الثاني إلى الأسفل ، ألحق بي جرحا في قدمي لاصطدامي بإحدى الأعمدة الحديدية، لكن أصدرت صوتا مما أدى لوسيفر بكشفي قائلا:

- طبقوها غدا في الليل لازلوا هنا.

أوقفنا ريد مشيرا:

- ماذا سوف يفعل؟

ضعت في السقف بالصمت لثوان، تبعته كلمات في صمت لم نتحمل ثقلها.

- سوف يقيم الحرب علينا.

- مابك ريد نعلم هذا، ونحن نخطط لذلك؟

نهض من استلقائه مشيرا إلينا:

- ليست حربا عادية، حرب لم نخظوها أبدا.

- هيا تكلم لم تدفن الحديث في عقلك؟ اطلقها نحن لسنا خائفين لسماعها يجب أن نعلم بكل شيء، لنحسب ما سوف يحصل لنا.

- إذا سوف نحارب لآخر أنفاسنا مهما كانت صعوبتها.

- وهل تستطيعون مواجهة الحديد؟

- ماذا تقصد ريد، كفى الوقت لا يتسع للمزاح تكلم.

- لوسيفر طلب من عملائه بتغيير سلوك الآليين إلى التدمير والعنف، وطلب غدا في الليل أن تكون كل البردن مدفونة تحت الأشعة الحمراء.

نظرنا إلى بعضنا البعض، نلتمس تلك الكلمات التي ألقاها علينا بين أحضاننا، لم نحمل ثقلها فقد كانت ثقيلة علينا، وقد تكون نهايتنا الأشعة الحمراء تعنى أنا كل جسد في البردن.

- سوف يتم قطعه لذرات كيف لذرات..

- برقان الأشعة الحمراء سوف تفكك كل عنق مار منها، ولدينا بعض من الساعات لتتدبر أمرنا، قبل تدميرنا وتدمير البردن مرة علينا ساعة، ونحن نخطو بين الأفكار والخطط وها عقارب الساعة تدق بمنتصف الليل عن نهار جديد، والباب يصنع دقاته نبضت قلوبنا بنفس الدقات، إنها نهايتنا لقد كشف مكاننا رد ريد بابتسامة:

- لو هم لم دقت الأبواب باحترام لا كاو كسرو السقف بأنيابهم.

- إذا من الطارق ؟

اتجه عم ايلنور نحو الباب فتحه بخفة، وكل أنظارنا مغروسة بحدقتيها سائلا العم ايلنور:

- من أنت يا بنيتي ؟

فجأة تحول السؤال إلى اقتحام الباب بكل قوة، وأغلقوه وراهم إنهما فتاتان اقتحما البيت، ربما هارب من شيء ما تحرك

برقان نحوهما والاندهاش على ملامحه والدموع غزت جفونه، اتجه إلى تلك الفتاة خاطفا ياها بين ذراعيه قائلا:

- لم يقتلك لم يقتلك، كنت متأكد من هذا..

- لم يقتلني يا برقان بل أخد روحى منك.

ابتعدت تلك الفتاة من أحضان برقان قائلة:

- لم آت لزيارتك، أتيت لتحذيرك، خد هؤلاء واذهبو خارج البردن، لم يبق سوى ساعات و تنطلق الأشعة هنا في الأرجاء.

- يجب علي الذهاب الآن، ليس معي وقت كاف الآن.

توجهت كلا الفتاتان نحو الباب، حتى أطلق برقان تلك الكلمات مشيرا إلي:

- هذه هي ابنتك يا سيبلام.

حركت نظرها إلي بخفة، تحققت في ملامحي مركزة فيها واستدارت نحو قائلة: ليست لدي ابنة وأنت دار بذلك.

- اخ هذه الكلمات لم تؤثر بي، وكأني كنت متوقعة لحدوث هذا.

- مهما سمعت حروف اسمها، لم يتحرك مني شيء، سوى تلك الملامح التي كانت أمام سيبلام التي كادت أن تنفجر أعينها المغروزة في ملامحي نطقت سيبلام.

- تعالي لقيس لنذهب.

- أنا لن أذهب معك.

أتت إلي واحتضنتني:

- ران هذه أنا لقيس هل تذكرتني، أنا أنا كنت..

- كنت حاميتي وونيستي، لم ولن أنساك اشتقت لك.

- ران هل تذكرتني؟

- أكيد ليس.

عانقتها بكل قوتي إنها لقيس حاميتي، لم أصدق لقاءنا توجهت سيبلام نحونا، أمسكت بيد لقيس قائلة:

- قلت لك تعالي.

- أنا لن آتي معك، أنا لست مثلك ولن أكون مهما حاولتي، اتبعي لوسيفر كوني من متتبعيه، واتركيني و شأني، لا دخل لك.

- حسنا لتنهي حياتك بيدك، أنا ذاهبة.

خرجت سيبلام أمي، اخ نطق هته الحروف على شفتي تحسسني بحماقة عقلي، ولكن لقيس التي أمامى احتضنتني بكل

قوتها، لم تتخل عنا حتى في البردن لم أستطع تركها من أحضاني:

- لقيس ها أنا هنا معك، الآن أنا حاميتك، أعدك لن يحصل مكروه لك.

- ران ها أنت توفين بوعدك، ها أنت الان حاميتي، بل حاميتنا.

- كلا يا لقيس سوف أفدي بروحى فقط لك أنت.

- اخ ران سوف يغضبون منك، إن سمعوا كلامك.

- من العم ايلنور أم برقان أم ريد.

- كلا ران إنهم هنا لتكشفو على ملامحكم لها، إنها هنا.

- لم أصدق ما ترى عيني، إنهم هنا جميعا أدوم دكان رمان زفران قهمان أين خيبر أين هو؟

- ران ألا تعرفين بعدم ظهره ولكنه هنا.

- آخ يا أصدقاء طفولتي، لا أصدق ما يجري ياإلهي.

- ريد انظر هؤلاء هم الأصدقاء.

- عم ايلنور هذه لقيس، وهذو هم كل أعوانها، لقد كانوا يحموننني، هاهم مجددا ببيننا.

- مرحبا بهم، ولكن ران أنا لم أقصد اقتحام فرحتك، إن الوقت يداهمنا الأشعة على وشك الانبثاق ياران، ونحن لم نفعل شيء
نظرت لقيس لنا قائلة:
- لدي خط لكم لكنها صعبة عليكم، لذلك أنا هنا لمساعدتكم. - سوف أرسل خيبر وادوم و قهمان هم من سيقمون بالعملية، أما أنا ورمان وزفران وداكم، سنبقى هنا لحمايتكم.
نظر ايلنور باندهاش قائلا:
- ماهي هذه الخطة؟ هل أنت واثقة من نجاحها يجب أن نكون جد حذرين من الأشعة؟
- لا تقلك الخطة هي أن يقوم الثلاث من أعوانى بالصعود إلى مركبة كليدونيا الموجودة فوق ناطحة السحب، رد ريد قائلا:
- أليست التي تغطي فلورا، أستطيع الوصول لها.
- كلا ريد لوسيفر أطلق الأشعة وإذا خرجت سوف يصبح جسمك غبارا مبعثرا بين الرياح، هته المهمة على هؤلاء الثلاث
نطق برقان:
- أخبرنا عما سوف يفعلو داخل تلك المركبة.

نظرت إليهم لقيس كلامي سوف يقال مرة لأن بعد هذا لن أستطيع كلام لأن لوسيفر قد يسمعني.

- إذن انظروا يا ادوم و قهمان خيبير سوف تصعدون لتلك المركبة، وتدخلوها متخفين إلى مركزها، وتطفئون كل تيارات البردن لتصبح في ثواني تحت غطاء الضلام، نطق الينور أرى أن هذا عليهم أو ربما لن يحدث شيء، إذا قمن اطفائها.

- كلا ايلنور بل متفوقين لأن كل قوة لوسيفر تكمن في تلك المركبة، إن أطفأناها تزول كل الأشعة ثم نستطيع التحرك في البردن يخفية فور انطفاء الآليين، ونبدأ بالهجوم على لوسيفر تكون قوته محدودة مع أعوانه نطق ريد:

- شارع فلوكناغ شارع فلوكناغ ردت لقيس..

- لا تاكل هم ريد، إذا لم نستطع فعل شيء، فأعوان لوسيفر لهم.

- أنا سوف أقوم بإرسال رمان و زفران وداكم من أجل صنع حاجز من حديد، تلك الآليين عند سقوطهم، للأن فور أطفأ المركبة سوف تطفئ كل آليين البردن.

صفارات إنذار تعم أشعة الشمس، والصرخات تملأ البردن كان زلزالا أصابها، وبدأ صوت رنين الحديد بإصدار سيمفونياته المزعجة والمخيفة التي عمت أرجاء أذاننا نطقت لقيس:

- هيا لتبدأ المهمة ادوم خيبر قهمان انطلقوا ليس لدينا المتسع من الوقت، لقد بدأت صرخات تملأ الأروقة.

خرج الأعوان إلى مهمتهم وكل قلوبنا قد خرجت معهم، فقدتا صبرها نخطو في أرجاء البيت بدقات الدقائق، نفذ صبرنا إذا بنا نسمع هدوءا تاما غزى بصخب البردن، بصمته ذاك دقت قلوبنا أملا، ورسمت الابتسامة مجددا على وجوهنا وردت لقيس:

- كما توقعت منهم أما الآن نحن لا علم لنا، المجموعة الأولى ما جرى لها، أتمنى أن لا يكون مكروها قد أصابهم.

- كلا لقيس فهم مدركون عملهم، جاء برقان مسرعا نحونا، يجب علينا الخروج من هنا رد عم ايلنور:

- كلا سوف يرونا.

- أنسيت يا ايلنور، أنا كل الآلييات أرضا.

- وماذا عن أعين لوسيفر وأعوانه، قد يكونون منتظرين كل فريسة بالخارج.

إذا بكل أعواننا يدخلون هاتفين، لقد تمت المهم كل البردن تحت سيطرتنا، قفزنا بصرخاتهم فعلناها ران فعلناها إنها تحت سيطرتنا.

نهض ايلنور وبرقان من مكانهما قائلين، حانت دور مهمتنا الأخيرة وأخيرا سطورنا الأخيرة سوف يسقط عرش لوسيفر، وأعمدته ردت لقيس قائلة:

- لا أظن أنها مهمتنا الأخيرة، يجب علينا إرسال ريد وأعواني، لأستبدال أعمدة لوسيفر الوهمية، وكشف عن خداعها وقبح ملامحها البشر، لقد تمت خداعة بشر البردن من منتصف سنهم قال ايلنور:

- اخ لقيس من دونك، لا بقينا تحت دمار لوسيفر.

وجه ريد نحو الباب، وكأن قلبه دق طبول الحرب، وهو ينادي لكل من خيبر وادوم و البقية للخروج، وقالت لقيس لم أكمل كلامي، ريد رد: هيا هيا ليس لنا الوقت للمناقشة، أعلم ماذا سوف نعمل، خرج وأتبعوه أعواننا، بقينا بين جدران

المنزل، منتظرين عودتهم بفارغ الصبر لكي تبدأ مهمتنا الأخيرة بعد ساعات، وإذا بنا نسمع الأبواب تغزوها، خطوات وبهم يفتحون الباب، رد ريد:

- اصمتوا جميعا اصمتوا دعوني أتكلم اسمعوني كل البردن معنا، بعقولها والكل في الخارج جاهزين ينتظرون منا الإشارة لغزو قصر لوسيفر.

- بعد ساعات ونحن حول الطاولة مخططين مسارات الهجوم عليه، صمتت لقيس لوهلة ثم أطلقت كلماتها قائلة:

- قد نحطم جيش لوسيفر وأعوانه لكن ليكن في علمكم لوسيفر يستطيع التلاعب بعقول هؤلاء، لا يجب تركيز مساراتنا معهم، لم نكن ندري بهذا، ولكن الوقت الآن في صالحنا نطق برقان قائلا: ران ريد لقيس اليوم يوم الغزو لنقضي على شر لوسيفر، دقت عقارب منتصف الليل ودقت معها طبول البردن بإشاراتنا لبدء الغزو، الليلة ليلة الميلاد للبردن أو ليلة الدماء، السماء صافية والبدر وراءنا منيرا لدربنا بنجومه، كالجنود التي كانت تنتظر إشارتنا منذ قدومنا، نتقدم زاحفين بنقاء نوايانا لنشر النور، والكشف عن ما كان يختبئ طيلة قرون في الظلام فوق

هته الأرض، جمعتنا أفكارنا المتضادة هنا، الليلة سوف ينتصر أحد منا ومن لا ينتصر، و الرب معه، إذن سوف تزلزل أعمدة البردن الليلة، ها نحن نتقدم زاحفين بين ظلام برقان و ايلنور وريد، ولقيس في المقدمة، وأنا خلفهم وكل البردن بآليتها، وأفكارها ودمائها وأشجارها كلها، تزحف في الصمت بين الصخور تزحف نحو جنود لوسيفر، وأعوانه والغيوم التي تركض وراءه لطمس نور السماء، تبرق وكأنها تود أخذ بصرنا بعد دقائق، توقف الكل وساد الصمت بيننا كلنا، وكل واحد منا ينتظر، تقدمت بين أكتاف ريد وايلنور، رأيت سيبلام المدعوة أمي مع لوسيفر في مقدمة صفه بجانبه بابتسامة على وجهها، ظننتا بكل ثقة من أوهامه إنهم ممن سيتفوقون علينا، اخ رؤيتي لهذا المشهد عظمة كبرى لي، مهما كانت مشاعري اتجاه لوسيفر كما كانت، ولن تتغير ولكن مهما حدث لن أسمح ببقاء شره في البردن.

إذا كان هذا اختياركم لدق الحرب، بعدما كنتم تدقون في قلبي ومشاعري التي اتجاهكم، أما الآن تريدون مواجهتي، فليكن ما أردتم، التفتت ورائي والصمت يملأ الأرجاء وكل

الأنفاس متوقفة، تنتظر إشارة لطلق أنفاس والانطلاق لطمس لوسيفر، نظرت إلى ايلنور قائلة: لا أريد تحويل هذا الصمت إلى صراخ وهته الأنفاس إلى عويل، وتغير الأجساد إلى أصنام يدق فيها موت في عروقهم، من أجل وهم وجعل الندوب ترسم في الأجسام والعقول، أو أن تصبح كل البردن أنهارا من الدماء وماذا سوف يتبقى؟ اه إلا العضام المبعثرة والبنايات المحطمة سوف نحول التدمير إلى تدبير، رد برقان قائلا:

- ماذا ستفعلين ران.

- ترقبو جميعكم ماذا سيحل هنا.

تقدمت نحو لوسيفر وابتسامته بكل ثقة مروسومة على ملامحه، كدت أن أفقد توازني أمامه حتى أطلقت صرخات يا أعوان لوسيفر هل ترونني أم أتقدم إليكم؟ لم أنتم غافلون على ما يفعل بكم بأوهامه التافهة التي غرزت أشواكها في عقولكم، مؤدية بكم لعبادته:

بدا لوسيفر بالتصفيق وهو يقول:

- صفقوا يا أعواني على ماقلته لكم، إنها حبيبتي تستحق كل الاحترام.

بدأ الكل يصفقون وأنا وسطهم كالحمقاء، تملكت غضبي وقلت ببرودة أعصاب:

- حسنا لم تصدوقني بأن لوسيفر يوجهكم كما يوجه الراعي قطيعه.

وبضحكات علت مجددا، مما أفقدتني صوابي، وتحرر غضبي من سلاسل صبري، استدرت إلى لوسيفر قائلة:

- لماذا تفعل هكذا بهم؟ لماذا لعبت بعقول أهل البردن؟ ظننا أنك ربهم، أنت لا تستحق وجودكم بينهم كما كانت مكانتك مع الملائكة، إن مكانتك ليست هنا في البردن، وإنما أنت ملك الجحيم، بل أنت جحيم بأكمله هنا، ماذا فعل لك هؤلاء لتكذب عليهم بتفهاتك وحمقاتك، جعلت منهم أصناما وجعلتهم منورين لك وعابدين لك.

- اخرسي اخرسي ران، لم أرفع صوتي عليك أبدا، و لكن الآن تجوازت حدودك، إنهم عبادي وعبيدي أنا من أتحكم بهم، لأنهم لا يعرفون من أنا، آه أنا ربهم، وأتحكم بهم مثل ما أشاء.

- ربهم لايوجد إلا رب واحد، رب السموات والأرض ولا شأن لك في هذا، إن مأواك جهنم ومثلما ألقى بك الرب من عرشه

إلى الارض سوف ألقي بك من البردن إلى الأرض السفلية، فمكانك جهنم.

- إذن ياران أحضرت كل أعدائي معك، وتوجهينني الآن بهذه الكلمات، سوف أعلن عليك حربا، أحضري كل من تثقين بهم وبقوتهم وسوف أحضر من أثق بقدراتهم، وأعلن لك انتصاري عليك، من الآن ها أنا لا أثق بقوة هؤلاء ولا بقوتي، أنا ولكن يوجد شخص واحد قادرا على اسقاطك واسقاطي واسقاطنا جميعا، فالرب معي يالوسيفر فاحذر لاشيء يقوام الرب، حتى إن لم ياتوا معي وأكون وحيدة في ساحة مواجهتك، إياك وبشاعتك و قبح قلبك ذاك في آن واحد، وجها لواجه إلا أن الرب سوف يقف معي مساندا، معطيا إياي القوة الكافية.

- ولكن ماذا فعلت لك ياران؟ أنت من احضرت جنودك وأردت مواجهتي، ماذا تنتظرين مني؟ ألا احضر أعواني، لم أفعل لك شيئا منذ قدومك، عرفت الليلة سقوطك في أرض البردن، وأنا من أوقفت الإنذار فور رؤيتك، وأنا من أرسلت لك السيارة خصيصا لك، وأنا من شغلت الموسيقى لكي تتذكريني و تنطقي اسمي بحروفك تلك، عرفت مكان تواجدك في شارع اركتاد

صحيح واعرف مكان تواجدك مع ريد، في شارع الانوار الخافتة ،هل تظنين أننى لم أدرك بشيء يا ران، البردن ملكي أعلم بأي شيء يحدث هنا.

- أنا أعلم أنك تعلم بوجودي هنا، لم لم تأت وتصارحني؟ لم لم تقم بخطوتك الأولى وتركتني تائهة بين كيف وماذا؟

- ران هذه أشياء لا تقال هنا، أمام المرء تعالي معي إلى القصر ونجد حلا لهذا، لا نريد أن يكون سفك الدماء هنا.

- لوسيفر أعرف نواياك، كيف لا تريد سفك الدماء وأنت تريد رؤية الوداين، وتجعل البردن تحت الأشعة الحمراء، ألم يتفوه بها كيانك.

- ران قلت لك لا أستطيع أن أبوح بكلمة هنا بين الكل، لنذهب إلى القصر.

- لا أريد القدوم معك، فقد انتهى وقت الكلام.

- ران لديك يوما واحد، أنا في القصر سوف أرجع بجنودي، أما بعد هذا فسوف أنهي بالجميع، لن نبقى في الوجود كلنا.

نظرت إليه بدون كلام، أرجعت خطواتي إلى الوراء، أشرت نحو الكل بالعودة، وكل البردن ترجع إلى الوراء بصفاء

قلوبها، وصلت بين ريد والبقية وكل الانظار علي، ماذا جرى ليس وقت الكلام، دعونا نعود إلى البيت، فلدينا يوما واحدا، وأنا على و شك وضع النقطة الأخيرة للكل ،هذا وحتى وإن كلفني ذلك حياتي، ذهب كل منا زاحفا مثلما أتى، عدنا إلى البيت، وكل من لقيس والينور وبرقان يطلقون علي أسئلة، إلا ريد الذي بقى يحدق في ملامحي بتعجب، لم أريد أن ألفت الانتباه لي مرت عليهم دقائق وهم في حيرة عما حدث لي، بين لوسيفر وأنا بقيت في صمت، لم أجاوب عن شيء، كنت أفكر ماذا علي أن أفعل حياله وأنهي وجوده، لأن نواياه تخطط بالقضاء عليهم خوفا من انتزاعهم لعرشه، من بين يديه فكرت في عدة طرق، ولكن لم يتبق سوى هته الطريقة، يجب علي الذهاب إلى قصره والتكلم معه، إذا حدث شيء لي، أنا المسؤولة عن هذا، التفتت إليهم قائلة:

- سوف أذهب إلى قصر لوسيفر.

- ران ماذا تقولين لا يمكنك الذهاب وحدك أبدا.

- كلا ريد هذه الخطة الأخيرة، لا مهرب مني منها.

- ولكن ران هل جننت؟ إنه لوسيفر هل تتخيلين أنه سوف يرحب بك بين ذراعيه؟ سوف آتي معك.

- وماشأنك أنت إن كان سيرحب بي أم لا؟ ليس لك دخل بهذا، لا تتدخل بما سأفعل.

- ولكن ران.

- قلت لك لا تتدخل.

- افعلي ماشئت، لا دخل لي في حياتك بعد الآن.

خرج ريد مسرعا بغضبه من المنزل، وترك الكل محدقا بي بغرابة تصرفي ،و لكن هذه هي فرصتي الأخيرة مع لوسيفر توجهت بي خطواتي أمام الباب، وإذا بصوت لقيس قائلا:

- ران أعرف ما لا تعرفين، وأعرف بم تخطيطين، أنا معك ومع قراراتك.

نهض برقان وايلنور صارخين:

- اذا أنت تبيعيننا الآن، هل تذهبين إليه بكل سهولة.

لم أجب عن سؤالهم ذاك، استدرت وأكملت خطواتي خارجا من البيت، بدأت بالسير في الطرقات تلك، وعويل المتحولين يزداد في أذني، خطواتي تتناسق على تركي وقلبي متلهف على

الانتحار مني أم دموعي، لقد تلفت أعصابه وانهمرت مثل الوديان.

لم أعد أرى طريقي بوضوح، بدأت بالسير لساعات حتى غابت الشمس عن الأنظار، وحل الليل بظلامه، خشيت أن ما أفعله سوف يؤدي بندمي طوال الحياة، آخ الأفكار والتهم تروادني من كل ناحية في خلاياي، ولكن لم أترك لها أبدا، أكملت مساري بدخولي إلى ذلك القصر، ولكن أوقفتني قدماي تمعنت في ظلمة المكان، كونه قصر خال من الابتهاج، تمعنت وكأنني سوف أترك روحي بالخارج، انتفظت من كل شيء، وأسرعت بخطواتي إلى الداخل بمقابلة الحارسين، فور وصولي فتحو لي الباب وكأنني أصبحت معروفة بينهم قائلين:

- إنه في الطابق الثالث بانتظارك سيدتي.

- سيدتي أصبحت الآن سيدة بعدما كنت أخا، كفى ران كفى هيا استعدي وارجعي قدرات، دخلت واجهتني السلالم المنعرجة برؤيتها من تحت، بدأت بالصعود وأنفاسي بدأت بالتقطع مع دقات قلبي، صعدت للدور الأول، كدت أن أنزف حزنا، صعدت الدور الثاني، كدت أن أغرق دماء، بدأت بصعود الدور الثالث

وبدأت بالزحف بين تلك الجدران، أصابتني بصداع نصفي، قاومت وأكملت توجهي إلى مساري، انتهت السلالم وبدأ مصيري يقترب كان أمامي بابين، لم أعرف أين أتجه، وأين يجب علي الدخول؟ هل من باب الذي عن يمني أم الآخر الذي عن شمالي؟ اتبعت قلبي الميت إلى الأمام إلى تلك الغرفة التي بدون باب.

اتجهت إلى هناك، بدأت بسماع الأنفاس، تحمست لي عدم خداع مشاعري، اقتربت بالدخول ووقفت أمام المدخل، برؤتي لوسيفر موجها نظراته لي تماما قائلا:

- مرحبا بك ران، توقعت قدومك عزيزتي.

- قدومي ها كيف لديك كل هاته الثقة اتجاهي؟

- أعرف من ربت أنفاسي ران.

- ها أنا هنا أمامك بم سوف نتحدث؟

- لا تستعجلي اجلسي معي، دعينا نتحدث ران.

- نتحدث هنا وبم تريد أن نتحدث؟ هل بقى بيننا كلام بعد؟ ألم تفلت منك الحروف؟

- لم أنت حاقدة على كل هذا الحقد ران، ماذا فعلت لك؟

- ماذا لم تفعل لي شيء، أنت فقط من سلبتن حياتي وحياة فاردمار و حياة أناس آخرين، تنكرت بزي تافه أمامي، سرقت روح أمي، وسرقت حكم ايلنور من بين يديه، ماذا بعد ماذا ها ماذا تريد السماع بعد؟

- ران أنا آسف على كذبي عليك، وآسف على كل شيء.

-لا تتأسف لي، بل تأسف للآخرين على سرقة حياتهم الضائعة بين يديك، أما أنا لا شأن لي بك، بعدما عرفت أنك الكاذب الأكبر بيني وبين قلبي.

- لن ولن أتأسف لأحد، أتأسف فقط لك لأنك روحي، أنا فقط وصدقيني لن أدعك، هكذا وبهذه السهولة ران، أنت في خطر لوحدك أن لم أكن معك، سوف يقظون عليك، أنت لا تعرفي من تكونين.

- اخ لوسيفر لوسيفر ثقتك الزائدة هذه سوف تؤدي إلى نهايتك، بل ثقتي بك ياران لن تؤدي بشيء مني، بل ستزيدني انتصارا بك.

- كلا لوسيفر بل أنا من سآخد روحك، ووجودك وأنتصر عليك يا لوسيفر.

- أعرف أنك لن تندم، وأعرف أنك لن تعترف بأخطائك، لم أكمل كلامي، أقطع لوسيفر حروفي بعناقه ذاك، وتمتماته.
- ران لن أصدق هذا الكلام منك، لن تفعل شيء بل أنت لن تستطعين لأنك ملكا لي، ومن يصبح ملك لي لن يسطيع فعل شيء لي.
- صحيح لوسيفر، ابتعد قليلا، دع دموعي تنتحر ببطء، أنا لن أستطيع فعل شيء لك.
التفتت كالمجنونة في تلك الغرفة، لم أر شيئا سوى ذاك السكين في تلك الفاكهة، أسرعت إليه حاملة إياه بين يدي.
- انظر لن أفعل لك شيئا، ولكن أنا من سأفعل بروحي، سأسمح لهذه السكين العبور لقلبي هذا السكين يالوسيفر الذي لن تنسى مظهره، وهو يدخل أحشاء قلبي انظر إلي.
- ماذا تفعلين ران، اترك هذا من يدك، اتركيه سوف أفعل ما شئت لا تجني.
- لقد جننت منك، ومن تفاهة حبك وجنون عظمتك، لم فعلت هذا؟ لم لم تقل لي أنك ملكها، بل شيطانها لم لوسيفر لم لا تريد البوح لي؟ من أكون أنا؟ هل أنا بشرية؟ هل أنا جنية؟ من

أكون؟ لوسيفر أحببتك أخذت قلبي لوسيفر الآن، سوف آخد قلبك وأدفنه معي.

- ران لن أفعل شيء، أعدك لن ألتمس شعرة من هاؤلاء فقط لاتفعلي شيء، لا تفعلي هذا لطلما اجتمع القلبين معا، في أرض واحدة في أرض البردن، أرضنا يا ران، أرضنا هل تسمعي أرضنا؟

- ليست أرضي أو أرضك، هل تفهم أنت مجرد لعنة في هذه الأرض وأنا لست بحامية لها، أتفم هذا؟

- أعرف هذا ولكن فعلت كل شيء من أجلك، هل تفهمين من أجلك أيا ترى ألم تتسائلين لم كنت ترين الضام والخيتعور وليليث ولم تتفوهي بكلمة، سوى للقيس أو لريد.

- لا تتكلم معي بهذا الموضوع، أعرف أن ماكان يحدث من لعبك.

- ليس من لعبي فأنت لا تعرفي ماتملكين ران.

- لا أعرف صحيح أنت من لعبة لعبتك بإتقان، أخذت كل شيء مني، سلبت روحي، ولم أمانع سلبت قلبي ولم أمانع، قتلت روحي من أجلك، وها أنا أمانع، تعبت من هذا لا أعرف من

أكون، لا أعرف إن كنت على قيد الحياة بعد، لا أعرف بالضبط من أكون.

- ران اترك السكين من يدك ران، لا تفعليها تذركين الأمر، إن قتلتني لن تستطيعين التحرر، سوف تغزو اللعنة عليك.

- سلبت كل شيء مني، ها أنا لوسيفر حبيبي ،انظر انظر لي أنت سعيد بمواجهتي لك، صحيح؟

- كلا تعالي ران، أرجوك أنت لن تقتليني سوف تقتلين قلبي فقط، سوف أتحول إلى لعنة تحتويك طيلة حياتك، لن أتذكرك ران.

- اقترب تعال تعال إلى أحضاني، لا تخف لن أستطع فعل شيء لك تعال.

- ران.

- لوسيفر بك أصبحت كالأسد، وقلبي بطرباته لك فقدك.

- ريد انظر انظر..

- ماذا ياريلان؟

- انظر إلى الأفق.

التفت و بي أرى الأفق يشع كصباح في مكان القصر، وإذا بعويل الوحوش التي تعالت من قبل، تحولت إلى صرخات أناس عادية، أسرعت بخطواتي نحو المكان، أنا وريلان والبقية نتسارع فيما بيننا، والسماء تزيد لهيبا بضوء نابع من الأسفل، أدركت أن هذا لن يكون إلا من ندبة ران، كدنا أن نصل وإذ بالضلام يمحي تلك الأنوار، وكان الليل استرجع حكمه لم أدرك أين خطواتي متموضعة بفزع يملأ قلبي وهلعا، ينبض وأسئلة تتراكم علي.

آه فعلتها ران، وإذا بتلك الرموز والأشكال التي تقدس لوسيفر والتماثيل المعظمة له، اختفت عن الوجود في طريقنا ملأ الاستغراب عقولنا، أسرعت بخطواتي نحو القصر مقابلا الحراس، ذو رداء الأسود ذاك، ولكن تصرفهم عادي لم يمنعاني من الدخول، ارعنا خطواتنا أنا وريلان داخل القصر، توجهنا إلى كل الغرف، ولكن لم نر شيئا لم نجدها، بدأ توتري ربما أخذها لوسيفر لوسيفر.

- ران أين أنت أين لم لم تسمعي كلامي رااان.

- ريد اسمعو تحركات في الطابق الأخير.

توجهت نحو الطابق الأخير، بدأت خطواتي تتثاقل بقرب تلك الأصوات، رأيت ايلنور أمام ذاك الباب.

- ريلا نهاهم.

دخلنا مسرعين إلى هناك إلى برؤيتنا برقان ولقيس ملتفين على ران، وكل من أعوان لوسيفر متغيرين الطباع التف برقان إلي لمح إياي قائلا:

- ريد أسرع ران.

- مابها؟ مابها؟

- لقد فعلتها لحالها لقد قتلت لوسيفر.

- قتلته لكن مابها هل غدرها؟

- كلا لقد فقدت الوعي، فقط ريثما اختفى جسد لوسيفر، أشعلت ندبة ران ونزلت بها أرضا.

اسرعت لها أبعدت لقيس من جنبها كانت جد باردة، انهمرت دموعى نحوها..

- ران أرجوك انهضي، إنها النهاية لقد فعلتها انهضي أرجوك، لم أتحمل صمتها، تحسست أصابعها تقدمت نحو ملامحها همسا، ومتمتما استيقظي خذ كل فؤادي يا أغلى ما أملك ران لن أتخلى عنك ران.

- ران اختى لا تتركيني هنا وحيدة، أنت كل ماأملك هنا ران ارجوك لا تذهبي.

- اخ الصداع غزى كل رأسي، أسمع بتمتمات لم أفهمها، حاولت فتح عيني أو التحرك لم أستطع وكان أحدا ممسكا بي وبقوة، استسلمت لأمرى حتى اتضحت تلك التمتمات، سمعت الأصوات وإذ بذلك الصوت ورائي الذي غاب عن أذني، نبض قلبي وأرجع أنفاسي وبي التفت وعيني تلمح صورتها وبها

تعانق جسدي، ريلان ريلان التي غابت على حدقتي لشهور منذ قدومنا، اشتاقت يدي لمست يديها، واحتضنت جسدها وأذني لسماع صوتها، ودقات قلبها، آه كم هي جميلة بحلتها بصباح ميلاد البردن المشرق والمبهج، وبها تهمس في أذني:

- اشتقت إليك ران، كم كان صعبا فراقك علي.

- لم أستطع لفظ بكلمة، ظللت أستنشق رائحتها تلك، التي آنستني وجعي، التمست وجهها ظاحكة ريلان، ها أنت انقضتني ران، لم أنقضك، بل أنت من أنقضتني، أنا وجدي يا ران، هيا انهض، لا تدعى هذا الشيء يوقفك عنا، هيا تمالكي أنفاسك وانهظي، لقد اشتقت لك.

- وأنا ايضا ريلان، وها القدر يجمعنا مجددا، ليس عليك بالدموع يجب أن تفرحي.

- بلى ران اليوم.. اليوم.

- ماذا يوجد؟

- اليوم جدنا ران.

- مابه تكلمي لا تزيدي ارتعاشا لركبتي، ونبضا لقلبي أكثر، هذه الليلة، سوف يكون أيضا ميلاد جديد لجدنا بعد غياب طويل في ظلمة أحلامه وصمت عروقه.

- ريلان كيف هذا؟

- الليلة ليلة ميلاد البردن وليل استيقاض جدنا من ظلمته ياران.

- لقد بشرنا الأطباء بهذا.

- هل أنت جادة بهذا؟

- ران الليلة ليلتنا.

- أريد رؤيته خذيني إليه.

- ران..

- الصوت مجددا، ريد صوته.

أين أنت ريد، تلهفت لرؤيته، ابتعدت ريلان وبرقان من أمامي، لمحت ذلك الوجه من الخلف والندبة تلك إنه ريد انحنى، إلى آخذا إياي بين أحضانه.

- أنا آسف ران.

- لم تتأسف؟

- أتاسف على تركك لي وحدك.

- كلا ريد أنا من أجبرتك، ولكن لقد وعدتك في قلبي هذا، أنت من جمعتني بروحي القديمة، وأنت من أظهرتلي ران في حياتي الواقعية، أنت من جمعتني بحقيقتي، وأنا من سأجمعك بشملنا القادم يا ريد، لن أفارقك.

- ران.

بعد شهر من فراق جدي لنا، تركني بعدما زرع الأمل فينا لن أستطع البقاء هنا، وترك ريلان وحيدة، اخ ها أنا أتمشى في أرض البردن والحنين، يشدني إلى فلادك، فلادك الأم التي رعتني وخبأتني في أحضانها، لم أعد أستطيع تحمل البقاء هنا، وسط البردن وحيدة من دون ونيس، لا أقصد إنه ليس عندي ونيس بعدما أصبحت أنا وريد جسدا واحدا، بل أقصد ذلك الونيس الذي غدرت به وغدر بي، منهيا بي أمر في شوارع البردن تائهة من دون مشاعر مغروزة ومن دون أفكار مطروحة سوى أنا، وأنا وسط ذلك الحطام المتراكم داخل قلبي، لا أستطيع التحمل كفي، فأكل هذا الذي أمر به سوى تفاهات

القلب المتحطم، لوسيفر هل تسمعني أنت من غدرت بي وأنا من حطمتك، أنت في الجحيم، وأنا في النعيم، آخ أصبحت مجنونة الآن سوف أكمل جنوني في فلادك الأم، وليس في البردن على التوجه الآن إلى ذلك القمر الملعون، وأقابل ريد يجب علي مواجهتنا لطالما أعرف، ردت ذاك وليسامحني ايلنور عن هذا، فهذا قراري وأنا هنا، اتخذته لا أستطيع البقاء هنا.

اكتفيت بالصمت وعقلي تتراكم عليه الصرخات والأصوات العالية، التي كادت أن تلقي بي على أرصفة البردن مغما علي، لم أدرك كيف وصلت بقدمي أمام باب البيت؟ كنت تائهة في خلاياي بين القرارت والذكريات وكل منها تترك فراغا، داخل قلبي يملؤه صدى بعدما هجره الأمل وغزاه الحزن، وكأن قلبي أصبح أرضا للأحزان، ينبض فيه التعاسة وبي أدق الباب كان قفلها مغلقا وبه يزيد نبضات قلبي بسماع صوت ايلنور:

- ران أهذه أنت؟

- نعم ايلنور، افتح الباب، دخلت وهو يقول:

- كنا في انتظارك، أين كنت لقد تأخرتي قلقنا عليك هيا أسرعي البسي حلتك ياملكة البردن، فمراسم التعيين على وشك دق طبولها وتبدأ.

- نعم ايلنور سوف أذهب، أين ريد أريده؟

- البس حلته السوداء على البردن كلها بغروبه، وأنت لازلت أمامي وتسألين عن ريد على أية حال، هو في الطابق العلوي يهيء نفسه.

ذهبت بخطوات بطيئة تاركا إياه بكلماته ورائي، وإذا بذلك الصوت ورائي:

- ران أراك غير عادتك، هل أنت بخير مابك؟

- لا شيء ايلنور.

- إذن هيا سوف نغادر بعد نصف ساعة.

صعدت الدرج وأنادي بصوت خافت، ريد ريد، أين أنت؟ وبه يفتح الباب بملامحه المتفائلة تلك زادتني حزنا على ما أنا عليه، مابك ران لم تحدقين بي؟

- ريد أريد محادثتك على الفور أمر طارئ.

- ماذا؟ قولي لي الآن ماذا حدث.

توجهت نحو إحدى النوافذ التي كانت تقابل الطريق، فتحتها وبنسيم البردن يحتضنني بانعاشه، كأنه يعانق رئتي متوسلا بعدم اتخاذ ذلك القرار، في عقلي انشردت بين تلك النجوم وإذا بريد يأتي ورائي بخطوات سريعة.

- ران افزعتني، هل كل الأمور بخير، ران لم أنت صامة تحدثي اخبريني.

- التفت إليه ونظرت في أعينه قائلة:

- ريد أريد أن نغادر البردن، مند قدومي تعاسات قلب تزيد عن ذي قبل، وكل يوم يزيد اشتياقي إلى فلادك، تلك الأرض التي حضنتني حينما ألقت بي أحزانى بعيدا عن فردينينا، هنالك بيت جدي وريلان لا أستطيع تركها هناك وحيدة، علي الصعود معها

- ران ران توقفي عن هذا، هته الأرض بدوننا لن تصبح كما كانت نحن مخلصوها، ولقد نجحنا من المهمة الأولى وبقي علينا فقط غرس الأعمدة التي سعينا لاسترجاعها.

- كلا ريد نحن لم نأت لكي نحرر البردن، بل أتينا لاكتشاف من نكون، ولكن لم نعرف من أين نحن أو من أين ننتمي لطالما هذا الشيء زال ولكن اللعنة لازالت بداخلنا.

- ولكن ران لقد فكرت حيال هذا، أنا لا أتفوه بما لم أفكر فيه.
- انظر ريد سوف نكلم ايلنور، إننا لا نستطيع أن نكون ملوك البردن ويجب كلنا ان نغادر من هته الأرض كلنا، فنحن لا ننتمي إلى هنا، القدر فقط من وضعنا هنا للغرض وقد تم منذ ولدتنا، لأننا نحن فقط في كل هذا العالم من يستطيعوا القضاء على هذا، فقد كانت البردن تلقي أنفاسها بين يدي لوسيفر ولم يتحرك أي أحد أن يحررها من قبضته، وأنعشها حتى أتينا وأرجعنا لها كل ما تألمت من أجله، وأنينها الذي ألحق بنا ندوبا لكي نأتي، كنا أملها الأخير.

أما الآن يارِيد فكر واستوعب ما قلت، على مانحن عليه استدرت نحو نافذة و تركته تحت كلماتي التي ألقيتها عليه، لم أتحمل منظره الذي تغير، كأنني ضيعت أجمل يوم له أن يصبح مالك، كان مختلط المشاعر، يطلق كلمات متقطعة و كأن فمه أصابه شلل يتفوه من سؤال إلى سؤال..

قاطعته قائلة:

- فكر انتهت المناقشة أم سوف أغادر وحدي، إن أردتم البقاء.

- حسنا ران، لك ما شئت، أنت على حق، لا أستطيع منعك من أي شيء.

- آخ ريد هذا ما أردت سماعه، ولكن أولا يجب أن نتحدث مع ايلنور.

- أسرعت إلى أحد الغرف، وغيرت ملابسي بسماع نداءات الينلور المتكرة من حين إلى آخر وبنا نرد:

- نحن قادمون.

خرجت من تلك الغرفة قائلة:

- هيا ريد للنزل.

توجهنا نحو الدرج إلى غرفة المعيشة، وإذا بنا نجلس أمام حديث ريلان و برقان، و بعقارب البردن تدق على الثامنة، ودقت معها الطبول وصرخات أهل المدينة.

وبالنور يخرج من غرفته قائلا:

- هل أنتم مستعدون؟

وبه يلمحنا..

- لم أنتم جالسون ليس وقت الجلوس، كل البردن في الخارج تنتظر قدومنا.

قلت:

- ايلنور اجلس نريد محادثتكم عن شيء، قاطعني قائلا:

- ماذا أخبرينا أسرعي، يجب مغادرة البيت أو فيما بعد أخبرينا.

- لا أجلس هذا الموضوع يحتاج إلى الاصغاء.

جلس بملامح استغراب وكأن كل تلك الحرارة التي تدفقت في عروقه، تبخرت وبالكل يحدق على شفتي وبسؤ:ال

- ماذا ران تكلمي ؟

- كدت أن أتكلم و بريد يقاطعني.

لقد قررنا أن لا نحكم البردن، ونغادر كلنا ألى فلادك، وإنما التفاصيل التي أرادت أن تلقيه ران، الآن سوف تخبرها لكم ريثما نجتاز كهف رينيا أم الآن، ليس لنا متسعا من الوقت وقرار لك ايلنور في اتخاذ الملك من أهل البردن، كما المعتاد لها وإعطاء الحكم، لمن يستحق وأن يخدم هته الأرض ويسعى بكل قوته، ويسعد أهلها، أما نحن الليلة سوف نغادر بعد المراسيم.

ساد الصمت بين الكل عن قرارنا، وإذا بايلنور يقف قائلا:

- اذا هذا هو قراركم، لكم ماشئتم هيا لنذهب.

خرجنا من الباب وحملنا أغراضنا وأودعنا تلك الزوايا التي تدفقت عليها دموعنا، حينما كانت تحتضن مشاعرنا، دخلنا في السيارة وبالينور يقول ساحة الريمان شارع موريك بصوت متقطع، وكأنه محطم بقراري كان الكل صامت، وإذا بالسيارة تصل بين تلك الحشود، التي علت طبولهم ريثما وصلنا وهم يهتفون بأسمائنا، استدرت، لمحت ايلنور لكن وجدت رأسه بين يده اليمنى مخفيا دموعه، كأن الذكريات غزت عقله، وتدفق ماضي في خلاياه بسماع تلك الطبول وبالسيارة تتوقف وفتحت أبوابها، خرجنا وسط الساحة وكل شخص يحاول التقدم والتكلم معنا، بقينا نسير متجهين نحو أماكننا، جلس ايلنور على الكرسي و برقان و ريلان وراءه، وأنا وريد بجانبه من يمينه، ويساره وكان الحراس خلفنا باستقام، ونحن مقابلين تلك الحشود و بايلنور ينهض بإلقاء كلماته على الكل قائلا:

- مرحبا يا أهل البردن، ومرحبا بأرضنا التي فزنا بها من جديد.

- أنا أحيي كل من قاوم وحرر أرضه من لعنة الشيطان، الآن أصبحنا أحرارا أو بالأحرى، حررنا تلك القيود التي تحكمت

بخلايا ذاكرتنا، إننا أوفياء لهذه الأرض، أعرف أننا لم نفعل شيئا منذ قدومنا إلى هنا، جئنا لأسباب غير معروف مصدرها.

- أنتم الآن معتقدون أننا حكام البردن بعدما أزلنا اللعنة عنها ولكن نحن.

- قرارنا أننا لن نكن حكام البردن.

وبه يقول:

- نحن الليلة سوف نغادر، وإذا بالصمت يغزو البردن كل ملامح الاستغراب على الكل، وبايلنور يكسر سلاسل الصمت بالقول:

- أرجوا من ملك ماربل أن يتقدم، فالحكم له وأن يتخذ البردن، اللية أما نحن سوف نغادر بأجسادنا خارج البردن.

- أهل البردن هاتفين.

- لم تفعل شيء حررتنا من اللعنة، وها أنت تصوبنا، نحوي لعنة ثانية أتيت من أجل شيء، ولم تحققه صحيح ها هل كلمنا صحيح.

- التفت إلينا ايلنور والصدمة التي رسمت على وجهه، وكأننا انكشفنا من فعلتنا، وبالماربل يتعارك بين الحشود هاتفا باسم

ايلنور لكي يصل أسرع بيننا، معانقا ايلنور وبه يلقي عليه كلماته الأخيرة:

- أردتك أن تبقى ولكن لا تخف، عرفت سبب كل هذا سوف أواجهه من جديد.

- كلا يابني فهته الأرض ليست ملكنا، وكما قلب القدر حياتي هنا بين الحشود، وأنت من كنت الوسيط، فسوف تصبح الليلة مالكا لها وبعائلتك، خد هذه مفاتيح القصر بين يديك، اعتن بالبردن يابني فهي أمانة بين يدك الوادع.

وبنا نغادر بعيداعنهم، تاركين صرخاتهم تعلو عن ايلنور وعن ملكهم الجديد.

وبنا ندخل السيارة حدق ايلنور في ملامحي قائلا:

- لقد فهمت قرارك ران، وكان صائبا يجب علينا ترك ما لا لنا. أعرف مالذي سايجرى لاحقا ولكن لن أتركك..

ملأ الحديث بيننا وتغير كل وجه من كان معنا منها، من عرف قراري، لما اتخدته ومنه من لا يريد ترك الأرض لأسباب أخرى.

توقفت السيارة بجانب الطريق، خرجنا منها متوجهين نحو الغابة التي خرجنا منها أول مرة، أمام ذلك الآلي حينما أتينا وكأن تلك أحداث لا زالت تنبض هنا، وإذا بنا نشق دربنا بين تلك الأشجار وبكل خطوة يقترب الكهف، بصخبه وبنا نصل أمامه وبصرخات تعلو من تلك الغابة ملأت الأرجاء:

- ايلنور توقفوا ران.

- أدركت صوت من وبنا نتوقف جميعا، أسرعت ملقية أنفاسي بين أحضانها.

- لقيس لقيس، سامحني هذا ليس قراري، وأنت أدرى بذلك إن بقيت هنا، سوف يأتي من جديد وتتقلب موازين البردن، رأسا على عقب.

- ولكن ران أنت في خطر كبير، الآن لن يتركك وليليث ماذا بشأنها؟

- ليليث لن تظهر أمامك، ولا أمام عائلتي فقواي لا تسمح لها بالاقتراب مني من جديد.

- ولكن لوسيفر.

- لقيس هل اتيت لي توديعي؟

- نعم أتيت لأودعك ياأغلى ماعندي، لقد أردت أن آتي معكم، لكن لا أستطيع إلحاق ذلك الشيء وراءنا.

آه وبها تعانقني بشدة...

- اذهبي ليجمعنا القدر متى شاء، أنا على يقين ران هذه الأرض لن تتركنا بسلام، سوف نلتقي عند التقاء الغروب بندبة ليليث تلك الكلمات يالقيس فاهي تشدني للبقاء والمقاومة، لكن لم أكمل تلك الحروف، وإذا بهتاف ايلنور قاطعا إياهم:

- ران البوابة بقت لنا ستون ثانية، سوف تغلق الأبواب الزمنية هيا.

مسكت لقيس بيدي لم تريد أفلتها، ولكن الحظ لم يكن معها الليلة، أسرعت بخطواتي نحو البوابة وأنا أكرر:

-سامحيني لقيس، أعرف أنه ليس الوداع الأخير، ولكن سوف نلتقي في أرض لوسيفر مرة أخرى.

تمت بحمد الله